نظرة عامة عن حياة

بديع الزمان

سعيد النورسي

الترقيم الدولي : 977-5323-31-2
رقم الإيداع : 2000 / 2512
الطبعة : الأولى ٢٠١٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر : شركة سوزلر للنشر
العنوان : ٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع – مدينة النصر – القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفاكس : ٢٢٦٠٢٩٣٨ (٢٠٢)+

30 Gafar El-Sadek st.
7th Nasr City Cairo-Egypt
Tel. Fax: + (202) 22602938
www.sozlernesriyat.com
email: darsozler@gmail.com

نظرة عامة عن حياة

بديع الزمان
سعيد النورسي

إحسان قاسم الصالحي

دار سوزلر للنشر
Sözler
PUBLICATIONS

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

إلى أجيال الشباب المقبلة من وراء الغيب ..وإلى أبطال أمة الإسلام الآتين على سفائن الإيمان ..إلى كل هؤلاء الذين نظر إليهم الأستاذ النورسي بعين بصيرته، فأحبّهم، وكتب إليهم، ووضع ثقته وأمله فيهم...

إلى هؤلاء الذين سيتفتح عنهم القدر قريباً نهدي كتابنا هذا آملين أن يجدوا فيه نور الأمل.. ومفتاح الحياة الإيمانية الخالدة.

المقدمة

للمآسي الدامية في تاريخ الشعوب، وللأحداث والمنعطفات عن المسارات الأصيلة في حياة الأمم، رجال عظماء، وعباقرة أفذاذ، تمتد يد العناية الإلهية لتبعث بهم في وسط هذا الضجيج الهائل ليُمسكوا بناصية الأحداث ويحولوا بين شعوبهم وبين السقوط في مهاوي الضياع والانفلات الرهيب من دائرة تاريخهم وحضارتهم.

وبديع الزمان سعيد النورسي هو أحد من هؤلاء العظماء، ألقى الله تعالى على كاهله مسؤولية النهوض بتجديد الحياة في الإيمان الراكد في القلوب وبعبء التصدي لهذا التيار الجارف المكتسح الذي كاد يسلخ الشعب التركي المسلم عن تاريخه ودينه وإسلامه.

وما هذا الكتاب إلاّ محاولة متواضعة تتناول حياة هذا الإنسان العظيم الخصب الزخار، والوقوف على شاطئ بحره العميق الغور، الواسع المدى الذي لا تنفد درره ولا تنتهي لآلئه.

ونستطيع أن نقول أن كتابنا هذا يكشف عن مسألتين:

الأولى: إنه يكشف عن فترة تاريخية من حياة تركيا الحديثة وما تركته شخصية الأستاذ النورسي من آثار عميقة واضحة المعالم في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية في الشعب التركي. هذا التأثير الذي ما زال سارياً يفعل فعله ويؤدي دوره حتى بعد وفاته رضي الله عنه.

وهذا الأثر واضح مشهود نلمس آثاره لمس اليد ويعترف به حتى أعداؤه وخصومه.

الثانية: إن هذا الكتاب يستعرض حياة أحد كبار دعاة الإسلام في العصر الحديث، فمن خلال دراسة حياته نستطيع أن نؤكد حقيقة من أعظم حقائق التاريخ، وهي أن هذا الدين الإلهي العظيم دين حيوي خالد قادر على العطاء في كل زمان ومكان. وان هذه الحيوية قادرة على أن تنهض بالشعوب والأمم وتلقى بين أيديها بزمام العالم إذا توافرت لها القلوب الواعية السليمة والعقول الذكية والأذهان المتفتحة والإخلاص الكامل والعمل الجاد.

والكتاب يتألف من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يتناول سيرة حياته بشيء من التفصيل.

القسم الثاني: وهو دراسة تحليلية لرسائل النور تلك الرسائل التي ألفها طوال ثلاث وعشرين سنة من حياته التي قضاها بين السجن والنفي والتشريد.

القسم الثالث: وهو نماذج مستلة مترجمة من كليات رسائل النور.

وقد رجعنا في كل قسم من الأقسام الثلاثة إلى المصادر الأصلية باللغة التركية من مطبوع ومخطوط.

نسأل الله العلي القدير أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إحسان قاسم الصالحي

القسم الأول

سيرة مختصرة لحياة بديع الزمان سعيد النورسي

١٢٩٣-١٣٧٩ هـ

١٨٧٧-١٩٦٠ م

توطئة

قبل أن نتناول سيرة الأستاذ (بديع الزمان سعيد النورسي) لابد لنا أن نمرّ مروراً سريعاً على بعض الأحداث الكبيرة للمرحلة الزمنية التي عاشها والمآسي والآلام التي تركَت جروحاً عميقة في وجدانه وضميره وهو يشاهد أمته تعاني منها وتئن تحت وطأتها.

فقد ولد – رحمه الله – في عهد السلطان (عبد الحميد الثاني) أواخر عمر الدولة العثمانية الآيلة للسقوط، وعاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة، يحدوهم الحقد الأسود على الإسلام في شخص دولة الخلافة، ورغم ما بذله السلطان عبد الحميد من جهود للمحافظة على دولته المترامية الأطراف طوال ثلاث وثلاثين سنة، متوسلاً بدهائه السياسي، والإفادة من الظرف الدولي ومحاولته إيقاظ العالم الإسلامي وتنبيهه إلى ضرورة المزيد من الوحدة والتماسك فيما بين شعوبه أمام الأعاصير الهابّة من أوروبا الموتورة إلاّ أن ذلك كله جاء بعد فوات الأوان. لأن الدوائر الأجنبية كانت قد استطاعت أن توجد في قلب الدولة نفسها ركائز استخدمتهم في اللحظة المناسبة لهزّ شجرة الدولة من الجذور، والإجهاز بعد ذلك على جذعها وأغصانها فالمؤامرات كانت قد حُبكت بدقة متناهية في دهاليز وأقبية المخابرات الأجنبية، فلم يستطع السلطان منع الانقلاب الذي خططت له القوى الخارجية واستخدمت زمرة من جمعية الاتحاد والترقي لتنفيذه.

وبعد تنحية السلطان عن الحكم تولّت أجهزة الإعلام العالمية حملة واسعة نجحت في تشويه سمعة هذا السلطان المظلوم وتصويره بـ(السلطان الأحمر) أو السفّاح والجلاد خِلافاً للحقيقة والواقع حيث أثبتت الوثائق الرسمية والبحوث

التاريخية المتأخرة زيف تلك الحملات جميعها، ولعل موقفه المتشدد من الصهيوني (عمانوئيل كراصو) ورفضه التنازل عن شبر من ارض فلسطين لليهود يفسر باعث تلك الحملات المسعورة.

ثم جاء الاتحاديون بالسلطان (محمد رشاد) فأصبحوا يمررون من خلاله ما يريدونه من سياسات للدولة الجديدة، ويزحفون أيضاً إلى مناصب المسؤولية ومواقع القيادة حتى يستطيعوا التأثير في الحياة الاجتماعية وتقريبها خطوة بعد أخرى نحو النماذج الحياتية للحضارة الأوروبية التي كانوا شغوفين بها.

ومع أن الاتحاديين كانوا يتغنون بشعار "الحرية، الأخوة، المساواة " إلاّ أنهم فرضوا دكتاتورية حمراء دامية وتصيّدوا معارضيهم غيلة على قوارع الطرق، وقاموا بتصفيات جسدية لمن يتوسمون فيه المعارضة لهم. ولم يكتفوا بهذا بل جرّوا الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى دون مبرر، مما أدى في خاتمة المطاف إلى تمزّقها شرّ ممزق.

هرب قادة الاتحاديين خارج البلاد تاركين الأمة تعاني نتائج هذه الحرب المدمرة التي أوقعت البلاد تحت وطأة الجيوش الأجنبية.

جاء بعد وفاة السلطان محمد رشاد -الذي توفي في أثناء الحرب- السلطان محمد وحيد الدين الذي كان يكره الاتحاديين. جاء هذا السلطان والدولة قد خسرت الحرب واستولى الإنكليز واليونان والإيطاليون والأرمن على مناطق مختلفة من تركيا، وحتى إسطنبول نفسها كانت تحت الاحتلال الإنكليزي أي أن السلطان كان في واقع الأمر أسيراً بيد الإنكليز.

تلك هي الصورة البائسة التي خلفتها الحرب وراءها: شعب مهزوم قد أنهكته الحرب، يئن تحت وطأة أقدام الغُزاة وجُروح عميقة في وجدان هذه الأمة التي فقدت كل شيء بَنتهُ بعَرقها وجهادها وعقيدتها في عدة قرون.

ومما يثير الإعجاب أن بديع الزمان رحمه الله كان قد توقع حدوث هذه الكارثة الرهيبة، فكثيراً ما نبّه المعنيين والمسؤولين من سلاطين وحكام بأن القرن الآتي هو (قرن العلم) لذا فإن المدارس الدينية القائمة آنذاك والتي كانت مقتصرة على الدراسات الدينية فحسب، لا تخرج أجيالاً من الشباب قادرة على التصدي للمغرمين بالحضارة الغربية ما لم تطعم هذه الدراسات بالعلوم الكونية الحديثة. لذا فقد حذّر وأنذر وأعذر في خطبه الكثيرة ومقالاته العديدة وتآليفه ومقابلاته الشخصية وتجواله في المدن والأرياف.. كل ذلك لإيقاظ الأمة والمسؤولين من هذه الغفلة التي طال أمدها ومن الكارثة المتوقعة، ولكن صيحاته هذه لم تلق سوى آذان صمّ وقلوب غُلف لا تَعي.. حتى وقعت الكارثة.

لم يعد الشعب التركي يملك غير الإيمان العميق يتحدى به الأعاصير الهوج، ويتقى به سهام الأعداء وحراب المستعمرين. فما أن هتف بهذا الشعب هاتف الإيمان وصرخ بوجدانه صارخ الإسلام، إلاّ وانتفض انتفاضة مذهلة فوقف يحشد ما بقي من قواه، ويهيئ ما تبقى له من طاقات وقرر أن يخوض حرباً تحريرية ضد الغزاة وهي التي تسمى (حرب الاستقلال).

هنا نرى الأستاذ – رحمه الله– يقف في مقدمة الصفوف وفي أُولى الخنادق، في استانبول، لا يرضى بمغادرتها إلى أي مكان آخر، ويؤدي واجبه المقدس ضد المحتلين بأفضل ما يمكن..

أما السلطان وحيد الدين فقد أشار من طرف خفي إلى حرب الاستقلال، وأغلب الظن أنه هو الذي مهّد لقواد تلك الحرب [1] الهروب خفية إلى الأناضول ليقودوا هذا الشعب المؤمن ويخوضوا به الحرب ضد الغزاة.

---

(١) كان قواد حرب الاستقلال خمسة وهم: كاظم قره بكر، رأفت باشا، علي فؤاد جبسوي، مصطفى كمال، رؤوف أورباي. (من كتاب Bilinmeyen Tarihimiz) للمؤرخ التركي جمال قوطاي ١/ ٥.

لقد كان الشعب مستعداً للتضحية بكل غال ونفيس من اجل عقيدته وحريته، ولم يكن على استعداد مطلقاً أن يسلّم زمامه لأي شخص يُشم منه رائحة معاداة الإسلام. لذا فقد كانت حرب الاستقلال معارك قادتها عقيدة الجهاد في سبيل الله، إذ لم تكن هناك أية فكرة أخرى يمكن أن تستنهض الهمم وتوحد الأمة للدخول في معارك ضارية ضد جيوش عدة دول في ظروف بالغة السوء.

ولكن ما أن استقر الأمر بيد مصطفى كمال، وأصبح الرجل الأول في البلاد حتى ألغى الخلافة، واستبدل بالقوانين الشرعية قوانين سويسرية، وصفّى جميع معارضيه ممن كانوا معه من القواد، وفرض الحياة الغربية على الأمة فرضاً وقننها قانوناً، وجعل مخالفتها جريمة يُعاقب عليها صاحبها بأشد العقوبات، واستبدل الحروف العربية حروفاً لاتينية، وحوّل الأذان الشرعي إلى الأذان باللغة التركية... إلى آخره من الإجراءات الرهيبة.

هنا.. وفي هذا المنعطف الخطير في حياة الأمة وأمام هذه الأعاصير الهائلة المزعزعة للحياة الاجتماعية بأسرها، ظهر بديع الزمان أيضاً ليحمل هُموم الأمة ويقوم بأعباء رسالة نَذَر لها نفسه وحياته وكل لحظة من وقته بعيداً عن المحافل السياسية وأروقتها وانكبّ على تأليف (رسائل النور) ونشرها بين طبقات الأمة في ظروف غاية في الدقة والصعوبة ليهيئ بها مجتمعاً إسلامياً كاملاً يتدفق بالحيوية والإيمان.

والآن نترك القارئ الكريم ليطلع بنفسه على عمل هذا الرجل العظيم في شأن دعوة من أعظم الدعوات على الإطلاق وهي دعوة الإسلام.

الفصل الأول

حياته الأولى

١٢٩٣-١٣٤٣ هـ

١٨٧٧-١٩٢٦ م

مولده:

بين الجبال الشم الرواسي الضاربة بقممها المكسوّة بالثلوج في السماء النقية الصافية، ومع أنداء الفجر ولد سعيد النورسي في قرية (نوْرْس) وهي إحدى قرى قضاء (خيزان) التابع لولاية (بتليس) شرقي الأناضول سنة (١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م).

كان والده (الصوفي ميرزا) ورعاً يُضرب به المثل لم يذق حراماً، ولم يطعم أولاده من غير الحلال. حتى إنه إذا عاد بمواشيه من المرعى شدّ أفواهها لئلاً تأكل من مزارع الآخرين. وتقول أمه (نورية) أنها ما أرضعت أطفالها إلاّ وهي على طهر ووضوء.[1]

نشأته:

ظهرت مخايل النبوغ والذكاء على (سعيد الصغير) منذ طفولته، حيث كان دائم السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه، فكان يحضر مجالس الكبار ويصغي إلى ما يدور بينهم من مناقشات في مسائل شتّى ولاسيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون في منزل والده ليالي الشتاء الطويلة، ويمر بخاطره مرة سؤال ظريف: إذ يقول عن نفسه:

" لقد حدّثتُ خيالي في عهد صباي :

أيّ الأمرين تفضّل ؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبّهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم، أم وجوداً باقياً مع حياة شاقة ؟

---

(١) Bilinmeyen Taraflariyle Bediuzzaman Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٤

فرأيته يرغب في الثانية ويضجر من الأولى، قائلاً:

إنني لا أريد العدم بل البقاء ولو كان في جهنم !". [1]

كان أنوفاً عزيز الجانب، لا يقبل الضيم، ويَنفر من الظلم منذ صغره، وقد تأصّلت وقويت هذه الأخلاق عنده عندما بلغ مبلغ الرجال، وانعكست على كل تصرفاته مع مَنْ قابلهم من مسؤولين وحكام.

خطواته الأولى نحو العلم:

تلقّى علومه الأولى في كتّاب قرية (تاغ) على يد (محمد أفندي) سنة ١٨٨٢ وكان يتلقى على أخيه الكبير (الملا عبدالله) [2] دروساً في عطلة الأسبوع.. إلاّ أنه لم يلبث في هذه القرية طويلا فاستمر على دراسته في قرية (بيرمس).

كان نظام (الكتّاب) في شرقي الأناضول آنذاك قائماً على إعطاء حق فتح المدارس العلمية الدينية لكل عالم مجاز. وتكون مصاريف الطلاب على عاتق منشئ المدرسة إن كان قادراً على ذلك، وإلاّ فإن هذه المصاريف تعطى من زكاة الأهلين ومن تبرعاتهم، لذا كان طلاب المدارس الدينية ينتشرون في القرى لجمع الزكاة لتأمين مصاريفهم، ولكن (سعيداً الصغير) لم يكن يرضى لنفسه أن يأخذ زكاة أو صدقة ،لذلك فإن أصدقاءه عندما توزعوا في القرى لجمع الزكاة والصدقات لم يذهب معهم مما أثار تقدير وإعجاب القرويين الذين جمعوا له فيما بينهم مساعدة مالية وقدّموها له، إلاّ أنه رفض أن يأخذها فاضطروا إلى إعطائها لأخيه (الملا عبدالله).

---

(١) الشعاعات / ٢٧٧_ ٢٧٨

(٢) كان أبناء (ميرزا) سبعة وهم: درية- خانم- عبدالله- سعيد- محمد- عبدالمجيد- مرجان.

وفي سنة ١٨٨٨م ذهب إلى (بتليس) والتحق بمدرسة الشيخ (أمين أفندي) ولم يلبث فيها طويلاً كذلك، لأن الشيخ هذا رفض تدريسه لصغر سنّه وأوكله إلى شخص آخر، مما حزّ هذا في نفسه لذلك فقد قصد إلى مدرسة (مير حسن ولي) في (مُكُس) ثم إلى مدرسة في واسطان (كواش). وبعد شهر واحد فقط ذهب مع صديق اسمه (ملا محمد) إلى مدرسة في قضاء (بايزيد) التابعة لولاية (آغرى).

وهنا بدأت الدراسة الدينية الأساس في حياة (سعيد) إذ إنه لم يكن قد قرأ حتى الآن سوى النحو والصرف.

إجازته العلمية:

في هذه المدرسة وتحت رعاية الشيخ (محمد جلالي) قضى (سعيد) ثلاثة أشهر في دراسة جادّة ومُكثفة حيث قرأ فيها جميع الكتب التي كانت تدرّس عادة في مثل هذه المدارس الدينية، كان يقرأ في اليوم الواحد من متون أصعب الكتب مأتي صفحة ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي.

وكان في هذه الأثناء منقطعاً عن العالم يقضي معظم أوقاته -وخاصة في الليالي- بجانب ضريح الشاعر الولي (أحمد خاني) حيث كان يستمر في القراءة على ضوء الشموع. وبعد انتهاء الأشهر الثلاثة أخذ إجازته العلمية من الشيخ (محمد جلالي).

الذكاء الخارق:

وفي سنة ١٨٨٩م ذهب إلى (بتليس) وحضر بعض دروس الشيخ (محمد أمين) ومن هناك إلى مدينة (شيروان) حيث كان فيها أخوه الكبير (الملا عبدالله). ومنها إلى (سِعرد) حيث ذهب إلى مدرسة العالم المعروف (فتح الله أفندي) الذي سأله:

– كنت تقرأ (السيوطي) [1] في السنة الماضية، فهل تقرأ (الجامي) [2] هذه السنة؟

– لقد قرأته كاملاً.

وبدأ فتح الله أفندي يسرد له أسماء الكتب ويجيبه (الملا سعيد) بأنه قرأها كاملاً، حتى أصبح يتعجب من أمره ويقول له ممازحاً:

– لقد كنت مجنوناً في السنة الماضية فهل مازلت على جنونك ؟

عند ذلك أبدى (الملا سعيد) استعداده للامتحان في تلك الكتب، وفعلاً لم يتردّد أمام أيّ سؤال كان مما ادهش العالم وأعجبه وأخيراً قال له:

– حسناً... إن ذكاءك خارق، ولكن دعنا نرى قوة حفظك. فهل تستطيع أن تقرأ بضعة أسطر من هذا الكتاب مرتين وتَحفظها ؟ ومدّ له كتاب (مقامات الحريري). أخذ (الملا سعيد) الكتاب وقرأ صفحة واحدة منه مرة واحدة فإذا بها كافية لحفظها مما أذهل العالم (فتح الله أفندي) وجعله يقول:

(إن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شيء نادر جداً).

وهناك قرأ الملا سعيد كتاب (جمع الجوامع) في أصول الفقه لابن السبْكي، بمعدل ساعة أو ساعتين في اليوم لمدة أسبوع، وكانت هذه القراءة كافية لحفظ الكتاب عن ظهر قلب،مما دفع العالم (فتح الله أفندي) إلى كتابة العبارة الآتية على غلاف الكتاب: (لقد جمع في حفظه "جمع الجوامع" جميعه في جمعة). [3]

---

(١) المقصود شرح ألفية ابن مالك للسيوطي.

(٢) كتاب مشهور في النحو.

(٣) سيرة ذاتية/ ٥٢

سعيد المشهور:

ولم يلبث أن انتشرت شهرة هذا الشاب الخارق فأقبل عليه علماء المدينة يُجادلونه ويحاولون إحراجه بأسئلتهم وقد أفحمهم جميعاً مما جعلهم يطلقون عليه (سعيدى مشهور) أي سعيد المشهور.

ثم ذهب إلى (بتليس) ومنها إلى مدينة (تِللو) حيث اعتكف مدة في إحدى أماكن العبادة وحفظ هناك من (القاموس المحيط) للفيروز آبادي حتى باب السين.

في سنة ١٨٩٢م ذهب الملا سعيد إلى ماردين حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة، ويجيب عن أسئلة قاصديه، وقد أحسّ والي المدينة (نادر بك) لوشاية البعض بأن هذا الشخص خطر، وأنه يحدث بَلبَلة في المدينة. لذلك قرر نفيه من المدينة، فسيق بصحبة الجندرمة (الشرطة) ويداهُ مغلولتان.. إلى مدينة (بتليس).

وقد عَرَف (عمر باشا) والي بتليس آنذاك بعد مدة قصيرة من وصول (الملا سعيد) فضيلة هذا الشاب العالم ومنزلته فأحبّه وأصّر عليه أن يقيم معه في منزله. امتنع (الملا سعيد) في أول الأمر ولكن الوالي ألحّ عليه كثيراً إلى أن جعله يقبل وخصصّ له غرفة في بيته.

وقد وجد أملا سعيد هنا الفرصة لمطالعة كثير من الكتب العلمية وحفظ كتباً عديدة منها عن ظهر قلب، كما طالع كثيراً من كتب علم الكلام والمنطق والنحو والتفسير والحديث والفقه فحفظ اكثر من ثمانين كتاباً من أمهات كتب العلوم الإسلامية.

وكان يُكرر يومياً قراءة تلك الكتب عن ظهر قلب ويختمها كل ثلاثة اشهر[1] وفي

(١) يروي أحد تلاميذه القدامى –وهو مصطفى صونغور– عن أستاذه النورسي حول هذا الموضوع ما يأتي: "كنت أكرر في "وان" حفظاً لـ "٨٠-٩٠" كتاباً التي كنت قد حفظتها سابقاً وكانت هذه الكتب واسطة للوصول إلى

هذه المدينة اخذ آخر دروسه الدينية من العالم الفاضل الشيخ (محمد الكروي).

الملا سعيد في (وان):

وفي سنة ١٨٩٤م ذهب إلى (وان) بدعوة من واليها (حسن باشا) حيث بقي عنده، ثم في منزل (طاهر باشا). ولقد هيأ الله له ظروف الالتقاء بعض أساتذة العلوم الحديثة من جغرافية، وكيمياء وغيرهما، وحينما دخل معهم في نقاش شَعَر بقصوره في هذه العلوم، مما جعله يُقبل على تعلّمها بشغف عظيم حتى أتقنها وأصبح متمكناً منها لدرجة أنه كان قادراً على التأليف ومناقشة المختصين فيها.

ففي مدة قصيرة جداً استطاع أن يُتقِنَ الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ والجغرافية وغيرها.

ولتعدد قابليته ولذكائه الخارق، ذاعَتْ شهرته أتطلق عليه لقب (بديع الزمان).[1]

الخبر المدهش:

في هذه الفترة وفي أثناء إقامته في (وان) قرأ الوالي له في الصحف المحلية خبراً مدهشاً هزّ كيانه كله هزاً عنيفاً، فقد نشرت الصحف ما قاله وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم: مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به..

زلزل هذا الخبر كيانه زلزالاً شديداً وصمم بينه وبين نفسه على أن يكرّس كل

حقائق القرآن". Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٥٧

(١) سيرة ذاتية / ٦٤

حياته لإظهار إعجاز القرآن وربط المسلمين بكتاب الله حيث قال:

(لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها).[1]

لذلك فقد قرر إنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول باسم (مدرسة الزهراء) لخدمة القرآن . ولتحقيق فكرته هذه فقد شدّ الرحال إلى إسطنبول .

إلى إسطنبول

في سنة ١٩٠٧م وصل إسطنبول و سكن في (خان الشكرجي)[2] في منطقة (فاتح) . كان هذا الخان مقراً لكثير من المفكرين والأدباء أمثال الشاعر المشهور (محمد عاكف)[3] ومدير الرصد الأستاذ (فاتح) ومدرس اللغة المشهور الأستاذ (جلال) وغيرهم...

وفي أثناء إقامته في إسطنبول علّق لوحة على باب غرفته كتب فيها: هنا يُجاب عن كل سؤال وتحل كل مشكلة دون أن يسأل هو أحداً من الناس.[4]

---

(١) نفسه/ ٦٦

(٢) الخان وهي الفنادق التي كانت توجد سابقاً في المدن أو على الطرق بين المدن.

(٣) شاعر إسلامي من أبلغ شعراء الترك (١٨٧٣-١٩٣٦) أصبح عضواً في دار الحكمة الإسلامية اشتهر بديوانه صفحات. نظم نشيد الاستقلال.

(٤) لم يُرَ منه أن سأل أحداً شيئاً طوال حياته. لرؤيا رأى فيها الرسول الأكرم ﷺ في صباه، بقيت محفورة في ذاكرته حتى أواخر حياته، رأى كأن القيامة قد قامت بكل أهوالها وحشر الناس جميعاً، فتملكته رغبة قوية في رؤية النبي ﷺ.. ولكن كيف يستطيع ذلك وأين يلقاه في مثل هذا الزحام؟!.. وبينما هو يفكر في ذلك ويجيل طرفه في الناس خطرت له فكرة الذهاب إلى الصراط المستقيم.. نعم لا شك أن الرسول الكريم ﷺ سيمر من هناك.. أسرع إلى الصراط المستقيم ووقف ينتظر.. مرّ به الأنبياء الكرام-صلوات الله وسلامه عليهم- فقبّل أيديهم كلهم، ثم أقبل الرسول الكريم ﷺ فهوى سعيد الصغير على يديه يقبلهما ثم طلب منه "العلم" فقال له ﷺ: "سيوهب لك علم القرآن شريطة ألاّ تسأل أحداً من أمتي سؤالاً" Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٥٢. سيرة ذاتية / ٤٥

كان هذا إعلاناً غريباً وادّعـاءً مثيـراً، ممـا زاد عـلى شـهرته - التـي سـبقته إلى إسطنبول- من رغبة الكثيرين في رؤيته.

يسرد السيد (حسن فهمي باش اوغلو) [1] ذكرياته حول هذا الموضوع: [2]

عندما جاء شاب يدعى (بديع الزمـان) إلى إسـطنبول كنـت ادرس في مدرسـة (الفاتح) وسمعت أنه علّق لوحة على باب غرفته يقول فيها ما معناه: (هنا يُحل كل أمر معقد ويجاب عن كل سؤال ولكنه لا يسأل أحـداً). وقـد تبـادر إلى ذهنـي أن صاحب مثل هذا الادعاء لابدّ أن يكون مجنوناً، ولكـن تـوالي الثنـاء عـلى (بـديع الزمان) من قبل الجميع من الطلاب والعلماء الذين زاروه أثار في نفسي الرغبة في زيارته. وقد قرّرت أن اختار اعقد الأسئلة وأدقها لأسأله، وكنت آنذاك اعتبـر مـن المتقدمين المتفوقين في المدرسة.

وأخيراً - وفي إحدى الأمسيات- اخترت من الكتب التي تبحث في (الإلهيـات) بعض الموضوعات المعقدّة التي لا يمكن الإجابة عنها إلاّ بمجلدات من الكتب.

وفي اليوم التالي ذهبت لزيارته ووجهت إليه الأسئلة وقد كانت أجوبته عجيبـة وخارقة ومدهشة، إذ أجـابني وكأنـه كـان معـي بـالأمس ينظـر إلى تلـك الكتـب فأصبحت موقناً ومطمئناً بأن علمه ليس كسبياً - كعلمنا - بل هو علم لدنّي.

ويزوره عالم اسمه (حسن أفندي) قضى عمره المديد في التدريس ولم يغب عن التدريس إلاّ يوماً واحداً وهو يوم زيارته لـ(بـديع الزمـان سـعيد النورسـي). وفي اليوم التالي لزيارته، حضر الدرس قائلاً لطلابه: (لم أشاهد مثله أبداً.. إنه من نوادر الخلق.. لم يجئ مثله قط..) [3]

---

(١) أصبح فيما بعد عضواً في هيئة الإشارة للشؤون الدينية التي تقابل وزارة الأوقاف في البلدان العربية.

(٢) كانون الأول ١٩٦٤/ Uhuvvet Gazetesı

(٣) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٦٩-٧٠

وفي إسطنبول قدّم سعيد النورسي عريضة إلى السلطان (عبد الحميد) [1] يطلب فيها فتح المدارس التي تعلّم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء.. الخ، بجانب المدارس الدينية في شرقي الأناضول، حيث يخيم الجهل والفقر على سكانه. وانتقد الاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات لقصر (يلدز) [2] مما أثار نقمة حاشية السلطان – التي لا تمثل فكرة السلطان – فأحالوه إلى الأطباء لفحص قواه العقلية، و أصدرت لجنة الأطباء قراراً بوضعه في مستشفى (طوب طاش) للمجاذيب.

أول تهمة في أول محكمة:

وهناك عندما يحضر أحد الأطباء لفحص قواه العقلية يبادره سعيد النورسي ويحدّثه حديثاً يأخذ بمجامع قلب الدكتور الذي يضطر إلى كتابة ما يأتي في تقريره:

(لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان فمعنى ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد). وعلى إثره أُرسل بديع الزمان إلى وزارة الداخلية حيث قابله الوزير وجرت بينهما المحاورة الآتية:

– الوزير: السلطان يخصّك بالسلام مع مُرتّب بمبلغ ألف قرش وعندما تعود إلى بلدك سيجعل مرتّبك ثلاثين ليرة كما أرسل لك ثمانين ليرة هدية سلطانية لك.

– بديع الزمان: لم أكن أبداً متسوّل مرتّب، ولن أقبله ولو كان ألف ليرة لأنني

(١) كان سعيد النورسي يطلق على السلطان عبدالحميد "السلطان المظلوم" ويصفه بأنه ولي من أولياء الله وخليفة المسلمين (انظرSon Şahitler لنجم الدين شاهينر) (أي الشهود الأواخر) ص ٢١٩.

(٢) يلدز: هو القصر الذي كان يسكنه السلطان عبدالحميد الثاني، والذي كان يدير منه شؤون الدولة.

لم آت لغرض شخصي، وإنما لمصلحة البلد، فما تعرضون عليّ ليس سوى رشوة السكوت.

– الوزير: انك بهذا تردّ الإرادة السلطانية، والإرادة لا تردّ.

– بديع الزمان: إنني أردّ، لكي يَستاء السلطان ويستدعيني ، عند ذلك أستطيع أن أقول له قولة الحق.

– الوزير: ستكون العاقبة غير سارّة.

– بديع الزمان: تعددت الأسباب والموت واحد، فلئن أُعدم فسوف أرقد في قلب الأمة، علماً بأنني عندما جئت إلى إسطنبول كنت واضعاً روحي على كفّي.. اعملوا ما شئتم، فإني اعني ما أقول: إنني أريد أن أوقظ أبناء الأمة ولا أقوم بهذا العمل إلاّ لأنني فرد من هذا البلد لا لأقتطف من ورائه مرتباً، لأن خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا بإسداء النصائح، وهذه لا تتم إلاّ بحسن تأثيرها وهذا لا يتم إلاّ بترك المصالح الشخصية فإنني معذور إذن عندما أرفض المرتب.

– الوزير: إن ما ترمي إليه من نشر المعارف في بلدك هو موضع دراسة في مجلس الوزراء حالياً.

– بديع الزمان: إذن فلِمَ يتأخر نشر المعارف ويستعجل في أمر المرتّب؟ لماذا تؤثرون منفعتي الشخصية على المنفعة العامة للأمة.[1]

في سلانيك:

ثم ذهب إلى (سلانيك) وتعّرف هناك على كبار شخصيات الاتحاد والترقي ولكونه شخصاً يدعو إلى الحرية وإلى مبدأ الشورى الإسلامي، فقد لقى ترحيباً من

(١) سيرة ذاتية / ٧٤

قبل قادة الاتحاد والترقي ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يجعلوه تابعاً لهم إذ بقي مستقل الفكر والشخصية وعندما شعر من بعضهم بعدم الاستقامة وبعداء للدين قال لهم:

لقد اعتديتم على الدين وأدرتم ظهوركم للشريعة.

وهناك في سلانيك طلب اليهودي المشهور (عمانوئيل كراصو) - رئيس المحفل الماسوني وعضو مجلس المبعوثان (النواب) العثماني - مقابلته طمعاً في التأثير على بديع الزمان وجرّ هذه الشخصية المشهورة إلى صفّه. وقد قبل بديع الزمان مقابلته وتمت المقابلة ولكن ما لبث أن خرج اليهودي من عنده قائلاً:

(لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجّني بحديثه في الإسلام)[1] وكراصو هذا أول صهيوني ماسوني عمل على قلب الخلافة، وخلع السلطان عبد الحميد.

مفهوم الحرية:

وعندما أُعلنت المشروطية الثانية[2] في الدولة العثمانية في (٢٣ تموز سنة ١٩٠٨م) صرف جلّ همه إلى إلقاء الخطب، وكتابة المقالات مبيناً فيها مفهوم الحرية في الإسلام، وتأثير الإسلام في الحياة السياسية، ومطالباً بتحكيم الشريعة الغراء، ومحذراً من التفسير الخطأ للحرية، حيث شعر بأن هناك محاولات خبيثة وأيدياً خفية تحاول أن تستفيد من هذه (المشروطية) لخدمة أغراض مناهضة للإسلام، فكان يقول: (بني وطني لا تسيئوا تفسير الحرية كي لا تذهب من أيديكم. لا تصبوا العبودية العفنة في قوالب براقة وتسقونا من علقمها إن الحرية لا تتحقق ولا تنمو إلاّ بتطبيق أحكام الشريعة ومراعاة آدابها).

---

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٨٨

(٢) وهي التي تقضي إعلان الدستور وانتخاب مجلس نواب تكون الوزارة مسؤولة أمامه.

لقاء مع شيخ من الأزهر:

حضر إسطنبول في هذه الأثناء مفتي الديار المصرية وهو الشيخ (بخيت المطيعي) [1] وأراد علماء إسطنبول – الذين عجزوا عن إلزام سعيد النورسي- أن يقوم بمناظرته. وقد قبل الشيخ بخيت ذلك وانتهز فرصة وجوده في مقهى قرب جامع (اياصوفيا) بعد انتهاء الصلاة ليبدأ الحديث معه أمام جمع من العلماء ووجّه إليه السؤال الآتي:

– ما رأيك في الحرية الموجودة الآن في الدولة العثمانية؟ وماذا تقول في مدَنية أوروبا ؟

فأجابه سعيد النورسي:

– إن الدولة العثمانية حبلى بجنين أوروبا وستلد يوماً ما، أما أوروبا فهي أيضاً حبلى بجنين الإسلام وستلد يوماً ما.

وأمام هذا الجواب الموجز العميق لم يتمالك الشيخ (بخيت) نفسه من القول:

إنني أوافق على كلامه، وإنني أحمل هذا الرأي نفسه ولا يمكن المناظرة والمناقشة مع مثل هذا الشاب [2]

وفي (٥ نيسان ١٩٠٩م) تشكلت جمعية (الاتحاد المحمدي) في إسطنبول

---

(١) وهو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية ومن كبار فقهائها. ولد في بلدة (المطيعة) التابعة لمحافظة أسيوط من صعيد مصر، وتعلم في الأزهر واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة (١٢٩٧هـ) واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، ثم عين مفتياً للديار المصرية سنة ١٣٣٣ هـ ، وله كتب قيمة، وتوفي سنة ١٣٥٤ هـ انظر"الأعلام للزركلي" (٦/ ٢٧٤).

(٢) سيرة ذاتية / ٨٤

وأعلن عن تشكيلها بعد اجتماع ديني حاشد في جامع اياصوفيا حيث ألقى فيه (بديع الزمان) خطبة رائعة. ولم يكن من مؤسسي الجمعية وإنما من الداعين إليها والمناصرين لها.

حادثة ٣١ مارت سنة ١٣٢٥ رومي:

كتب الكثيرون عن هذه الحادثة محللين أسبابها فالذين كتبوا بعد عزل السلطان (عبد الحميد) يعزون أسباب هذه الحادثة إلى السلطان عبد الحميد ويعتبرونها محاولة لحركة انقلابية دبرها السلطان للإطاحة بالاتحاد والترقي.

ولكن الكُتب التاريخية المتأخرة بعد ظهور كثير من الوثائق والمذكرات الشخصية للذين عاصروا تلك الحركة تنفي هذه التهمة وتسلط الأضواء على الأسباب الحقيقية لهذه الحادثة الدموية، وتتهم الاتحاد والترقي بتدبيرها أو استغلالها للإطاحة بالسلطان عبد الحميد.

والمرجّح أن هذه الحركة حدثت نتيجة تشابك عدة أسباب منها: إحساس الشعب ببُعد جمعية الاتحاد والترقي عن الدين وعلاقتهم الوطيدة بالماسونيين واليهود، ومنها أن جمعية الاتحاد والترقي أشاعت جواً من الإرهاب في البلد، إذ اُغتيل (حسن فهمي بك) – صاحب جريدة (سربستي) الذي كان يهاجم جمعية الاتحاد والترقي بمقالات عنيفة – فوق جسر (غلطة) ولم يُعثَر على قاتله، كما اغتيل إسماعيل ماهر باشا. وشاع في البلد بأن جمعية الاتحاد والترقي سوف تسرّح جميع الضباط الذين ترقوا عن طريق الخدمة الطويلة في الجيش ولن يبقى في الجيش سوى المتخرجين من الكلية العسكرية، كما شاع بين الناس بأن جمعية الاتحاد والترقي قد باعت (البوسنة) و(الهرسك) وجزيرة (كريت) من البلقان.

في مثل هذا الجو المتوتر والمشحون ضد جمعية الاتحاد والترقي وقعت هذه الحادثة، إذ نشب عصيان بين أفراد الطابور العسكري الذي كان قد اُرسل من قبل

الاتحاديين من مدينة (سلانيك) إلى إسطنبول لحماية المشروطية وكان مقره في (طاش قشلة) فقد ثار الجنود وحبسوا ضباطهم في القشلة.[1] واجتمعوا في منتصف ليلة ٣١ مارت ١٣٢٥ رومي الموافق ١٣ نيسان ١٩٠٩م في ساحة (السلطان أحمد) حيث انضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى معلنين عصياناً دام أحد عشر يوماً، راح ضحيته بعض الأشخاص... وساد جو من الهرج والمرج وإطلاق الرصاص عبثاً، وكان الجنود يهتفون:

- نريد الشريعة.. نريد الشريعة..

انتهت هذه الحادثة بوصول جيش الحركة [2] إلى إسطنبول في (٢٣ نيسان) حيث سيطر على الوضع وعزل السلطان عبدالحميد في (٢٧ نيسان ١٩٠٩)[3] كما أعلنت الأحكام العرفية وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة.

محاكمة:

وكان (سعيد النورسي) من بين الذين قدموا إلى أعواد المشانق، علماً بأن دور بديع الزمان سعيد النورسي في هذه الحادثة كان دوراً مهدئاً، إذ كان ينصح الجنود بالعودة إلى ثكناتهم واحترام أوامر ضباطهم.. وقد خطب في الجنود عدة خطب بهذا المعنى.. ولكن الظاهر أن المحكمة كانت تتهمه لكونه كان يكتب فيمن

---

(١) القشلة بمعنى الثكنة العسكرية.

(٢) وهو الجيش الذي وجّهه الاتحاديون من مدينة سلانيك حيث كانت مركز قوتهم، بقيادة "محمود شوكت باشا" لقمع العصيان وإعادة سلطة الاتحاديين.

(٣) الموافق ليوم ٦ ربيع الآخر ١٣٢٧ الساعة ٣٢-١ زوالية فرغم أن الحاميات الموجودة ي استانبول وخاصة حامية قصر يلدز كانت أقوى بكثير من جيش الحركة إلا أن السلطان عبدالحميد رفض بشدة طلب قواده تشتيت هذا الجيش لئلا تراق الدماء من أجله (من كتاب "تاريخ الدولة العثمانية" لإسماعيل دانشمند ج ٤/ ٣٧٥ (Osmanlı Tarihi Kronolojisi)

يكتب في جريدة (وولقان) (أي البركان) التي نشرت مقالات عنيفة ضد الاتحاد والترقي.

وفي المحكمة - ومنظر جثث خمسة عشر من المشنوقين تُشاهد عبر النافذة- بدأ الحاكم العسكري (خورشيد باشا) بمحاكمة بديع الزمان قائلاً له:

- وأنت أيضاً تدعو إلى تطبيق الشريعة؟ إن مَن يطالب بها يُشنق هكذا (مشيراً بيده إلى المشنوقين)..

فقام بديع الزمان سعيد النورسي وألقى على سمع المحكمة كلاماً رائعاً نقتطف منه ما يأتي:

(إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة. فالإسلام وحده هو ملّتي، لذا أُقوّم كل شيء وأنظر إليه بمنظار الإسلام.

وإنني إذ أقف على مشارف عالم البرزخ الذي تدعونه (السجن) منتظراً في محطة الإعدام ، القطار الذي يقلني إلى الآخرة أشجب وأنقد ما يجري في المجتمع البشري من أحوال ظالمة غدارة. فخطابي ليس موجهاً إليكم وحدكم وإنما أُوجهه إلى بني الإنسان كلهم في هذا العصر. فلقد انبعثت الحقائق من قبر القلب عارية مجردة بسر الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق: ٩) فمن كان أجنبياً غير محرَم فلا ينظر إليها. إنني متهيئ بكل شوق للذهاب إلى الآخرة، ومستعد للرحيل إليها مع هؤلاء المعلقين على المشانق. تصوروا مبلغ اشتياقي إليها بهذا المثال:

قروي مغرم بالغرائب سمع بعجائب إسطنبول وغرائبها وجمالها ومباهجها، كم يشتاق إليها؟

فأنا الآن مثل ذلك القروي مشتاق إلى الآخرة التي هي معرض العجائب

والغرائب.

لذا فإن إبعادي ونفيي إلى هناك لا يُعدّ عقاباً لي. ولكن إن كان في قدرتكم وفي استطاعتكم تعذيبي وإيقاع العقاب عليّ فعذّبوني وجداناً، فدونه ليس عذاباً ولا عقاباً بل فخراً وشرفاً.

لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد. إلاّ أنها الآن تعادي الحياة بأكملها. فإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق؛ فليعش الجنون وليعش الموت، ولتعش جهنم مثوىً للظالمين.

لقد كنت آمل أن يهيئ لي موضع لأبيّن فيه أفكاري. وها قد أصبحت هذه المحكمة العرفية خير مكان لأبث منها أفكاري.

في الأيام الأولى من التحقيق سألوني مثلما سألوا غيري:

(وأنت أيضاً قد طالبت بالشريعة)!

قلت: لو كان لي ألف روح، لكنت مستعداً لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة. أقول: الشريعة الحقة لا كما يطالب بها المتمردون.[1]

وفي جلسة واحدة فقط صدر حكم ببراءة بديع الزمان سعيد النورسي من تلك المحكمة الرهيبة التي شنقت العشرات.

بعد براءة بديع الزمان من المحكمة العرفية، غادر مدينة إسطنبول متوجهاً إلى (وان) سنة ١٩١٠م.. حيث بدأ يلقى دروسه ومحاضراته متجولاً بين القبائل والعشائر يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق.

---

(١) صيقل الإسلام / ٤٣٩-٤٤٠

وهناك ألّف كتابه (المناظرات) الذي طبع في إسطنبول سنة ١٩١٣م.

إلى الشام:

وفي شتاء سنة ١٩١١م (١٣٢٧ هجرية) زار ديار الشام حيث كانت أخته هناك، وألقى خطبة باللغة العربية في الجامع الأموي في دمشق مخاطباً العلماء وجمعاً غفيراً من المصلين، وقد طبعت خطبته هذه في كراسة تحت عنوان (الخطبة الشامية) التي شخّص فيها أمراض الأمة الإسلامية وعلاجاتها، منها:

١- اليأس والقنوط الذي مازال يجد أسباب الحياة في نفوسنا.

٢- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

٣- حب العداوة.

٤- تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

٥- ذيوع الاستبداد، ذيوعَ الأمراض المعدية المختلفة.

٦- حصر الهمة في المنفعة الشخصية، دون الالتفات إلى النفع العام.[1]

ثم بيّن الدواء لكلّ مرض من الأمراض المذكورة مبتدءاً بـ(الأمل)..

ومن دمشق ذهب إلى بيروت ومنها سافر إلى إسطنبول عن طريق البحر للسعي مرة أخرى وراء تحقيق غايته في إنشاء (مدرسة الزهراء) فقابل السلطان (محمد رشاد) واشترك في السياحة التي قام بها السلطان إلى (روم ايلي)[2]

وقد أخذ وعداً من السلطان، ومن جمعية الاتحاد والترقي بفتح دار للفنون الإسلامية (جامعة إسلامية) في الشرق، إلاّ أن أحداث الحرب العالمية الأولى

(١) صيقل الإسلام – الخطبة الشامية/ ٤٩٢

(٢) المناطق العثمانية الواقعة في قارة أوروبا.

قضت على هذا المشروع.[1]

بديع الزمان قائداً ومفتياً:

كان بديع الزمان من أنصار الصلح المنفرد، و معارضاً لدخول الحرب إلاّ أن الحرب عندما اندلعت ودخلت فيها الدولة العثمانية، حمل السلاح وأسرع إلى جَبهة القتال.

وبعد أن شارك في إصدار فتوى الجهاد رجع إلى مدينة (وان) وهناك شكّل من طلابه ومن المتطوعين المدنيين فرقاً للجهاد وبدأوا التدريب على القتال وقد خاطب طلابه قائلاً لهم:

(تهيأوا واستعدوا... إن زلزالاً شديداً أوشك على الأبواب).

واشتهر طلابه بدقة التصويب والجرأة الكبيرة، حتى إن عصابات الأرمن المتعاونة مع القوات الروسية كانت تتهيب لقاء هؤلاء المجاهدين.[2]

في الحرب العالمية الأولى:

كانت معارك دامية تجري في جبهة (القفقاس) في الحرب العالمية الأولى، وكانت روسيا تحاول الاندفاع نحو الأناضول. وفي (١٦ شباط سنة ١٩١٦م) استطاعت الجيوش الروسية -التي كانت ثلاثة أضعاف الجيش العثماني- الدخول إلى مدينة ارضروم..

وفي أثناء هذه المعارك كان (سعيد النورسي) يقاتل هو وطلابه الجيش الروسي

---

(١) سيرة ذاتية / ٥٠٧

(٢) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينز/ ١٤٨

بكل ما أوتوا من جُهد. وفي هذه المعارك وفي خنادق القتال ألّف تفسيره القيّم (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) باللغة العربية فكان يملي وتلميذه (الملا حبيب) يكتب وعندما دخل الجيش الروسي إلى مدينة (بتليس) كان هو وطلابه يدافعون عن المدينة ببسالة نادرة حيث جرى قتال شديد في شوارع المدينة وأزقتها، إلاّ أن القوة الروسية كانت متفوقة إلى درجة كبيرة على القوة الصغيرة المدافعة عن البلدة.

وخلال المعركة جرح جرحاً بليغاً وسقط في بركة للماء تحت أحد الجسور مع أحد طلابه. وبقي في تلك الحالة ثلاثين ساعة مغشياً عليه نتيجة استمرار النزف. وعندما رأى تلميذه أن النزف المستمر والبرد الشديد سيقضيان على أستاذه، ذهب وأخبر الجنود الروس بالأمر.

وهكذا أسر (سعيد النورسي) من قبل الروس وأرسل إلى أحد معسكرات الأسر في (قوصترما) في (شرقي روسيا).[1]

عزة المؤمن الأسير:

وذات يوم قدم هناك إلى المحكمة الحربية بتهمة إهانة القيصر والجيش الروسي.

أما قصة ذلك فهي كما يذكرها المحامي (عبد الرحيم زابصو):[2]

(عندما جُرحت وأُسرتُ في موضع (بتليس) في الحرب العالمية الأولى، وقع بديع الزمان أيضاً في اليوم نفسه أسيراً. فأُرسل إلى أكبر معسكر للأسرى في سيبريا، وأُرسلتُ إلى جزيرة (نانكون) التابعة (لباكو).

---

(١) سيرة ذاتية / ١٢٢

(٢) هذا المقال نشر في مجلة "أهل السنة" الصادرة بإسطنبول في ١٥/ ١٠/ ١٩٤٨ بقلم صاحبها المحامي.

ففي يوم من الأيام عندما يزور نيقولا نيقولافيج المعسكر المذكور للتفتيش يقوم له الأسرى احتراماً، وعندما يمر من أمام بديع الزمان لا يحرك ساكناً ولا يهتم به، مما يلفت نظر القائد العام، فيرجع ويمر من أمامه بحجة أخرى، فلا يكترث به أيضاً. وفي المرة الثالثة يقف أمامه، وتجري بينهما المحاورة الآتية بوساطة مترجم:

– أما عرفني؟

– نعم لقد عرفته إنه نيقولا نيقولافيج، خال القيصر والقائد العام لجبهة القفقاس.

– فِلمَ إذن قَصَد الإهانة؟

– كلا! معذرة. إنني لم استهن به. وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.

– وما ذا تأمر العقيدة؟

– إنني عالم مسلم أحمل في قلبي الإيمان، فالذي يحمل الإيمان في قلبه أفضل ممن لا يحمله. فلو أنني قد قمت له احتراماً لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي. ولهذا لم أقم له.

– إذن فهو بإطلاقه صفة عدم الإيمان عليّ يكون قد أهانني وأهان جيشي وأهان أمتي والقيصر فليشكّل حالاً محكمة عسكرية للنظر في استجوابه.

وتتشكل محكمة عسكرية بناء على هذا الأمر، ويأتي الضباط الأتراك والألمان والنمساويون للإلحاح على بديع الزمان بالاعتذار من القائد الروسي وطلب العفو منه إلاّ أنه أجابهم بالآتي: (إنني راغب في الرحيل إلى دار الآخرة والمثول بين يدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . فأنا بحاجة إلى جواز سفر فحسب للآخرة. ولا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني...)

وتجاه هذا الكلام يؤثر الجميع الصمت منتظرين النتيجة.

وتنهي المحكمة أعمالها بإصدار قرار الإعدام بموجب مادة إهانة القيصر والجيش الروسي. وتحضر مفرزة يقودها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام. ويقوم بديع الزمان إلى الضابط الروسي قائلاً له بابتهاج: اسمحوا لي خمس عشرة دقيقة فقط لأؤدي واجبي.

فيقوم إلى الوضوء وفي أثناء أدائه الصلاة، يحضر نيقولا نيقولافيج ويخاطبه:

– أرجو منك المعذرة. كنت أظن أنكم قمتم بعملكم هذا قصد إهانتي، فاتخذت الإجراءات القانونية بحقكم، ولكن الآن أدركت أنكم تستلهمون هذا العمل من إيمانكم، وتنفذون ما تأمركم به عقيدتكم. لذا أبطلت قرار الحكم بحقكم. إنكم تستحقون كل تقدير وإعجاب لصلاحكم وتقواكم. أرجو المعذرة فقد أزعجتكم. وأكرر رجائي مراراً: أرجو المعذرة.

إن هذه العزة الدينية، وهذه السجية الرفيعة التي هي قدوة حسنة للمسلمين جميعاً أخبر عنها أحد أصحابه في معسكر الأسر، وهو برتبة نقيب، وكان شاهد عيان للحادثة.

وأنا ما إن عرفت هذا حتى اغرورقت عيناي بالدموع دون اختيار مني)[1]

ذكريات الأسر:

وبعد أن مكث سعيد النورسي في الأسر مدة سنتين وأربعة أشهر وأربعة أيام، استطاع الهرب منه إثر حدوث الثورة البلشفية وما تبعها من اضطراب وفوضى، فوصل إلى ألمانيا حيث أُستقبل هناك استقبالاً كبيراً ومنها توجه إلى إسطنبول.

وسجل سعيد النورسي ذكرياته عن أيام أسره هذا قائلاً:

---

(١) الشعاعات/ ٥٧١

(كنت أسيراً أثناء الحرب العالمية الأولى في مدينة قصية، في شمال شرقي روسيا تدعى (قوصترما). كان هناك جامع صغير للتتار على حافة نهر (فولغا) المشهور.. كنت ضجراً من بين زملائي الضباط الأسرى، فآثرت العزلة، إلاّ أنه لم يكن يسمح لي بالتجوال في الخارج دون إذن ورخصة، ثم سمح لي بأن أظل في ذلك الجامع بضمانة أهل حيّ التتار وكفالتهم، فكنت أنام فيه وحيداً، وقد اقترب الربيع، وكانت الليالي طويلة جداً في تلك البقعة النائية..

كان الأرق يصيبني كثيراً في تلك الليالي الحالكة السواد، المتسربلة بأحزان الغربة القاتمة، حيث لا يُسمع إلاّ الخرير الحزين لنهر (فولغا)، والأصوات الرقيقة لقطرات الأمطار، ولوعة الفراق في صفير الرياح.. كل ذلك أيقظني - مؤقتاً- من نوم الغفلة العميق..

ورغم أنني لم أكن اعدّ نفسي شيخاً بعدُ، ولكن من يرى الحرب شيخ، حيث أيامها يشيب من هولها الولدان، وكأن سراً من أسرار الآية الكريمة ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (المزمل: ١٧) قد سرى فيها. ومع أنني كنت قريباً من الأربعين إلاّ أنني وجدتُ نفسي كأنني في الثمانين من عمري..

في تلك الليالي المظلمة الطويلة الحزينة، وفي ذلك الجو الغامر بأسى الغربة، ومن واقعي المؤلم الأليم، جثم على صدري يأس ثقيل نحو حياتي وموطني، فكلما التفتُّ إلى عجزي وانفرادي انقطع رجائي وأملي. ولكن جاءني المدد من القرآن الكريم..

فردد لساني: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣)

وقال قلبي باكياً: أنا غريب.. أنا وحيد.. أنا ضعيف.. أنا عاجز.. أنشد الأمان.. أطلب العفو.. أخطب العون.. في بابك يا إلهي.

أما روحي التي تذكرت أحبابي القدامى في بلدي، وتخيلت موتي في هذه

الغربة، فقد تمثلت بأبيات نيازي المصري، [1] وهي التي تبحث عن صديق:

مررت بأحزان الدنيا، وأطلقت جناحي
للحرمان
طائراً في شوق، صائحاً في كل لحظة:
صديق!.. صديق..!

على أي حال.. فقد أصبح عجزي وضعفي في تلك الليالي المحزنة الطويلة والحالكة بالفرقة والرقة والغربة وسيلتين للتقرب إلى عتبة الرحمة الإلهية، وشفيعين لدى الحضرة الإلهية، حتى إنني لا أزال مندهشاً كيف استطعت الفرار بعد أيام قليلة. وأقطع بصورة غير متوقعة مسافة لا يمكن قطعها مشياً على الأقدام إلاّ في عام كامل، ولم أكن ملمّاً باللغة الروسية. فلقد تخلصت من الأسر بصورة عجيبة محيّرة، بفضل العناية الإلهية التي أدركتني بناء على عجزي وضعفي، ووصلت إسطنبول ماراً بـ(وارشو) و(فينا). وهكذا نجوت من ذلك الأسر بسهولة تدعو إلى الدهشة، حيث أكملت سياحة الفرار الطويل بسهولة ويسر كبيرين، بحيث لم يكن لينجزها أشجع الأشخاص وأذكاهم وأمكرهم وممن يلمّون باللغة الروسية..) [2]

في دار الحكمة الإسلامية:

وفي إسطنبول عُين عضواً في (دار الحكمة الإسلامية) [3] تقديراً له في (١٣

(١) نيازي المصري: شاعر تركي صوفي (١٦١٨-١٦٩٤م)، ولد في قرية قريبة لولاية "ملاطية". أكمل دراسته في الأزهر الشريف فلقّب بـ "المصري"، له ديوان شعر ومؤلفات منها: رسالة الحسنين، موائد العرفان وعوائد الإحسان، هداية الإخوان. تولّى الإرشاد في مدارس إسطنبول العلمية.

(٢) اللمعات ص ٣٥٩

(٣) وهي هيئة علمية تابعة للمشيخة الإسلامية للدولة العثمانية. يروي المؤرخ (إسماعيل حقي) أنه استفسر أستاذه مصطفى

أغسطس ١٩١٨) دون علمه حيث كانت عضوية الدار لا توجَّه إلاّ للأشخاص والعلماء البارزين، إذ كان من أعضائها: الشاعر المعروف (محمد عاكف)، والعالم (إسماعيل حقي)، والمفسر المعروف (حمدي آلمالى) وشيخ الإسلام (مصطفى صبري) و(سعد الدين باشا) وغيرهم.

ولم يُشارك سعيد النورسي في اجتماعات دار الحكمة لما كان يحس به من حاجة حقيقية إلى الراحة، بعد ما قاساه من عناء أيام الأسر. وعندما تكرر غيابه، أرسل طلبا يرجو إعفاءه من هذه العضوية.

وفي هذه الفترة كانت الحكومة قد خصصت له مرتّباً ولم يأخذ من هذا المرتّب سوى ما يقيم به أوده والباقي طبع به بعض الرسائل، وأمر بتوزيعها مجاناً على المسلمين.

يقول ابن أخيه (عبد الرحمن) [1] الذي كان يعيش معه في هذه الفترة في رسالة بعث بها إلى عَمه عبدالمجيد:

(إنني مُحتار من أحوال عمّي (سعيد) فقد أطفأ عندي جميع الآمال الدنيوية، فالحكومة تعطيه مرتّباً جيداً، وأنا أقوم بادّخار ما يفضل عن مصاريفنا، وقد ألف كتباً عدة واستدعاني مرة قائلاً: اذهب واستدع مدير المطبعة الفُلانية. ذَهبت، وعندما قدّم مؤلفاته إلى المدير قال لي: يا عبدالرحمن! هات ما ادّخرته من نقود، وادفعها للسيد المدير. فنفّذت له ما أراد، وعندما ذهب المدير أمتلأت عيناي بالدموع، ولكنّي بدأت أعزي نفسي قائلاً:

هذه الكتب ستطبع وستباع، وأن النقود سترجع وسأدخرها. ولكن بعد عدة

صبري (شيخ الإسلام) عن سبب ضم النورسي إلى دار الحكمة، فأجابه: لأنه ضليع بعلم الحديث النبوي، وأبدى آخرون السبب نفسه لانضمام الأستاذ إلى دار الحكمة Aydınlar Konusuyur ص ٣٠٣ لنجم الدين شاهينر.

(١) هو عبدالرحمن بن عبدالله، ابن شقيق الأستاذ النورسي ولد سنة ١٩٠٣ في نورس وتوفي سنة ١٩٢٨ ودفن في قرية (ذو الفضل) في أنقرة. كتب تاريخ حياة الأستاذ حتى عام ١٩١٨ ونشره بكتاب طبع في إسطنبول.

أيام أرسلني مرة أخرى لاستدعاء المدير. في هذه المرة قال للمدير: (أرجو أن تكتب على كتبي بأنها توزع مجاناً على الأمة الإسلامية).

عندما خرج المدير شعرتُ بأن الرابطة الروحية التي كنت أحسها تجاه عمي الكبير قد تزعزعت، ولم أستطع أن أتمالك نفسي عن البكاء. فقلت له: يا عمي! كنتُ ادّخر بعض النقود لكي أقوم بتعمير بيتنا الذي خّربته الحرب، والآن فقد قتلت ذلك الأمل.. أيجوز ذلك؟

وابتسم عمي قائلاً لي:

- يا ابني.. يا عبدالرحمن! إن الحكومة كانت تعطينا مرتّباً كبيراً وليس لي أن آخذ منه إلاّ كفاف النفس، أما ما زاد عن ذلك، فيجب أعادته إلى بيت المال، لذا فإنني قمت بإعادته إلى المسلمين، ولا اعتقد بأنك ستفهم هذا ولكن اعلم بأن الله إن شاء فسيعطيك بيتاً في أي مكان كان من هذا الوطن. [1]

نذير الصحوة:

وعندما تتوالى المصايب والهزائم على الدولة العثمانية، وتدخل جيوش الدول الاستعمارية تركيا وتعقد معاهدة (سيفر) يحس سعيد النورسي بهذه الطّعنات وكأنها توجه إلى قلبه:

(لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى أعماق قلبي). [2]

ويكتب عن هذه الفترة من حياته قائلاً:

(عندما رجعت من الأسر، كنت أسكن مع ابن أخي (عبد الرحمن) في قصر على

---

(١) سيرة ذاتية / ١٣٥

(٢) نفسه / ١٣٧

قمة (جاملجة) في إسطنبول. ويمكن أن تعتبر هذه الحياة التي كنت أحياها حياة مثالية من الناحية الدنيوية بالنسبة لأمثالنا؛ ذلك لأنني قد نجوت من الأسر، وكانت وسائل النشر مفتوحة أمامي في (دار الحكمة الإسلامية) وبما يناسب مهنتي العلمية، وان الشهرة والصيت والإقبال عليّ تحفّ بي بدرجة لا استحقها، وأنا ساكن في أجمل بقعة من إسطنبول (جاملجة)، وكل شيء بالنسبة لي على ما يرام، حيث إن ابن أخي (عبد الرحمن) - رحمه الله- معي، وهو في منتهى الذكاء والفطنة، فهو تلميذ ومضحّ وخادم وكاتب معاً، حتى كنت أعدّه ابناً معنوياً لي.

وبينما كنت أحس بأني أسعد إنسان في العالم، نظرت إلى المرآة، ورأيت شعيرات بيضاء في رأسي وفي لحيتي، وإذا بتلك الصحوة الروحية التي أحسست بها في الأسر في جامع (قوصترما) تبدأ بالظهور. فأخذتُ أنعم النظر وأفكر مدققاً في تلك الحالات التي كنت ارتبط بها قلبياً، وكنت أظنها أنها هي مدار السعادة الدنيوية. فما من حالة أو سبب دققت النظر فيه، إلاّ رأيت أنه سبب تافه وخادع، لا يستحق التعلق به، ولا الارتباط معه. فضلاً عن ذلك وجدت في تلك الأثناء عدم الوفاء وفقدان الصداقة من صديق حميم، يُعدّ من أوفى الأصدقاء لي، وبشكل غير متوقع وبصورة لا تخطر على بال.. كل ذلك أدى إلى النفرة والامتعاض من الحياة الدنيا، فقلت لقلبي:

يا تُرى هل أنا منخدع كلياً؛ فأرى الكثيرين ينظرون إلى حياتنا التي يُرثى لها من زاوية الحقيقة نظر الغبطة؟ فهل جُنَّ جنون جميع هؤلاء الناس؟ أم أنا في طريقي إلى الجنون، لرؤيتي هؤلاء المفتونين بالدنيا مجانين بلهاء؟! وعلى كل حال.. فالصحوة الشديدة التي صحوتها برؤية الشيب جعلتني أرى أولاً: فناء ما ارتبط به من الأشياء المعرّضة للفناء والزوال!!

ثم التفتّ إلى نفسي، فوجدتها في منتهى العجز!.. عندها صرختْ روحي وهي

التي تنشد البقاء دون الفناء وتشبثت بالأشياء الفانية متوهمة فيها البقاء، صرخت من أعماقها: (مادمتُ فانية جسماً فأي فائدة أرجوها من هذه الفانيات؟ وما دمتُ عاجزة فماذا انتظر من العاجزين؟.. فليس لدائي دواء إلاّ عند الباقي السرمدي، عند القدير الأزلي فبدأت أبحث وأستقصي..) [1]

وفي هذه الأثناء وقوات الاحتلال الإنكليزي تحتل إسطنبول (١٦ مارت ١٩٢٠) ألّف بديع الزمان كتابه: (الخطوات الست) وأخذ ينشره سراً بمساعدة طلابه وأصدقائه.. يهاجم بديع الزمان في هذا الكتاب الإنكليز بلهجة قوية رادعة ويفحم الشبهات التي أثيرت آنذاك ببراهين قاطعة مفنداً حججهم ويلفت أنظار المسلمين إلى أطماعهم ويحارب اليأس الذي تسلط على كثير من النفوس ويشدّ العزائم. [2]

ومن سلسلة المؤامرات على الإسلام، وجّه الإنكليز عن طريق كنيسة (انكليكان) ستة أسئلة إلى المشيخة الإسلامية لتجيب عنها بستمائة كلمة. فوجهت المشيخة هذه الأسئلة إلى بديع الزمان وكان جوابه (إن هذه الأسئلة لا يُجابُ عنها بستمائة كلمة، ولا بست كلمات.. ولا بكلمة واحدة.. بل ببَصقة واحدة على الوجه الصفيق للإنكليزي اللعين). [3]

وبعد أن انهارت الدولة العثمانية ومزقت، ظهرت رغبة عند بعض المثقفين الأكراد في إنشاء دولة كُردية في الولايات الشرقية من تركيا، ولكون سعيد النورسي كردي الأصل وذا منزلة كبيرة في نفوس أهالي الولايات الشرقية أرسل إليه أحد الصحفيين رسالة يطلب فيها الانضمام إلى الداعين لتكوين هذه الدولة، وقد أجابه سعيد النورسي برسالة مطوّلة قال فيها:

(يا رفعت بك.. سأكون معك إن حاولت أحياء الدولة العثمانية.. وأنا مستعد

---

(١) اللمعات / ٣٦٦

(٢) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٢١٢

(٣) سيرة ذاتية / ١٤٥

للتضحية بنفسي في هذا السبيل. أما تكوين دولة كردية.. فلا!).

وكذلك تسلّم الاقتراح نفسه والطلب من السيد عبدالقادر رئيس جمعية (تعالي الأكراد) فكان جوابه هو الرفض أيضاً.[1]

فتوى:

بدأت حركة المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي في الأناضول، فأصدر شيخ الإسلام عبدالله أفندي تحت ضغط المحتلين الإنكليز فتوى ضد هذه الحركة والقائمين بها، ولكن سرعان ما قام ستة وسبعون مفتياً مع ستة وثلاثين عالماً واحد عشر نائباً بإصدار فتاوى مضادة، حيث أيدوا تلك الحركة وشجعوا على قتال المحتلين، وكان بديع الزمان أحد هؤلاء العلماء حيث قال:

(إن فتوى تصدر عن مشيخة وإدارة هي تحت ضغط الإنكليز وإمرتهم لابد أن تكون غير سليمة، ولا يجوز الانصياع لها، ذلك لأن الذين قاموا بمقاومة احتلال الأعداء لا يمكن اعتبارهم عصاة، لذا يجب سحب هذه الفتوى).[2]

مع مصطفى كمال:

ولاشتهار بديع الزمان بعدائه للمحتلين، فقد دُعي إلى أنقرة -مركز حركة المقاومة- من قبل مصطفى كمال للانضمام إليهم، إلاّ أنه رفض الدعوة قائلاً:

(إنني أريد أن أُجاهد في أخطر الأمكنة، وليس من وراء الخنادق، وأنا أرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول).[3]

ولكن الدعوة تكررت، فذهب إليها سنة ١٩٢٢ قبيل عيد الأضحى، حيث

---

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٢١٠-٢١١

(٢) نفسه/ ٢٣٢

(٣) سيرة ذاتية / ١٤٤

استقبل في المحطة استقبالاً حافلاً، إلاّ أنه لم يسعد في أنقرة كثيراً، إذ لاحظ بأسف بالغ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة، كما أن تصرفات مصطفى كمال وسلوكه المعادي للإسلام أحزنه كثيراً، لذلك فقد قرر أن يطبع بياناً في ١٩/ ١/ ١٩٢٣ يتضمن عشرة مواد موجهاً إلى النواب يعظهم ويذكّرهم بالإسلام مستهلاً بـ:

(يا أيها المبعوثون.. إنكم لمبعوثون ليوم عظيم).[١]

وكان من نتيجة هذا البيان الذي وزّع بين النواب، وتولّى إلقاءه الجنرال كاظم قره بكر (القائد الأول لحركة الاستقلال) إن ما يقارب ستين نائباً من النواب قد استقاموا على التدين وأقاموا الصلاة، حتى إن مسجد بناية المجلس لم يعد كافياً للمصلين، فانتقلوا إلى غرفة أكبر.

لم يرض مصطفى كمال عن هذا البيان، فاستدعى بديع الزمان وحدثت بينهما مشادّة عنيفة، وكان مما قاله مصطفى كمال:

– لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول عمل قمتَ به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهودكم هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس.

فأجابه بديع الزمان مشيراً إليه بإصبعه في حدة:

(باشا.. باشا.. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود..)[٢]

لذلك فكّر مصطفى كمال بإبعاده عن أنقرة بحجة تعيينه واعظاً عاماً للولايات الشرقية وبمرتّب مُغرٍ، ولكن سعيد النورسي رفض هذا الطلب.

---

(١) ونصه في المثنوي العربي النوري/ ٢٠٠

(٢) سيرة ذاتية / ١٨٦

آثاره في هذه الفترة:

نرى أنه خلال هذه الفترة أي بعد مجيئه من الأسر وطوال مكوثه في إسطنبول مع فترة بقائه في أنقرة نشر رسائل وكتباً باللغتين التركية والعربية.

فأول ما نشره باللغة العربية هو (إشارات الإعجاز) ثم في سنة (١٩٢١م) (قزل إيجاز في المنطق).وفي أنقرة ألّف: ذيل الذيل - حباب وأجزاء أخرى من المثنوي العربي النوري.

أما باللغة التركية فنشر في سنة (١٩٢٣) (السنوحات). وفي سنة (١٩٢١)كان قد نشر الرسائل الآتية: (رموز، إشارات، طلوعات، لمعات، شعاعات من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم، نقطة من معرفة الله جلّ جلاله).

وقد أورد في هذه الرسائل دلائل قاطعة على وجود الله ووحدانيته، محاولاً بذلك التصدي لموجة الشك والإلحاد والبعد عن الدين التي ظهرت بين أوساط المفتونين بالغرب، حيث يصف هذه الحالة في مقدمة (رسالة الطبيعة):

(دعيتُ لزيارة (أنقرة) سنة ١٣٣٨(١٩٢٢م) وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي، إلاّ أنني أبصرتُ -خلال موجة الفرح هذه- زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها.. فتأسفتُ من أعماق روحي، وصرختُ مستغيثاً بالله العلي القدير ومعتصماً بسور هذه الآية الكريمة ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠) من هذا الغول الرهيب الذي يريد أن يتعرض لأركان الإيمان، فكتبت برهاناً قوياً حاداً يقطع رأس تلك الزندقة، في رسالة باللغة العربية واستقيت معانيها وأفكارها من نور هذه الآية الكريمة لإثبات بداهة وجود الله سبحانه ووضوح وحدانيته، وقد طبعتها في مطبعة (يَني كون) في أنقرة.. إلاّ أنني لم ألمس آثار البرهان الرصين في

مقاومة الزندقة وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس. وسبب ذلك كونه مختصراً ومجملاً جداً، فضلاً عن قلة الذين يُتقنون العربية في تركيا وندرة المهتمين بها آنذاك، لذا فقد انتشرت أوهام ذلك الإلحاد واستشرت في صفوف الناس مع الأسف الشديد، مما اضطرني إلى إعادة كتابة تلك الرسالة ببراهينها بالتركية، مع شيء من البيان والتوضيح فكانت هذه الرسالة..)[1]

رحلة إلى (وان) ١٩٢٣:

غادر أنقرة بعد أن لمس عن كثب وشعر بالنوايا الخفية السيئة التي كان يكنّها للإسلام الكثير من المسؤولين، أصابه حزن عميق جعله يكثر من التهجد والعبادة والشكوى إلى الله مما آلت إليه حالة المسلمين، فقضى الكثير من أوقاته في (وان) قرب إحدى خرائب مهجورة قديمة على جبل (أرك) واستمر على الاعتكاف والانزواء، وكأن الله يهيئه لمواجهة الخطوب الهائلة والأعاصير المدمّرة التي أوشكت أن تهب على الإسلام[2]. ويقول عنه أحد طلابه:

(كان يقوم لصلاة التهجد كل ليلة، وكُنت أحياناً أراه وهو يصلي، فلا أستطيع النوم. وعندما كان يراني مستيقظاً يقول لي: (مادمت مستيقظاً فتعال وشاركني في الدعاء) ولكني كنت أجهل قراءة أي دعاء، فكان يقول لي: سأدعو أنا وردد أنت بعدي: آمين).

وكنت أغفو أحياناً أثناء الدعاء، فكان ينظر إلي ويقول:

– لقد كنت أنا أيضاً مثلك.. ولكنك ستتعود).[3]

---

(١) اللمعات/ ٢٦٧

(٢) يروي أحد طلابه "مصطفى صونغور": أن الأستاذ كان يقضي خمس ساعات كل ليلة دون استثناء في الدعاء والعبادة حتى الثمانين من عمره، ولكن بعد هذا العمر كان يقضي ساعتين من الليل في التهجد، ويقرأ أدعيته نهاراً.

(٣) سيرة ذاتية / ٥٢٠

ثورة الشيخ سعيد بيران:

نشبت ثورة في الأقاليم الشرقية في تركيا بقيادة (الشيخ سعيد بيران) الذي كان شيخا للطريقة النقشبندية وزعيماً بارزاً بين العشائر الكردية، وكانت هذه الثورة موجّهة ضد سياسة مصطفى كمال الذي أثار نقمة الشعب باتجاهه المعادي للدين الإسلامي.

وقُبيل اندلاع الثورة أرسل الشيخ (سعيد بيران) رسائل إلى الأستاذ سعيد النورسي يطلب منه الاشتراك معه في الثورة ضد حكومة أنقرة، فرفض لعدم رغبته في إهراق دم المسلمين الأبرياء في حركة لا أمل فيها.

ونسجل هنا حواراً جرى بينه وبين (حسين باشا) رئيس إحدى العشائر الكردية:

حسين باشا: أريد أن أستشيرك في أمر، إن جنودي حاضرون والخيول موجودة، وكذلك الأسلحة والذخائر، وأنا أنتظر أمراً منكم.

سعيد النورسي: ماذا تقول؟ ما الذي تنوي فعله؟ ومَن ستحارب؟

حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال.

سعيد النورسي: ومَن هُم جنود مصطفى كمال؟

حسين باشا: ماذا أقول.. إنهم جنود!!

سعيد النورسي: إن جنوده هم أبناء هذا الوطن، هم أقرباؤك وأقربائي. فمَن تقتل؟ ومَن سيقتلون؟ فكّر.. وافهم! إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه..

حسين باشا: إن الموت لأفضل من مثل هذه الحياة.

سعيد النورسي: وما ذنب الحياة؟ إذا كُنت قد ملَلْتَ حياتك، فما ذنب المسلمين المساكين؟

حسين باشا: (متحيراً) لقد أفسدت عليّ عزيمتي ورغبتي ولا أدري كيف سأقابل عشيرتي التي هي بانتظار عودتي وسيظنون أنني جبنت. لقد أضعت قيمتي بين العشيرة.

سعيد النورسي: وماذا لو كانت قيمتك صفراً بين الناس، وكنت مقبولاً عند الله تعالى؟

وعندما قال له (حسين باشا) بأنه يريد من ثورته تطبيق الشريعة الإسلامية.. قال له سعيد النورسي: أتريد تطبيق الشريعة الإسلامية؟ إن تطبيق الشريعة لا يكون بهذه الطريقة. فلو قلت لك:

يا حسين باشا تعال مع جنودك الثلاثمائة لتطبيق الشريعة، فإن جنودك وهم في طريقهم إلى هنا سيقومون بنهب وسلب وقتل كل من يمرون عليهم في الطريق.. وهذا مخالف للشريعة).[1]

وهذا يدل على أن الأستاذ سعيد النورسي – مع عدم رغبته في إهراق دماء المسلمين– لم يكن يثق في هؤلاء الأشخاص ومدى وعيهم الإسلامي ومدى قدرتهم على تمثيل الإسلام.

ولكن موقفه هذا لم ينجه من غضب حكومة أنقرة إذ بدأت الحكومة – بعد إخفاق حركة شيخ سعيد بيران– بالقبض على رؤساء العشائر الكردية وزعمائهم ونقلهم ونفيهم إلى مدن أخرى ووضعهم تحت المراقبة، وبالرغم من كون الأستاذ سعيد النورسي متفرغاً للعبادة في أطلال مهجورة على قمة جبل فإن الحكومة أرسلت مفرزة لاعتقاله، علماً بأن عشائر مدينة (وان) – التي كان الأستاذ سعيد النورسي موجوداً فيها– لم تشترك في هذه الحركة بتأثير منه كما سبق آنفاً.

---

(١) سيرة ذاتية / ٢٠٧

اعتقال ونفي ١٩٢٥:

صعدت المفرزة إلى الجبل واعتقلت العالم المنقطع للعبادة ونقل إلى إسطنبول عن طريق (ارضروم) فـ(طرابزون) وتمت الرحلة على زحافات تجرّها الخيول فوق الثلوج التي كانت تغطي الجبال في ذلك الشتاء القارس.

بقي في إسطنبول تحت الحراسة مدة عشرين يوماً حيث صدر الأمر بنقله إلى مدينة (بوردور) التي بقي فيها سبعة أشهر، وطوال مدة إقامته تلك تفرغ للعبادة، وفي تأليف رسالة (المدخل إلى النور) وهي عبارة عن دورس قرآنية . استنسخت باليد فيما بعد وتداولها طلابه ومحبوه، ومن ثم نقل إلى (إسبارطة) حيث بقي فيها عدة أشهر.

إلى (بارلا) على متن زورق:

ولم يدعوه هنا أيضاً، إذ صدرت الأوامر بنفيه هذه المرة إلى ناحية (بارلا) النائية.

ويقص (شوكت دميرآي) وهو الجندي المكلّف بنقل الأستاذ النورسي إلى ناحية (بارلا) ذكرياته فيقول:

(كُنتُ في مدينة (اغريدير) عندما استدعوني إلى مركز البلدية صباح أحد الأيام.. فذهبت إليه وكان هناك القائمقام وآمر الجندرمة مع أعضاء هيئة البلدية وشخص معمم في العقد الرابع من عمره يلبس جبّة وله هيئة وقورة.

خاطبني آمر الجندرمة قائلاً:

– اسمع يا بني، عليك أن تأخذ شيخنا هذا المعروف ببديع الزمان إلى (بارلا). إن وظيفتك هذه مهمة جداً، وعندما تسلّمه إلى المخفر هناك دعهم يوقعوا على الأوراق الرسمية ثم أخبرنا بذلك. قلت له :حسناً يا سيدي.

خرجت مع الشيخ وفي الطريق قلت له:

– يا شيخنا أنت بمثابة والدي وأن هذه وظيفة كلّفتُ بها فأرجو أن لا تستاء منّي.

ثم يستمر في وصف الرحلة بالقارب الشراعي فيقول:

(كان الجو بارداً، فالفصل شتاء ومياه البحيرة متجمدة هنا وهناك وأحد جذافي القارب يكسر الثلوج بعصاً طويلة في يده ويفتح بذلك طريقاً للقارب الشراعي.

بدأ الشيخ بديع الزمان بتوزيع بعض الزبيب اليابس وبعض الحلوى علينا، كنت أتفحصه بدقة فوجدته هادئاً كل الهدوء إذ كان يتأمل في البحيرة والجبال المحيطة بنا..

ولكون النهار قصيراً فقد أزف وقت صلاة العصر بسرعة . أراد أن يصلي واقفاً فوجّهنا القارب باتجاه القبلة . سمعت صوتاً يقول:

– الله أكبر!.. لم أكُن قد سمعت في حياتي كلّها تكبيرة بهذه الرهبة والخشوع، شعرت بأن الشعرَ في أجسادنا قد وقف. لم تكن حركاته وأطواره تشبه أطوار الشيوخ الذين عرفناهم..

كُنا نحاول جهدنا أن نبقى على القارب باتجاه القبلة وعندما أنهى الشيخ صلاته، التفتَ إلينا قائلاً:

– شكراً لكم يا إخوتي، لقد أتعبتكم!

كان شخصاً متواضعاً ودمث الأخلاق.[1]

(١) سيرة ذاتية / ٢١٨

الفصل الثاني

ظهور رسائل النور

١٣٤٣ هـ

١٩٢٦ م

بارلا:

وصل الأستاذ سعيد النورسي إلى منفاه (بارلا) من أعمال (إسبارطة) في غربي الأناضول في شتاء سنة ١٩٢٦م حيث قضى الليلة الأولى في مخفر الشرطة، ثم خصص لإقامته بيت صغير يتألف من غرفتين ويطلّ على مروج (بارلا)، وبساتينها الممتدة إلى بحيرة (اغريدير) العذبة.

وهناك على بعد أربع ساعات من البلدة، وعلى جانب من البحيرة الجميلة التي تملك جزيرتين في وسطها كانت تنتصب جبال (اغريدير) المكسوّة بأشجار الصنوبر.

وفي تلك الفترة كانت تركيا تعيش دوراً حالكاً جداً من الاستبداد والطغيان والعداء الصريح الشرس للدين ومحاولة إطفاء نور الله ومحاربة شريعته، باسم التمدن والحضارة.

استمرت هذه الفترة مدة ربع قرن من الزمان (حتى سنة١٩٥٠م) وكانت النية معقودة على قطع صلة الأمة التركية بإسلامها قطعاً جذرياً، فلما رأوا صعوبة ذلك خططوا لكي ينشأ الجيل المقبل نشأة بعيدة عن الإسلام، وذلك بتجفيف كل الينابيع التي تغذي روحه وعقله بالإسلام ومبادئه الفطرية..

فمنعوا تدريس الدين في المدارس، وبدّلوا حروف الكتابة العربية إلى الحروف اللاتينية، وأعلنوا علمانية الدولة، وشكّلوا محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، حيث نصبت المشانق للعلماء المسلمين، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة.

ومن سلسلة محاربة الإسلام اعتقال الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وهو العالم الورع المتفرغ للعبادة ونفيه إلى (بارلا)، وهي بلدة صغيرة نائية، لكي يخمل ذكره ويقل تأثيره ويطويه النسيان ويجف هذا النبع الإسلامي الفياض.

ولكن شاء الله تعالى أن تكون هذه البلدة الصغيرة مصدراً لإشعاع إسلامي أضاء فيما بعد أرجاء تركيا ووصل إشعاعه إلى كل قرية وكل ناحية وكل مدينة فيها.

كان هناك نبع أمام البيت الصغير - يجري فيه الماء صيفاً وشتاءً- كما كانت هناك شجرة الدُلْب الضخمة الباسقة تنتصب أمام البيت، تغرد على أغصانها العديدة المتشابكة آلاف الطيور الصغيرة في فصليّ الربيع والصيف.

صنع أحد النجارين غُرفة خشبية غير مسقّفة صغيرة وضعت بين أغصان هذه الشجرة العالية. فكان الأستاذ يقضي فيها أغلب أوقاته في فصلي الربيع والصيف متعبداً لله، ومتأملاً ومتفكراً ومؤلفاً لرسائل النور حتى انبلاج الصباح في معظم الأحيان، فلا يعرف أهالي (بارلا) متى ينام الأستاذ؟! ومتى يستيقظ؟! ولا يمر أحد قرب تلك الشجرة في سكون الليل إلاّ ويسمع هَمْهمة العالم المُتعبّد المتهجد.

قضى الأستاذ سعيد النورسي في هذه البلدة وفي هذا البيت ثماني سنوات ونصف سنة، ألّف فيها معظم رسائل النور، لذلك فقد كان هذا البيت أول (مدرسة نورية).

كان الأستاذ معتل الصحّة دائماً وكان قليل الإقبال على الطعام، بل يمكن القول بأنه قضى عمره كله وهو نصف شبعان ونصف جائع، إذ كان يقضي يومه الكامل بإناء صغيرة من الحساء مع كسرات من الخبز، ويأتيه طعامه من بيت أحد الجيران، وكان يدفع ثمن الطعام دائماً وبإصرار، إذ كان شعاره الذي طبّقه طوال حياته هو ألاّ يأخذ شيئاً من أحد دون مقابل، وقضى حياته كلها على ما ادّخره سابقاً من الليرات الذهبية وعلى الاقتصاد الكامل والبركة الربانية .[1]

(١) يقول الأستاذ النورسي عن نفسه في رسالة الاقتصاد: " قبل تسع سنوات (أي سنة ١٩٢٦) عندما أصرّ عليّ قسم من رؤساء العشائر المنفيين معي إلى "بوردور" على قبول زكاتهم كي يحولوا بين وبين وقوعي في الذلة والحاجة

كانت عيون السُلطة تترصّدُ الأستاذ وتُراقب حركاته وسكناته في (بارلا) لذلك فإن الأهالي كانوا يتجنبون الاقتراب منه والتحدث إليه، فكان يقضي أكثر وقته في البيت أو يخرج في فصلي الربيع والصيف إلى جبال (اغريدير)، ويختلي هناك بنفسه في قمة الجبل وبين الأشجار متأملاً ومتعبداً.

عزلة ووحشة:

يقول عن هذه الفترة واصفاً عزلته ووحشته وغربته:

(حينما كنت في منفاي ذلك الأسر الأليم بقيت وحدي منفرداً منعزلاً عن الناس على قمة جبل (جام) [1] المطلة على مراعي (بارلا).. كنت أبحث عن نور في تلك العزلة. وذات ليلة، في تلك الغرفة الصغيرة غير المسقفة، المنصوبة على شجرة صنوبر عالية على قمة ذلك المرتفع، إذا بشيخوختي تشعرني بألوان وأنواع من الغربة المتداخلة – كما جاء ذلك في المكتوب السادس بوضوح– ففي سكون تلك الليلة حيث لا أثر ولا صوت سوى ذلك الصدى الحزين لحفيف الأشجار وهمهمتها.. أحسست بأن ذلك الصدى الأليم قد أصاب صميم مشاعري، ومس أعماق شيخوختي وغربتي، فهمَست الشيخوختُ في أذني منذرةً:

إن النهار قد تبدل إلى هذا القبر الحالك، ولبست الدنيا كفنها الأسود، فسوف يتبدل نهار عمرك إلى ليل، وسوف ينقلب نهار الدنيا إلى ليل البرزخ، وسوف يتحول نهار صيف الحياة إلى ليل شتاء الموت.

لقلة ما كانت عندي من النقود، قلت لأولئك الرؤساء الأثرياء: برغم أن نقودي قليلة جداً إلاّ أنني أملك الاقتصاد، وقد تعودت على القناعة، فأنا أغنى منكم بكثير. فرفضتُ تكليفهم المتكرر الملح.. ومن الجدير بالملاحظة أن قسماً من أولئك الذين عرضوا عليّ زكاتهم قد غلبهم الدّين بعد سنتين، لعدم التزامهم بالاقتصاد، إلاّ أن تلك النقود الضئيلة قد كفتني –ولله الحمد– ببركة الاقتصاد إلى ما بعد سبع سنوات، فلم تُرق مني ماء الوجه، ولم تدفعني لعرض حاجتي إلى الناس، ولم تفسد عليّ ما اتخذته دستوراً لحياتي وهو "الاستغناء عن الناس". اللمعات ص:٢١٥

(١) وهو (جام داغى) أي جبل الصنوبر، يستغرق الوصول إلى قمته أربع ساعات مشياً من بارلا.

فأجابتها نفسي على مضض:

نعم، كما أنني غريبة هنا عن بلدتي ونائية عن موطني، فإن مفارقتي لأحبائي الكثيرين خلال عمري الذي ناهز الخمسين ولا أملك سوى تذراف الدموع وراءهم هي غربة تفوق غربتي عن موطني.. وإني لأشعر في هذه الليلة غربة أكثر حزناً وأشد ألماً من غربتي على هذا الجبل الذي توشح بالغربة والحزن، فشيخوختي تنذرني بدنوي من موعد فراق نهائي عن الدنيا وما فيها، ففي هذه الغربة المكتنفة بالحزن، ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الحزن، بدأتُ أبحث عن نور، وعن قبس أمل، وعن باب رجاء، وسرعان ما جاء (الإيمان بالله) لنجدتي ولشد أزرى، ومنحني أنساً عظيماً بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي أضعافاً مضاعفة لكان ذلك الأنس كافياً لإزالتها.) [1]

بداية التعارف:

كان أهالي (بارلا) يرون هذا العالم وهو يخرج من بيته متوجهاً إلى الجبل أو عائداً إلى منزله من الجبل، فلا يجرأ أحد منهم أن يكلمه، فهو شخص غير مرغوب فيه من قبل السلطة، فَلِمَ الدخول في مشكلات مع السلطة وهم في غنى عنها؟!.. ولكن:

(في أحد الأيام، وكان الوقت صيفاً، خرج الأستاذ من بيته متوجهاً إلى الجبل كعادته.. كان الجو صحواً والشمس مشرقة وما إن وصل الأستاذ إلى قمة الجبل حتى تلبدت السماء بالغيوم السوداء منذرة باقتراب عاصفة.. وفعلاً ما لبثت السماء أن أرعدت وأبرقت وبدأت الأمطار تسقط بغزارة.. كان الأستاذ وحيداً على قمة الجبل ليس له من ملجأ يتقي فيه سَيلَ المطر المُنْهَمر سوى الأشجار التي

(١) اللمعات: ص ٣٤٩

لم تكن هي الأخرى كافية لتمنع عنه البَلل، وبعد مدة ليست بالقصيرة خفّت شدة المطر وأخذ ينزل رذاذاً، وانتهز الأستاذ الفرصة وقفل راجعاً إلى البلدة، وقد تبلّل من رأسه إلى أخمص قدميه، وفي الطريق تمزق حذاءه، فدخل البلدة وهو يَحملُ حذاءه بيده ويغوص في الطين بجواربه الصوفية البيضاء.

وهناك بالقرب من نبع الماء كان جمع من أهالي (بارلا) مجتمعين يتحدثون، شاهدوا هذا المنظر المؤثر، منظر العالم الجليل المهيب المنفي عن موطنه.. الوحيد.. المقاطع من قبل الجميع، وهو يحمل حذاءه الممزق بيده، ويغوص في الطين بجواربه، وقد تلطخت أطراف ثيابه بالطين. خيّم سكون ثقيل على الجميع وتجاذبت الكثيرين عاطفتان مختلفتان، عاطفة الإسراع لمد يد المساعدة إليه، وعاطفة الخوف من عيون السلطة المترصدة لكل حركة من حركاته، وأخيراً يندفع من بين الجمع شخص اسمه (سليمان) ويصل إليه حيث يأخذ الحذاء من يده ويغسله في الحوض ثم يرافقه حتى منزله ويصعد معه إلى غرفته.[1]

كانت هذه بداية التعارف، وقد ظلّ السيد (سليمان) تلميذاً وفياً للأستاذ يساعده ويعاونه ويتتلمذ على يديه طوال ثماني سنوات. وكان هو أول حلقة وصلت بينه وبين الآخرين، حتى بدأت حلقة التلاميذ تتسع شيئاً فشيئاً، وبدأ الأستاذ ينشر رسائله الموسومة بـ(رسائل النور) سراً وازدادت هذه الحلقات ونشط أفرادها في دراسة رسائل النور واستنساخها ونشرها في كل أرجاء تركيا متحملين جميع تبعات هذا العمل من اعتقال ومطاردة وتعذيب عن طيب خاطر واطمئنان نفس.

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٢٧٧

رسائل النور:

في تلك السنوات الحالكة كان الإسلام يتعرض لزلزال كبير في تركيا، فالحرب ضد الإسلام تقودها الحكومة بكل أجهزة الدعاية والإعلام التي تملكها، وبأقلام جميع المنافقين والمتزلفين وأعداء الإسلام من الكتّاب والصحفيين في الوقت الذي كممت فيه أفواه دعاة الإسلام، وحيل بينهم وبين الدفاع عن عقيدتهم، لذلك فقد تعرضت أسس الإسلام وأصوله ومبادؤه الأولية إلى الشك والإنكار في نفوس كثير من الشباب الذي لم يكن يجد أمامه مرشداً وموجهاً، لذلك فقد قرر الأستاذ سعيد النورسي أن يحمل تلك الأمانة الكبرى على كاهله، وأن يحاول (إنقاذ الإيمان) في تركيا.

نعم.. إنقاذ الإيمان تلك كانت هي المسألة الرئيسة التي لا تحتمل التأجيل أو التسويف أو الاهتمام بأي أمر عداها، لذلك فإنه كان يصحح مفاهيم الذين كانوا يزورونه وهم يتصورون أنه شيخ طريقة صوفية فكان يقول لهم:

(إنني لست بشيخ طريقة، فالوقت الآن ليس وقت طرق صوفية بل وقت إنقاذ الإيمان)[1].

فنرى أن من أولى الرسائل التي ألفها هي (رسالة الحشر) حيث إن مسألة البعث ووجود يوم القيامة ويوم الحشر أصبحت تصوّر من قبل الدوائر الملحدة وكأنها خرافة أو أسطورة لا سند لها من دليل عقلي أو عملي. وقد شرح الأستاذ في هذه الرسالة مسألة البعث والحشر مستلهماً من الأسماء الحسنى مورداً فيها شواهد قريبة من نظر الإنسان، ومن حياته الواقعية، فنومه نوع من أنواع الموت، ويقظته نوع من البعث، النباتات تذبُل وتموت، ثم لا تلبث أن تورق وتزهر من جديد.. إنها

(١) سيرة ذاتية / ٢٥٩

عملية تجديد، تتكرر أمام أنظارنا على الدوام، فلِمَ الاستغراب إذن من البعث يوم القيامة؟!

كان تأليف (رسائل النور) ونشرها شيئاً متميزاً وفريداً في تاريخ الدعوات الإسلامية المعاصرة، ذلك لأن الأستاذ سعيد النورسي لم يكن يكتب كثيراً من رسائله بيده لكونه نصف أمي (من حيث القدرة الكتابية) وإنما كان يملي هذه الرسائل على بعض طلابه في حالات من الجيشان الروحي والوجداني، وبعد ذلك تتداول النسخة الأصلية بين التلاميذ الذين يقومون بدورهم باستنساخها باليد، ثم ترجع هذه النسخ جميعها إليه [1] لكي يقوم بتدقيقها واحدة واحدة، وتصحيح أخطاء الاستنساخ إن وجدت، ولم يكن لديه أية كتب أو مصادر يرجع إليها أثناء التأليف سوى القرآن الكريم، وقد ساعده على ذلك ما وهبه الله من ذاكرة خارقة وقدرة عجيبة على الحفظ، فكان يستقي عند تأليفه رسائله من مخزونات محفوظاته في مصادر العلوم الدينية التي كان قد قرأها في بداية حياته.

كانت الحروف العربية قد بدّلت إلى حروف لاتينية، وحظر الطبع والنشر بها، وأغلقت مطابعها، فكانت هذه الطريقة (طريقة الاستنساخ) باليد سراً هي الطريقة الوحيدة والعملية لنشر مؤلفات رجل منفي ومراقب، قد سدت في وجهه جميع سبل التأليف والنشر، وخاصة وأنه كان يريد - بالإصرار على الكتابة بالحروف العربية- المحافظة عليها من الاندثار والنسيان.

فعندما بدأت حلقات الطلاب تتسع، بدأت الرسائل تصل إلى القرى والنواحي القريبة من (بارلا) وبدأت الأيدي تتلقف سراً هذه الرسائل وتتدارسها، وتهرّبها

(١) يقول عبدالله جاويش: "كنت أغادر قرية "إسلام" بعد المغيب حاملاً في حقيبتي الرسائل التي استنسخها "الحافظ علي" وأسير الليل كله مشياً على الأقدام حتى أصل مع الفجر إلى "بارلا" وأرى الأستاذ في انتظاري، ويستقبلني بسرور بالغ. نصلي الفجر معاً. ثم استسلم للنوم.. وهكذا كنت أتسلم في اليوم التالي المسودات من الأستاذ، وأغادر "بارلا" ليلاً لأصل قرية "إسلام" فأسلّم المسودات إلى "حافظ علي". سيرة ذاتية / ٢٤٥

حتى إلى المدن البعيدة، حيث بدأت تكتسب قلوباً جديدة وأرواحاً عطشى إلى الهداية والنور في تلك الصحراء المحرقة والمظلمة الحالكة.

أخذت الحكومة تطارد (طلبة النور) وتداهم منازلهم، وتفتش بيوتهم، فيتقبل الطلبة هذه المضايقات بصدر رحب ويقين ثابت، بأن السجن هو أقل ما يمكن أن يدفعوه من ضريبة الإيمان، وأنه ليس إلاّ (مدرسة يوسفية) كما كان الأستاذ يطلق عليه استلهاماً من الآية الكريمة في سورة يوسف: ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف : ٤٢).

بدأت عشرات، ثم مئات، ثم آلاف من طلبة النور رجالاً ونساءً في الانكباب على استنساخ (رسائل النور) ساعات عديدة من الليل والنهار حتى إن بعضاً منهم قضى سبع سنين لم يغادر منزله وهو مكب على هذه المهمة.

النساء في طريق النور:

وقد ساهمت النساء في هذه الحملة مساهمة فعّالة جديّة فالفتيات اللآئي كنَّ يعرفن الكتابة، والاستنساخ، واللآئي يجهلنها كُنَّ يُقلّدنَ الكتابة، تقليداً، أي يقمن بالكتابة على طريقة النقش والتصوير وقد أتت بعض النسوة إلى الأستاذ سعيد النورسي قائلات له:

(يا أستاذنا.. إننا – لكي نشارك في خدمة رسائل النور– قررنا القيام بالأعمال اليومية لأزواجنا لعلهم يتفرغون كلياً لكتابة رسائل النور).[1]

بقيت رسائل النور عشرين سنة تنتشر بهذه الطريقة، وبعد ذلك طبعت لأول مرة بـ(الرونيو) ولم يقدّر لها أن تطبع في المطابع الاعتيادية إلاّ سنة ١٩٥٦م هذا

(١) سيرة ذاتية / ٢٤٦

باستثناء رسالة الحشر، التي طُبعتْ منها خفية في إسطنبول بوساطة أحد طلاب النور.

موجة جديدة

كانت موجة محاربة الإسلام في تصاعد مستمر، ففي كل سنة تقريباً هناك قرار جديد أو (منجزات جديدة) حسب تعبير السلطة الحاكمة، وما هو إلاّ معول لهدم رُكن من أركان الإسلام.

ففي سنة (١٩٣٢م) صدرت الأوامر بمنع الأذان الشرعي للصلاة في تركيا. هذا الأذان الذي كان ينطلق منذ مئات السنين في أرجاء البلاد، فأصبح الأذان يردد باللغة التركية، فكانت مصيبة جديدة أدمت القلوب وأدمعت العيون.. أين ذلك الأذان الذي كانت تهفو إليه القلوب، وتخشع له النفوس، من هذا الأذان الذي تنفر منه القلوب وتنبو عنه الأسماع؟!

وفي المسجد الصغير الذي كان يصلي فيه الأستاذ سعيد النورسي إماماً لبعض القرويين، كانوا يصرون على الأذان وإقامة الصلاة داخل المسجد باللغة العربية.

وما لبث أن ترامى هذا الخبر الخطير إلى سمع مدير الناحية الذي رتّب كميناً داخل المسجد، فأخفى بعض الجندرمة في المسجد، في القسم المخصّص للنساء، لكي يتم القبض على (المجرمين) .. في حالة التلبّس بالجريمة.

سيق هؤلاء القرويون في عز الشتاء مشياً على الأقدام، وفي طرق مغطاة بالثلوج حتى (اغريدير).

لنستمع إلى أحد هؤلاء -وهو مؤذن المسجد- يروي ذكرياته عن هذه الحادثة، إذ يقول: "كم آذونا في مسألة الأذان، عندما اخترعوا لنا أذاناً تركيا.. كان

هناك معلم معادٍ للأذان الشرعي - باللغة العربية- وبعض علماء الدين يقولون: يجب إطاعة أوامر أولي الأمر. أما أنا فكنت أقول: لا أعرف مثل هذه الطنطنة المسماة بالأذان التركي الغريب، وأنّى لي العلم بأن (حفلة صاخبة) تُعدّ لي!؟.

ففي أحد الأيام داهموا مسجد الأستاذ سعيد النورسي، وقبضوا على (عبدالله جاويش، ومصطفى جاويش، وسليمان، وعليّ أنا) وطردوا الباقين.. أخذونا إلى مدينة (اغريدير) مشياً على الأقدام فوق الثلوج وهناك أودعونا السجن ومنعوا الجميع من التحدث معنا، وفي أحد الأيام أحضروني عند المدعي العام وكان عنده ضباط برتبة عميد وعقيد قالوا لي:

حسبما سمعنا فقد أعطيت لهذا الكردي (يقصد الأستاذ) مائة وخمساً وعشرين ليرة ذهبية. فما مقدار الذخيرة التي اشتريتموها بهذا المبلغ؟!

قلت: إن الحكومة التركية تشبه سفينة، وأنتم أعلم بما يدخل ويخرج من هذه السفينة. إن الأستاذ لا يملك مدفعاً ولا بندقية، بل هو يريد نشر الاطمئنان والوئام.

سألني: هل عندك أطفال؟

قلت: نعم.

قال: إذا لم تصدق، ولم تقل الحقيقة، فالشنق ينتظرك!

قلت: إن هذا الشخص ليس إلاّ خادماً للقرآن، فماذا يعمل بالمدفع والبندقية. إن بندقيته ومدفعه هو القرآن لا غير.

وعندما انعقدت المحكمة سألني الحاكم:

- من الذي أذّن بالعربية؟

قررت أن أتظاهر بالصمم. فوقفت ساكناً دون جواب وكأنني لم أسمع السؤال.

التفتَ إليَّ الحاكم سائلاً: هل اسمك سليمان؟.
قلت: لما كان الوقت شتاءً، فقد حضرت قبل يوم.
الحاكم: قلت لك ما اسمك؟
- لقد نمت في الخان يا سيدي.
فغضب الحاكم غضباً شديداً التفت حوله صائحاً:
- اخرجوا هذا القذر.[1]

من إسبارطة إلى الاعتقال:

نقل الأستاذ إثر ذلك إلى إسبارطة سنة (١٩٣٤م) حيث ظلّ هناك أشهراً منكباً على تأليف رسائل النور وهي: رسالة الاقتصاد، ورسالة الإخلاص،والحجاب، والإشارات الثلاثة، والمرضى، والشيوخ، هذه الرسائل جميعها من(اللمعات) حيث كانت كل من (الكلمات) و(المكتوبات) قد تمّ تأليفهما.

وفي صباح باكر من أيام نيسان سنة(١٩٣٥م)هاجمت قوة من الجندرمة بيت الأستاذ، واعتقلوه بعد إجراء تفتيش دقيق في جميع أرجاء ذلك البيت المتواضع. في ذلك اليوم داهمت الشرطة منازل مائة وعشرين من طلبة النور من مختلف المناطق، حيث وضعت الأغلال في أيديهم وفي يد أستاذهم ومرشدهم سعيد النورسي، وسيقوا جميعاً إلى سجن مدينة (أسكي شهر) بانتظار محاكمتهم، بتهمة (تشكيل جمعية سرية تعادي نظام السلطة القائمة وتسعى لقلبه).[2]

وقد اتخذت السلطات الحكومية إجراءات أمنٍ مشددة على طول الطريق، فالجنود بكامل أسلحتهم يسيطرون على طريق (إسبارطة - آفيون) ومدينة إسبارطة تحت المراقبة العسكرية.

---

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٢٨٩-٢٩١

(٢) سيرة ذاتية/ ٢٥١

كانت التهم كبيرة منها:

١- تأليف جمعية سرية.

٢- العمل على هدم الثورة الكمالية.

٣- تشكيل طريقة صوفية.

٤- إثارة روح التدين بنشر (رسالة الحجاب).

فلو ثبتت هذه التهم لكان الإعدام جزاءها، وقد بثوا فعلاً شائعات في البلد من أن طلبة النور وأستاذهم سوف يعدمون، وذلك لغرض إلقاء الرعب في قلوب الناس، وتحذيرهم من الانخراط في صفوف طلبة النور.

لمعات من ظلمات السجن:

(المدرسة اليوسفية الأولى):

وضع الأستاذ سعيد النورسي في سجن انفرادي مسلّطين عليه مضايقات كثيرة، بهدف التأثير في روحه المعنوية، ولكن الأستاذ رغم هذه المضايقات كان مستمراً في تأليف رسائل النور، ففي هذا السجن ألّف اللمعة الثامنة والعشرين واللمعة التاسعة والعشرين واللمعة الثلاثين، مع الشعاع الأول والثاني. كما أن كثيراً من المجرمين في هذا السجن قد تابوا إلى الله، وبدأوا اتّباع الطريق المستقيم.

لم يسفر التحقيق الطويل مع الأستاذ ومع طلابه عن شيء يمكن الاستناد إليه في الحكم بإدانته أو إدانة طلابه، إلاّ أن المحكمة حكمت عليه بالسجن أحد عشر شهراً، بسبب رسالته عن (الحجاب) وهي اللمعة الرابعة والعشرون.

الدفاع المشهور:

وقد ترافع الأستاذ أمام المحكمة وألقى دفاعاً مشهوراً نقتطف منه ما يأتي:

يا حضرات الحكام:

لقد جيء بي إلى هنا بتهمة أنني شخص رجعي اتخذ الدين سبيلاً إلى الإخلال بالأمن العام. وإنني أقول لكم:

إن إمكانية عمل شيء لا يستدعي وقوعه ولا المعاتبة عليه، فعود الكبريت يمكنه إحراق بيتٍ، ولكن هذا الإمكان لا يعني ارتكاب أي جريمة.

إن انشغالي بعلوم الإسلام لا يخدم إلاّ رضى الله تعالى، وحاشا أن يخدم أي غرض كان غير ذلك.

لقد سألتم: هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية؟ وإنني أقول لكم:

إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة. إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الانتماء إلى طريقة صوفية، ولكن أحداً لا يدخل الجنة بغير إيمان.

وتقولون: من أين تأتي بالمال لجمع الناس من حولك في جمعية، وإنني أسأل هؤلاء ومن أين لهم الوثائق التي أثبتوا بها أنني اشتغلت بجمعية أو قمت بأي نشاط يحتاج إلى المال؟

وتعترضون قائلين: أنني لستُ موظفاً في ما أعمل فيه. وللتدريس مديرية خاصة ينبغي أن أتلقى الإذن منها أولاً، ولكن أقول لكم:

لو أنَّ أبواب القبور كلّها أُغلقت، وأُعدم الموت من الوجود، لجاز أن ينحصر الإذن في دائرتكم. أما وإن ثلاثين ألف جنازة تنادي كل يوم نداء الموت، وتوقع

على حكمه، فإن هذا يعني أن ثمة وظائف وواجبات أخرى أهم كثيراً مما انحصر في دائرتكم وأحكامكم.[1]

طريفة:

أثناء حمى البحث والتفتيش عن طلبة النور، وعن الأدلة التي تدينهم، عثر بين أجزاء رسائل النور على رسالة، كُتب على غلافها بخط اليد عبارة (يعود إلى رمضان).

مَن رمضان هذا؟ وأين يعمل؟ ولماذا لم يُقبض عليه حتى الآن؟ لا شكّ أنه شخص مُهم، إذ إن اسمه مسجّل على أحد الكتب! إلاّ أن جميع طلبة النور ينكرون معرفتهم به. إذن فهو من أبرز أعوان سعيد النورسي. وتصدر الأوامر المشددة بتفتيش جميع القرى، والمدن القريبة وتفتيش كل بيت للعثور على هذا الشخص الرهيب.. رمضان.

وأخيراً يُعثر في قرية بعيدة على قروي بسيط لا يقرأ ولا يكتب، اسمه (رمضان)، ويعتقل هذا المسكين ويُرسل مكبلاً بالأصفاد وفي حراسة مشددة إلى سجن (أسكي شهر) ومع أن المسكين حلف مرّات ومرات بأنه لا يستطيع أن يقرأ ويكتب وأنه لم يَرَ في حياته أية رسالة من رسائل النور، وأنه لم يلتق بديع الزمان. إلاّ أن جميع اعتراضاته وتوسلاته تذهب أدراج الرياح، ويقضي في السجن شهرين كاملين حتى يقوم أحد المسؤولين بتدقيق تلك الرسالة ويتبين أنها يبحث عن الصوم وآدابه وحكمته في شهر رمضان.

---

(١) من كتاب الفكر والقلب للأستاذ سعيد رمضان البوطي ٣٢٢-٣٢٣ والنص الكامل للدفاع في سيرة ذاتية / ٢٥٢-٢٩٤.

نفي بديع الزمان إلى قسطموني:

بعد أن قضى بديع الزمان في سجن (أسكي شهر) مدة سجنه البالغة أحد عشر شهراً، نفي إلى مدينة (قسطموني) في ربيع سنة ١٩٣٦م. إذ اقتيد إلى مخفر الشرطة، حيث قضى فيه مدة ثلاثة أشهر، نقل بعدها إلى بيت صغير يقع أمام المخفر مباشرة، لكي يكون تحت المراقبة الدائمة، كان البيت مؤلفاً من طابقين: الطابق الأرضي مخزن للوقود، أما الطابق الثاني فكان مكوناً من غرفتين، وكان بديع الزمان يدفع إيجار هذا البيت بنفسه.

بقي بديع الزمان في (قسطموني) سبع سنين استمر خلالها في كتابة رسائل النور مثل (الشعاع السابع) رسالة (الآية الكبرى) وكذلك الشعاع الثالث -رسالة المناجاة- والشعاع الرابع والشعاع السادس والشعاع الثامن والتاسع مع تبيض الخامس.[1]

سعاة بريد النور:

في هذه الفترة، استمر بديع الزمان في مراسلة طلابه بشتى الوسائل متخطّياً العيون المترصدة لحركاته، إذ كانت رسائله تنقل سراً، ثم تستنسخ باليد ثم توزع على القرى، والنواحي، والمدن القريبة، فتشكلت بهذا (سعاة بريد النور) الذين كان واجبهم ينحصر في نقل الرسائل من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة، كما انتظمت وقويت مسألة استنساخ الرسائل، فهناك بعض الطَلَبة الذين استنسخوا وحدهم أكثر من ألف رسالة، وبهذه الطريقة أُستنسخت رسائل النور كتابة باليد ستمائة ألف نسخة. وانتشرت في أرجاء تركيا تدريجياً منتصرة على جيوش

(١) الشعاع الرابع هو شرح الآية ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ والشعاع الخامس يخص أشراط الساعة وفتنة الدجال والسفياني. أما الشعاع السادس فهو في شرح معاني "التحيات لله".

الظلام، ومعلنةً بأنه لا يمكن إطفاء نور الإسلام أبداً. ثم جمعت هذه الرسائل التي تشمل نواحي دقيقة في العقيدة، وردّ الشبه المضللة حول بعض الأحاديث الشريفة، وكثيراً جداً من فقه الدعوة إلى الله، تحت عنوان (ملحق قسطموني).

توبة سكير:

كان بديع الزمان يخرج من بيته، ويَتجوّل في السهول والجبال القريبة، كما كان يصعد في أحيان كثيرة إلى قلعة (قسطموني) الأثرية، حيث يجلس هناك متأملاً، ومنشغلاً، بتصحيح أو بتأليف رسائل النور، وكانت الحكومة تترصد حركاته وتراقبه.

ففي إحدى المرّات وعندما كان جالساً على حائط القلعة، مرّ من هناك شخص سكّير يترنّح في مشيه سالكاً الطريق المؤدّي إلى بيوت الدعارة (التي أصبحت عَلنية). وصل السكّير إلى القرب من الحائط الذي يجلس عليه بديع الزمان، وتسمّر في مكانه لا يتقدم خطوة إلى الأمام، ولا يتأخر خطوة إلى الوراء وهو يتطلع إلى الفوق .. إلى العالِم الجليل، المتسربل بالملابس البيضاء، تطلّع إليه بديع الزمان لحظة. ثم ابتسم له، وسلّم عليه، ثم قال له:

(ارجع يا أخي.. لا تذهب إلى هناك ! بل ارجع واغتسل وتُب إلى الله وابدأ بالصلاة).

نفذ هذا الصوت المملوء محبة وإشفاقاً إلى قلب السكّير، فلم يحسّ إلاّ والدموع تطفر من عينيه، ثم تنتابه نوبة من البكاء، وهو يقفل راجعاً إلى بيته. ويحتار رجل الأمن المكلّف بمراقبة حركات بديع الزمان، ويسرع، إلى السكّير آخذاً بتلابيبه وصارخاً في وجهه: قل لي بسرعة، اجبني بسرعة. ماذا قال لك ذلك الكردي؟.[1]

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٢٩٩-٣٠٠

مقابلة مع الوالي:

كان بديع الزمان مراقباً من قبل ولاة (قسطموني)، وقد كان (عوني دوغان، ومدحت آلتي أوق) من أشد الولاة وأكثرهم إزعاجاً له، فكانا يبحثان عن أي مُبرر ليزعجاه.

ولما كان بديع الزمان لا يزال محتفظاً بملابسه وعمامته خلافاً لقانون الأزياء،[1] فقد استدعاه الوالي(مدحت آلتي اوق) إلى مقره الرسمي، فجاء بديع الزمان إلى مقر الوالي يحيط به رجال الشرطة، وكان ثائراً، فالظاهر أن أحدهم حاول نزع عمامته في الطريق. دخل إلى غرفة الوالي قائلاً له بحدة:

– اسمع يا مدحت؛ ليس هناك سوى حاجز رقيق بيننا وبين الموت الذي تخشونه، فإذا اقتحمنا هذا الحاجز لم يبق هناك شيء يمكن الخشية منه، لذلك فاتخذ ما تحب من إجراءاتك القانونية.

اصفر وجه الوالي، وارتبك ولم يجد جواباً، وبصعوبة بالغة وصلت أصابعه إلى الجرس الموضوع على مكتبه، ليضغط عليه مستدعياً رجاله ليأخذوا بديع الزمان إلى بيته، دون أن يجسر وهو الوالي المشهور بفظاظته وقسوته بمطالبة الأستاذ بتبديل قيافته. [2]

مع طلاب المدارس:

في تلك السنوات الحالكة حذفت دروس الدين من المدارس، كما حذفت كلمات (الخالق، الرب، الله جلّ جلاله) من الكتب المدرسية ووضعت بدلاً منها

---

(١) قانون الأزياء(القيافة): قانون صدر في سنة ١٩٢٥ حرم بموجبه لبس الزي العثماني والحجاب للنساء. وفرض السفور والزي الأوروبي ولبس القبعة.

(٢) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٣١٣

كلمات (الطبيعة، التطور،الوطنية، القومية..الخ).فقد مسخ مفهوم (الإله) ومسخ فكرة (الخالق) من الأذهان، ونشر مفهوم أن الإيمان بالله سبحانه يترافق مع الجهل، وأن من علامات الثقافة والعلم إنكار وجود الله. ولعل من المفيد أن ننقل ترجمة الفقرة الأخيرة من مادة كلمة لفظ الجلالة(الله) الواردة في (دائرة معارف الحياة) التركية المطبوعة في إسطنبول سنة (١٩٣٢م) الجزء الأول، لكي يتضح الجو الفكري السائد آنذاك عند مدعي العلم والتوجيه في تركيا بعد أن نقرأ مفهومهم عن كيفية نشوء فكرة الإله عند الإنسان البدائي، وكيفية تطورها ومجيء الأديان تنتهي بالأسطر الآتية:

(إن الفكرة التي تريد الأديان الموجودة حالياً، أن تبثّها هي: أن الله واحد، وأنه هو الذي خلق الكون. ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح شيئاً فشيئاً، بأن هذه الفكرة باطلة، وأنه لا وجود لشيء اسمه (الله). وقد انتشرت فكرة عدم الاعتقاد بالله بين أوساط المثقفين).[1]

وهكذا كانت معاول الهدم تهدم الإيمان بالله في نفوس الجيل الجديد، وتثير الحيرة فيها، ويتحدث السيد (عبد الله يكن) مؤلف (يني لغات) (القاموس الجديد)[2] عن حيرته هذه عندما كان طالباً في المدرسة المتوسطة، فيقول بأن مدرسيه لم يكونوا يتحدثون مطلقاً عن (الله) فكان يذهب هو وصديق له يدعى (رفعت) لزيارة بديع الزمان:

(كنا أنا وصديقي رفعت نزوره على الدوام، فكان يتحدث معنا عن أهمية الإيمان، وعن وحدانية الله، وأن الإنسان لم يخلق للعيش بدون ضوابط، وكنا

---

(١) دائرة المعارف الحياة التركية ج١ / ١٣٢ (Hayat Ansiklopedisi. 1932)

(٢) (Yeni Lugat) وهو قاموس خاص لرسائل النور، حيث يشرح الكلمات العربية والمصطلحات الشرعية وأسماء الأعلام التي فيها.

نحسّ في أعقاب كل زيارة بأننا قد ولدنا من جديد، وكانت نفوسنا تطفح بالسعادة المعنوية وبالبشر والفرح).[1]

وقد أحس بديع الزمان بضرورة كتابة رسالة عن هذا الموضوع الخطير، لكي يكون وسيلة إنقاذ لآلاف، ومئات الآلاف من الجيل الجديد الحائر، الذي يبحث عن نور لقلبه، وهداية لروحه.يقول بديع الزمان في مقدمة هذه الرسالة:

جاءني فريق من طلاب الثانوية في (قسطموني) قائلين: عرّفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا! فقلت لهم: إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوماً، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين.

فمثلاً: لو كانت هناك صيدلية ضخمة، في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية، وضعت فيها بموازين حساسة، وبمقادير دقيقة؛ فكما أنها ترينا أن وراءها صيدليّاً حكيماً، وكيميائياً ماهراً، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء - نباتاً وحيواناً- وكل واحد منها في الحقيقة زجاجة مستحضرات كمياوية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة تري -حتى للعميان- صيدليّها الحكيم ذا الجلال، وتعرّف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها، وانتظامها، وعظمتها، ومدى نسبتها قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق، وذلك وفق مقاييس علم الطب الذي تقرأونه.

تُهمة جديدة ومحاكمة أخرى:

كانت الحركة النورية في توسع دائم وفي نشاط مستمر ذخرها الشوق والإيمان

(١) كتب الأستاذ هذه المحاورة مع طلبة الثانوية في المسألة السادسة من رسالة الثمرة التي ألفها في سجن دنيزلي. انظر الشعاعات / ٢٥٧

المتوهج في القلوب ولم تنفع كل التدابير الحكومية في بناء سدّ أمام هذه الحركة أو إيقاف تقدمها وتوسعها إلاّ أنها أمام هذا الأمر توسلت مرة أخرى بأسلوب المحاكمة والسجن.

ففي ٣١ آب سنة ١٩٤٣م ، بينما الأستاذ بديع الزمان مصاب بحمى شديدة ، نتيجة دس السم له بتدبير من البوليس السري ، داهمت الشرطة منزله وقلبت البيت رأساً على عقب ولكنها لم تعثر إلاّ على بعض الرسائل التي تبحث عن مسائل الإيمان والآخرة والأخلاق.. الخ.

وفي ١٨ أيلول من السنة نفسها قامت الشرطة بمداهمة المنزل مرة أخرى على أمل العثور على أي دليل للاتهام، يسوّغ لها سوق بديع الزمان إلى المحاكمة، ومع أنها لم تعثر إلاّ على كتب ورسائل من النوع السابق سيق برفقة الشرطة إلى (أنقرة) مع مائة وستة وعشرين من طلاب النور جُمعوا من مختلف المدن.

أما التهمة الموجهة إلى بديع الزمان وإلى طلابه، فهي كسابقاتها:

تأليف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، ثم تسمية مصطفى كمال بـ (الدجال) و (السفياني).

التبليغ واجب:

سفّر بديع الزمان إلى أنقرة بإحدى سيارات النقل العمومية في أواخر شهر رمضان وفي يوم شديد الحر. كانت وطأته شديدة على العالِم الصائم البالغ من العمر سبعين عاماً، ولكنه وهو في الطريق لا ينسى أن يؤدي واجب التبليغ والإرشاد إذ يلتفت إلى حارسه قائلاً له: (هل يمكن الإيعاز إلى السيد السائق بأن يُقف السيارة؟ (لا إكراه في الدين) إلاّ أنه عندي بعض النصائح أريد أن أسديها للركاب).

وقّف السائق السيارة والتفت بديع الزمان إلى الركاب مخاطباً: إن هذه الليلة ليلة القدر على اغلب الاحتمال، إن ثواب قراءة القرآن الكريم في الأيام الاعتيادية هو عشر حسنات لكل حرف من القرآن وفي أيام رمضان ألف، أما في ليلة القدر فهو ثلاثون ألف حسنة، فلو عرض أحدهم عليكم خمس ليرات ذهبية لقاء عمل ما، أما ترغبون في الحصول عليها؟!

أجاب الركاب: نعم .. نرغب في ذلك..

فقال لهم: إذن فليقرأ كل مسلم منكم الآن سورة (الفاتحة) ثلاث مرات، وسورة (الإخلاص) مرة واحدة وآية الكرسي مرة واحدة، فإنها ستكون لكم ذخراً في حياتكم الأبدية.[1]

وفي الطريق عندما كان يحين وقت الإفطار تقف السيارة، حيث يفطر الأستاذ بديع الزمان مع الركاب، ويصلي معهم صلاة المغرب.

والي أنقرة ينتحر:

وفي أنقرة يطلبه الوالي (نوزاد طان دوغان) حيث تجري بينهما مناقشة حول زيّه، إذ يحاول الوالي تبديل زيّه قسراً، فيرد عليه الأستاذ بديع الزمان من أنه شخص منزو، وأن قانون الأزياء لا يشمله، وأن هذه العمامة لا تُرفع إلاّ مع هذا الرأس مشيراً إلى عنقه!!.

ومن تجليات القدر الداعية للتأمل أن هذا الوالي الفظ الذي تلفظ بكلمات جارحة مهينة ضد الأستاذ قد انتحر في (٩ تموز سنة ١٩٦٤) بإطلاق رصاصة على صدغه..

---

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينز/ ٣٢٢

سجن دنيزلي

(المدرسة اليوسفية الثانية):

ومن(أنقرة) أُرسل الأستاذ إلى (إسبارطة) ومنها إلى مدينة (دنيزلي) حيث أودع في سجنها، وعندما قامت الحكومة بتأليف لجنة تدقيق رسائل النور لتبين ما إذا كانت تحتوي على موضوعات سياسية، أو على أية تهمة من التهم المذكورة سابقاً، اعترض الأستاذ على هذه اللجنة التي رآها قد شكلت من أشخاص جهلاء غير مؤهلين لإصدار الرأي في رسائله قائلاً:

(إن هؤلاء الخبراء – الذين لا خبرة لهم على الإطلاق- غير مؤهلين لتدقيق رسائل النور، لذلك فإنني أطالب بتأليف لجنة عليا في أنقرة تتألف من أهل العلم. وإذا لزم الأمر فليتقدم متخصصون، وعلماء من أوروبا لتدقيق هذه الرسائل، فإذا وجدوا فيها أي عنصر يستوجب العقاب، فإنني أرضى بذلك العقاب).

وفعلاً ألفت الحكومة لجنة أخرى من علماء وخبراء قاموا بدراسة وتدقيق جميع رسائل النور، وكانت النتيجة أنهم لم يعثروا فيها على أي شيء يكون موجباً للتُهمة، وجاء في قرارهم:

(ليس لبديع الزمان فعّالية سياسية، كما لا يوجد أي دليل كان على أنه يؤسس طريقة صوفية، أو قائم بإنشاء أية جمعية. وأن مواضيع كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية، والإيمانية، وهي تفسير للقرآن الكريم..)[1]

قضى بديع الزمان مدة تسعة أشهر موقوفاً في سجن (دنيزلي) في زنزانة انفرادية، وكان طلابه أيضاً مسجونين في نفس السجن، وقد توفي منهم اثنان أثناء السجن كانا من أقرب التلاميذ إلى قلبه. وألّف أثناء مُكوثه في سجن (دنيزلي)

(١) تقارير الخبراء حول رسائل النور. (Ehli Vukuf Raporları)

رسالة (الثمرة)، كان يكتبها على قصاصات من الورق، ويضعها في علب الكبريت، ويرميها خفية من شباك ردهته إلى طلابه وهم بدورهم يستنسخونها.

دفاع رائع:

وأثناء مدّة التوقيف عقدت محكمة الجزاء الكبرى عدة جلسات للمحاكمة، وقد ألقى بديع الزمان دفاعاً رائعاً أمام هذه المحكمة (كما في الشعاع الثاني عشر والثالث عشر) نورد جزءاً منه هنا:

(نعم.. نحن عبارة عن جمعية، وإنها لجمعية تحوي في كل عصر على (أربعمائة) مليون من الأعضاء المنتسبين إليها، وهم في كل يوم يعبرون خمس مرات دائماً عن أتم علاقتهم بالدستور العظيم لهذه الجمعية وهم يتسابقون دائماً إلى تحقيق أهم شعائرها ألا وهو ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فنحن من أفراد هذه الجمعية المقدسة العظيمة، وظيفتنا تعريف هؤلاء الإخوة المؤمنين بحقائق القرآن تعريفاً علمياً راسخاً، وذلك تعاون منا على إعتاق أنفسنا من سجن الأبدية الذي يتهددنا.

بأي وجه حق تستطيعون إيقاف حركة (رسالة النور) وإنما هي عبارة عن خدمة حقائق القرآن، والقرآن حقيقة مرتبطة بعرش الله العظيم؟ ومَن ذا الذي يستطيع أن يجرأ فيقف في وجه حقيقة ترتبط بعرش الله تعالى؟.

إنني لا أتوجه في بياني هذا إلى أعضاء هذه المحكمة فقط بل إلى تلك الجماعة المتآمرة في (إسبارطة) أيضاً. إنني لأعجب كيف يُتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية؟! على حين يحق لمارق مثل (الدكتور دوزي) أن يفتري على القرآن وحقائقه في وقاحة

وإصرار، ثم يعتبر ذلك أمراً مقدساً لأنه حرية للرأي والفكر، أهذه حرية للرأي والفكر...؟

أما نور القرآن الذي يأبى إلاّ أن يشعّ في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره، فهو خطورة تنهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة!

إنكم تتهمونني بمعاداة (الجمهورية) ولكني أقول لكم، إنني منذ كنت طالب علم يؤتى لي بطعامي من الخبز والحساء، كنت آكل نصيبي منه ثم أنثر ما بقي منه بين جماعات من النمل كانت بالقرب مني - تقديراً لجماعتها وتقديساً لنظامها واخوتها- إنكم تستطيعون أن تعلموا من هذا مدى تقديري لحقيقة الجمهورية الصالحة. على أن أكبر دليل على تقديسي الجمهورية هو احترامي لخلفاء الإسلام، فقد كانوا إلى جانب كونهم خلفاء، رؤساء جمهورية أيضاً. ولقد كانت حياتهم حياة جمهورية لا في الادعاء اللفظي فقط، بل في الحقيقة والواقع.

أما عن الجمهورية العلمانية، فنحن نعلم أنها تلك التي لا تتعرض للدين في خير أو شرّ. ولكن ها أنتم أولاء تفسحون الطريق أمام كل جريمة، وفاحشة خلقية، وكذب على الله والكون، باسم الحرية الوجدانية والفكرية، حتى إذا تنبهتم لآية من القرآن تفسر وتجلي حقائقها، رفعتم أصواتكم بالنكير وقلتم: جمعية سرية سياسية وخطرة!!.

إن المسألة إذن من الخطورة والإجرام بحيث تحاولون أن تستروها برداء العلمانية، فإن كان الأمر كذلك فاعلموا أنه لو كانت لي ألف روح فأنا على استعداد أن أفدي كل ذلك في سبيل أهم حقائق الكون ألا وهو دين الله تعالى، وسأحتمي منكم بحصن واحد فقط هو : ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

إنكم تدورون ثم تقولون: إن أعمالي الدينية ما هي إلاّ استغلال ووسيلة

للإخلال بالأمن. ولكن أقول لكم بالمقابل: إن دعواكم هذه ليست إلاّ استغلالاً ووسيلة لإعدام الدين باسم المحافظة على الأمن.

إنكم تعلمون أن رسالة النور تضيء منذ عشرين عاماً، فهل سجلتم منذ ذلك اليوم إلى الآن حادثة واحدة أخلّت بالأمن؟ إذن فإن تلك المادة ذات الرقم (١٦٣) ما هي إلاّ عبارة عن كرة تقذفون بها إلى حيث أردتم، وما إرادتكم إلاّ معاداة الدين.

إذن فاسمعوا يا مَن بعتم دينكم بدنياكم ونكستم في الكفر المطلق، إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة: افعلوا كل ما يمكنكم فعله فغاية ما نتمناه أن نجعل رؤوسنا فداء لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام.

نحن في كل لحظة ننتظر أحكام إعدامكم، إن السجن الخارجي على هذه الحال أسوأ مائة مرة من ذلك السجن الداخلي.

وتقولون: لماذا لا تلبس قبعتنا منذ عشرين عاماً مرة واحدة؟ ولم تكشف عن رأسك لمحكمتنا مرة واحدة مع أن سبعة عشرة مليوناً انسجموا مع هذا اللباس؟

وإنني أقول: ليسوا سبعة عشر مليوناً، ولا سبعة ملايين بل لا يوجد أقل من القليل لبسوها بمحض إرادتهم واختيارهم. اللهم إلاّ حفنة من الحمقى الذين يلهثون وراء رذيلة وانحطاط أوروبا.

إن مثلي ممن ترك الحياة الاجتماعية منذ خمس وعشرين سنة لا يقال عنه في هذا مخالف أو معاند، وافرضوا أنه عناد فما دام أن مصطفى كمال نفسه لم يقدر أن يكسر عنادي، وأن محكمتين وحكومة ثلاث ولايات لم تستطع التأثير فيّ فما أنتم وخطبكم حتى تضيعوا الوقت في هذا العبث؟)[1]

(١) من كتاب "من الفكر والقلب" للأستاذ البوطي/ ٣٢٥-٣٢٧ وأصل الدفاع الكامل في الشعاعين الثاني عشر

ويقول في موضع آخر من دفاعه:

هذه هي الحقيقة ونحن نقول بكل قوة:

(أيا من بعتم دينكم بدنياكم. أيها الكافرون التُعساء، أنفقوا ما شئتم. ستكون الدنيا وبالاً عليكم، لقد فُديت هذه الدعوة المقدسة بملايين الأبطال ونحن مستعدون لأن نفديها بأرواحنا، إننا نفضل البقاء في السجن ألف مرة على أن نرى الحرمات تُنتهك، في ظل هذا الاستبداد لا يمكن أن يقال أن هناك: حرية، حرية العلم، أو حرية الضمير، أو حرية التعبير أو حرية الدين، بقي على طلاب الحرية أن يموتوا أو يبقوا في السجون محتمين بالله تعالى قائلين: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

إن الدعوى المقامة على رسائل النور ليست مسألة شخصية أو شيئاً بسيطاً حتى يقلل من شأنها، إنها مسألة تهم الأمة والوطن والدولة وتهم الأمة الإسلامية، والعالم الإسلامي بأسره سيتابع هذه المسألة باهتمام بالغ.

نعلن بأننا منتسبون إلى الجماعة الإسلامية التي ينتسب إليها أكثر من ثلاثمائة مليون مسلم، فنحن حزب الله ونحن إخوة متضامنون.. خدام القرآن.. وجند الله وحزبه.

أيها السادة! يا رئيس المحكمة!

إنكم إذ تصدرون هذه الأحكام على رسائل النور وطلابها، وتدعون الكفر والإلحاد، وتحاولون حجب الحقائق القرآنية والإيمانية عن عيون البشر، وتريدون بذلك سد الطريق الذي سار عليه ملايين بل مئات الملايين من المسلمين ووصلوا إلى السعادة الأبدية الحقيقية، فلن تجنوا سوى حقدهم وازدرائهم.

والثالث عشر.

إن الزنادقة والمنافقين غرروا بكم وصفعوا العدل والحق، وانحرفوا بالدولة عن وظيفتها الأساس إلى مشاغل لا فائدة منها، واتخذوا من الاستبداد جمهورية، والرّدة نظاماً ومن الجهل والسفه مدنية، ومن الظلم قانوناً، وبذلك خانوا وطنهم وضربوه ضربة ما كان لأجنبي أن يضرب مثلها).[1]

وبالرغم من صدور قرار المحكمة في ١٥/ ٦/ ١٩٤٤ بتبرئة الأستاذ النورسي من جميع التهم المسندة إليه، إلاّ أنه لم يطلق سراحه.

وهذا تصرف عجيب في تاريخ العدالة، بل احتجز في أحد الفنادق لمدة شهرين ريثما تأتي التعليمات الحكومية بحقه من العاصمة (أنقرة).

جاءت التعليمات أواخر آب ١٩٤٤ أخيراً بنفيه - وهو الشخص الذي برّأته المحكمة وبرأت كل رسائله- إلى قضاء (أميرداغ) من أعمال ولاية (آفيون).

في أميرداغ (١٩٤٤)

وضع الشيخ في إقامة جبرية في أحد البيوت، ووضع على بابه حارس لا يفارق الباب لمراقبة حركات وسكنات الشيخ العالم المنفى.

كان من عادة بديع الزمان الخروج في فصل الصيف إلى السهول والبساتين القريبة من (أميرداغ) وكانت الشرطة تتعقبه في نزهته هذه وفي إحدى المرات تعرضوا له بالأذى، إذ نزعوا عمامته من رأسه وساقوه إلى مخفر الشرطة بحجة مخالفته لقانون الزّي.

وهنا أيضاً وباعتراف الطبيب الرسمي آنذاك في (أميرداغ) دسوا له السم في طعامه حيث قضى الشيخ أسبوعاً طريح الفراش يتلوّى من آلامه، ولكن الله

(١) من كتاب سيرة إمام مجدد / ٥٦-٥٧ دون ذكر اسم المؤلف.

سبحانه نجاه من كيد أعدائه. ويضيق صدر بديع الزمان من هذه المعاملة، ومن هذا الوضع الذي لا يفرق كثيراً عن السجن الانفرادي، فيكتب رسالة إلى رئيس قوى الأمن في ولاية (آفيون) قائلاً له:

(لا أدري لماذا لا تعير بالاً إلى المعاملة غير القانونية وغير المنصفة التي أتعرض لها والتي لم ير لها شبيه حتى الآن؟ فمثلاً عندما أرغب في الذهاب إلى الجامع وفي الأوقات التي يكون فيها خالياً تقريباً - لكي أفوز بثواب صلاة الجماعة مع أفراد قليلين، فإن الأوامر الصادرة تحظر عليّ وبشكل قاطع الذهاب إلى الجامع، فأي قانون يوجب هذه المعاملة على شخص يعاني من الغربة والمرض والشيخوخة وضيق اليد! وأية مصلحة فيها؟ ثم أي بأس هناك في قبول صداقة بعض الأفراد الذين يقومون بمساعدتي في بعض شؤوني الضرورية، وأنا أعيش وكأنني في سجن انفرادي في غرفة باردة وفي جو من الغربة والمرض والفقر والشيخوخة وأي قانون يمنع هذا؟ أي قانون يمنع اتصالي مع شخص أو شخصين يرغبان في تأدية بعض الخدمات الضرورية لي، والتي لا أستطيع أنا القيام بها؟)[1]

ويكتب في إحدى رسائله لكي يُسمع المسؤولين في أنقرة:

(إذا كان الحاكم والمدعي واحداً، فإلى مَن ترفع الشكوى؟ لقد حرت طويلاً في هذه المشكلة.. أجل إن حالتي اليوم، وأنا طليق مراقب أشد عليّ بكثير من الأيام التي كنت مسجوناً فيها، إن يوماً واحداً من هذه الحياة يضايقني أكثر من شهر كامل في سجني المنفرد ذاك. لقد مُنعتُ رغم ضعفي وتقدمي في السن في هذا الشتاء القارس من كل شيء، على أنني منذ عشرين سنة أُعاني مأساة حبس منفرد. إنني أقول: إن أهم وظيفة إنسانية لهذه الحكومة هي حفظ حقوقي التي لا

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٣٣١

يستطيع أحد إنكارها. ذلك لأنها بعد مراقبة دامت تسعة أشهر لما كتبته في عشرين سنة، اضطرت أن تعترف ببراءته، ولكن هناك أيد خفية -لكي تخدم النفوذ الأجنبي- لا تبالي أن تجعل من الحبة قبة في سبيل تجريمي وإسكاتي. وهناك أيضاً غاية واحدة لهم: هي أن ينفذ ما لدّي من صبر ثم أقول: حسبي هذا القدر. نعم .. إن تجريدي من حقوقي الإنسانية كلها - بعد هذا كله- إنما هو حطة، بل أشد أنواع الظلم.

لقد سمعت أن المسؤولين عهدوا إلى حكومة هذه المنطقة إعاشتي الدنيوية، إنني أشكر هؤلاء الناس ولكنني أُعلن لهم إن حريتي في أداء واجبي هي أهم من كل شيء فهي أول ركن من دستور حياتي.

إن إقصائي عن حريتي بحبائل الأوهام الكاذبة يجعلني أملّ حياتي مللاً شديداً مهما اكتنفها من مغريات العيش. لا أقول الحبس أو السجن، بل إنني لأفضل ذلك القبر المظلم على هذه الحالة. إن على هؤلاء الذين يقولون إنهم لا يريدون ظلمي، ويحكمون ببراءتي، أن يردّوا عليّ قبل كل شيء حريتي، وأن لا يدنو إليها بسوء. إنني أتمكن أن أعيش بدون طعام، ولكني لا يمكن أن أعيش بدون حريتي..

نعم إن ذاك الذي عاش طوال تسع سنوات على مبلغ لم يزد على مائتي ليرة تركية دون أن يعرض نفسه معها إلى ذل الصدقة والمسألة والتعرض للزكوات والهدايا، لا ريب أنه اليوم أحوج إلى الحرية منه إلى العيش.

ولكني أقول: إنه مما يعوضني عن عشرة من الناس يحال بيني وبينهم، أن مليوناً من المسلمين يعكفون على دراسة رسائل النور التي انتشرت فيما بينهم، إنهم إن استطاعوا أن يسكتوني أمام الناس، فلن يستطيعوا إسكات رسائل النور

التي تصل إلى شغاف القلوب.. إن كل نسخة منها تقوم مقامي في الكلام والبيان، ولن تسكتها أي قوة كانت على الأرض).[1]

في محكمة آفيون

(المدرسة اليوسفية الثالثة):

هل كان مرور اثنتين وعشرين سنة على حياة النفي والإقامة الجبرية والمراقبة والترصد لشيخ بلغ عمره الخامسة والسبعين عاماً يكفي بالنسبة إلى جلاوزة أنقرة آنذاك؟!

كلا.. فالبوليس السري يترصد حركاته وسكناته ويترصد حركة طلابه ويبحث عن أية حجة أو مسوّغ كان للقبض عليهم..

وفي يوم ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٨م داهم البوليس بيت الأستاذ بديع الزمان وبيوت خمسة عشرة من طلبة النور، حيث سيقوا جميعاً إلى سجن مدينة (آفيون) ثم أُشيع جو من الإرهاب في عدة مدن منها (إسبارطة، ودنيزلي، وآيدن، وآفيون) حيث أُعتقل فيها أربع وخمسون شخصاً من طلبة النور.

وفي هذه المرة أيضاً كانت التهمة الموجهة هي التهم السابقة نفسها التي حوكم الأستاذ وطلابه بموجبها والتي برئوا منها، أي الاتهام بتشكيل جمعية سياسية والسعي ضد نظام الحكم.. الخ. هذه النغمة المكررة.

دامت جلسات المحكمة مدة طويلة، وصدر القرار أخيراً في ٦ كانون الأول سنة ١٩٤٨ بالحكم على الأستاذ بديع الزمان بالسجن لمدة عشرين شهراً وبالحكم مدداً مختلفة على عدد من طلابه وتبرئة البعض الآخر.

---

(١) من الفكر والقلب للأستاذ البوطي/ ٣٣١.

وقد قام الأستاذ بديع الزمان بالاعتراض على هذا القرار في محكمة التمييز التي سرعان ما قررت بطلان الحكم استناداً إلى قرار محكمة (دنيزلي) التي برأت الأستاذ الذي كان متهماً بالتهمة نفسها.

وانعقدت المحكمة مرة ثانية للنظر فيما إذا كان عليها أن تتبع قرار محكمة التمييز أم لا؟ وتتعمد المحكمة أن تطيل في هذه المسألة، وأن تؤجل الجلسات شهراً بعد شهر، وبالرغم من أنها أقرّت أخيراً قرار محكمة التمييز، إلاّ أنها تتعمد إطالة إجراءات إطلاق سراح الأستاذ بديع الزمان حتى يقضي في السجن المدة التي سبق أن حكم بها وذلك لئلا يستفيد من قرار التبرئة.

فتأمل المستوى الهابط الذي انحدرت إليه المحكمة والألاعيب الرخيصة التي توسلت بها لإيذاء شيخ لم ينقموا منه إلاّ أنه يقول: (ربّي الله).

وفي هذا السجن الذي قضى فيه الأستاذ بديع الزمان عشرين شهراً عومل معاملة قاسية، فبالرغم من شيخوخته ومرضه، وبالرغم من الشتاء القارس، فقد تركوه وحده في زنزانة كبيرة عارية تَسِعُ ستين شخصاً.. تركوه دون مدفأة بينما كان الثلج يتراكم على زجاج نافذته ودسوا له السم في طعامه، ولكن الله حفظه، وعندما حاول بعض طلابه إسعافه ومساعدته، ضربوهم ضرباً مبرحاً وأدميت أرجلهم على (الفلقة).

وفي هذا السجن أيضاً اهتدى على يديه كثير من المجرمين والقتلة، كما أنه استمر على التأليف. فألّف (الشعاع الخامس عشر) الذي هو رسالة (الحجة الزهراء) [1] وتتناول الأدلة القاطعة على وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وعلى صدق نبوة محمد ﷺ.

---

(١) يقول بيرام يوكسل الذي خدم الأستاذ طوال حياته: "كانت كتابة رسائل النور والانشغال بها شغلنا الشاغل مع إخواننا من طلاب النور في السجن، فعندما كنا نقترب من ردهة الأستاذ في السجن نسمع صوتاً كدوي النحل يترنم ليلاً ونهاراً. إنها أصوات أذكاره وتسبيحاته وصلواته. كنا نراقب أعمال الأستاذ عن كثب، وكان مصباحه يضاء خافتاً حتى في أوقات متأخرة من الليل.. ألّف في هذه الفترة الشعاع الخامس عشر الحجة الزهراء فكنا نمر بين حين وآخر من تحت شباك ردهته، وما ان يرانا حتى يرمي لنا علب الكبريت وفيها قسم مما ألّفه من الرسالة. ونحن بدورنا نستنسخ سراً نسخاً منها. سيرة ذاتية / ٤٣٢

وعندما اضطرت المحكمة إلى إخلاء سبيله - بعد أن قضى في السجن عشرين شهراً ظلماً ودون وجه حق إذ إن قرار المحكمة كان هو التبرئة- فإنهم لم يطلقوا سراحه في الوقت المعتاد، بل أطلقوه في (٢٠ أيلول سنة ١٩٤٩) في الفجر، حيث خرج يصحبه شرطيان وعدد من طلابه إلى بيت قد أعد له.

مراحل حياة بديع الزمان:

المرحلة الأولى (سعيد القديم) :

هي المرحلة التي يطلق فيها سعيد النورسي على نفسه اسم (سعيد القديم) وتستمر حتى إقامته الجبرية في (بارلا) سنة ١٩٢٦م.

في هذه المرحلة نرى أن سعيداً النورسي يحاول خدمة الإسلام بالخوض في غمار الحياة السياسية ومعتركها ويحاول صد التيار المعادي للإسلام بالصراع في تيار السياسة، فنراه يقدم طلباً إلى السلطان عبد الحميد وينصحه أو نراه يكتب المقالات السياسية العنيفة في جريدة (وولقان) ونراه يحاول التأثير في رجال الاتحاد والترقي لدفعهم إلى الجانب الإسلامي، كما نراه يذهب إلى أنقرة ويحاول تقوية الجناح الإسلامي عند النواب، ويحاول صد التيار المعادي للإسلام، أما السنين الثمانية الأخيرة من هذه المرحلة، فهي تعتبر مرحلة انتقالية إلى سعيد الجديد.

المرحلة الثانية (سعيد الجديد):

وهي المرحلة التي يطلق فيها على نفسه اسم (سعيد الجديد) وتبدأ هذه المرحلة من بداية حياته في منفاه في (بارلا) ١٩٢٦م وتستمر هذه المرحلة حتى توفاه الله سنة١٩٦٠.

في هذه المرحلة الثانية نرى أن (سعيداً الجديد) قد طلّق الحياة السياسية تحت شعاره المعروف (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة) وأخذ على عاتقه مسألة (إنقاذ الإيمان) في تركيا. وذلك بعد أن أيقن استحالة خدمة الإسلام بالدخول في معترك السياسة ودهاليزها وصراعاتها العقيمة خاصة بعد أن سدت المدارس الدينية وحوّلت مئات الجوامع والمساجد إلى مخازن أو إسطبلات أو مراكز للشباب، فتحول سعيد النورسي من العمل السياسي وصرف اهتمامه إلى النواحي الإيمانية والقضايا الاعتقادية، ففوّت على أعداء الإسلام كل فرصة أو حجة للوقوف أمام نشاطه، وبالرغم من أنه قُدم إلى المحاكم ست مرات، فإن هذه المحاكم لم تكن تجد أي دليل ملموس على أنه يقوم بشيء مخالف للنظام أو الأمن، وبالرغم من أن السلطة كانت تشعر بخطورة (رسائل النور) وبأنها تبني ما تحاول هي هدمه، وأنها تهدم ما تحاول هي بناءه. فإن المحاكم لم تكن تجد دليلاً قانونياً ضده، فضلاً عن أن الأستاذ سعيد النورسي أيقن بثاقب بصره أنه ما لم ينشء جيلاً مؤمناً بالله ورسوله حتى أعماق قلبه ووجدانه فإن كل شيء سيكون عبثاً لا جدوى منه.

وهل يمكن خدمة الإسلام بأناس لا يملكون سوى أنصاف الإيمان؟.. وهل يمكن ذلك وبنفوس لم تعرف الإسلام جيداً ولم تتشرب به؟. ألا يكون ذلك أكبر تشويه لصورة الإسلام وأكبر أذى يمكن إلحاقه به؟

إن هذه النظرة العميقة المتأنية والبعيدة عن الارتجال والعجلة ونفاد الصبر، قد تكون درساً مفيداً للكثيرين، وتبرهن على أن في الوسع خدمة الإسلام بعيداً عن السياسة وصراعاتها.

أعوذ بالله من الشيطان والسياسة:

ويعلل الأستاذ سعيد النورسي سبب انسحابه من ميدان السياسة في تلك الفترة وانتقاله إلى سعيد الجديد، بما يأتي:

(لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها. فذهبت محاولته أدراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها. وأن التدخل فيها فضول - بالنسبة إليّ- فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب. وهي ذات خطورة. وأن أغلبها خداع وأكاذيب. وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر. وكذا فالذي يخوض غمار السياسة إما أن يكون موافقاً لسياسة الدولة أو معارضاً لها، فإن كنت موافقاً فالتدخل فيها بالنسبة إليّ فضول ولا يعنيني بشيء، حيث إنني لست موظفاً في الدولة ولا نائباً في برلمانا، فلا معنى عندئذٍ لممارستي الأمور السياسية وهم ليسوا بحاجة إليّ لأتدخل فيها. وإذا دخلت ضمن المعارضة أو السياسة المخالفة للدولة، فلابد أن أتدخل إما عن طريق الفكر أو عن طريق القوة. فإن كان التدخل فكرياً فليس هناك حاجة إليّ أيضاً، لأن الأمور واضحة جداً، والجميع يعرفون المسائل مثلي، فلا داعي إلى الثرثرة. وإن كان التدخل بالقوة، أي بأن أظهر المعارضة بإحداث المشاكل لأجل الوصول إلى هدف مشكوك فيه. فهناك احتمال الولوج في آلاف من الآثام والأوزار، حيث يبتلي الكثيرون بجريرة شخص واحد. فلا يرضى وجداني الولوج في الآثام وإلقاء الأبرياء فيها بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات، لأجل هذا فقد ترك سعيد القديم السياسة ومجالسها الدنيوية وقراءة الجرائد مع تركه السيجارة.)[1]

تتميز الأوضاع في تركيا في أواخر هذه المرحلة بعودة الأحزاب السياسية إلى النشاط بعد أن كان هناك حكم الحزب الواحد. وقد توضحت بشكل جلي ابتداءً من سنة ١٩٥٠، وهي السنة التي فاز فيها الحزب المعارض (الحزب الديمقراطي) في الانتخابات فوزاً ساحقاً، وأقصى بذلك (حزب الشعب الجمهوري) من الحكم الذي حارب الإسلام مدة ربع قرن.

---

(١) المكتوبات/ ٧٦

نرى هنا أن (سعيدا الجديد) زاد على نشاطه نشاطاً آخر وهو قيامه بالتدريس الجماعي لرسائل النور، إضافة إلى قيامه بدعوة ونصح السياسيين ورجال الحكم باتباع الإسلام والاسترشاد به، وبيان أن الطريق الصحيح الوحيد هو طريق الإسلام من دون أن يدخل بنفسه إلى ساحة السياسة بل بقي أيضاً بعيداً عنها يصرف كل جهده لتربية النفوس وتقوية الإيمان وتذكير الناس بالله واليوم الآخر، مع تنبيه مستمر إلى طلبته أن يتخذوا العمل الإيجابي البنّاء شعاراً لهم دون الخوض في الدفاع عن حقوقهم بالقوة المادية أو الالتفات إلى التيارات المعادية والانشغال بها..

إلى أميرداغ مرة أخرى:

بعد خروجه من سجن (آفيون) بقي بديع الزمان في أحد البيوت في مدينة آفيون مدة شهرين حيث كان ينتصب أمام بيته شرطيان يراقبان زواره وطلابه. أي كان هناك سجن آخر بمظهر آخر.

ولكن نرى بعض التغير في حياة الأستاذ بعد سجن آفيون، فسابقاً لم يكن يسمح لأحد أن يبيت في الدار. لذلك فإن باب مسكنه كان يقفل من المغرب حتى فجر اليوم التالي. أما الآن فلتقدمه في السن ولحاجته إلى الرعاية، فإن بعض طلابه أصبحوا يبيتون في إحدى غرف البيت ولا يدخلون عليه إلاّ إذا طلبهم.

في تلك السنة أي (سنة ١٩٤٩) راجت رسائل النور رواجاً كبيراً، إذ سُمح لها بعد قرارات البراءة التي أصدرتها مختلف المحاكم بالطبع على الرونيو، فأصبحت آلاف النسخ المطبوعة تنتشر في القرى والنواحي والمدن، فتكسب آلاف الأنصار وتشعل جذوة الإيمان في آلاف القلوب.

وهكذا فرضت (حركة النور) نفسها على واقع المجتمع التركي، فلم يعد بوسع أحد أن يتجاهلها، فهذه المحاكم المتلاحقة للأستاذ بديع الزمان ولطلابه لم

تستطع أبداً أن تكون سداً مانعاً أمام هذه الحركة، بل شاءت حكمة الله أن تكون هذه المحاكم نفسها وسيلة فعّالة في نشر رسائل النور، ذلك لأن المرافعات الرائعة التي كان يلقيها الأستاذ بديع الزمان في المحاكم -حيث كانت علنية- كانت خير وسيلة لشرح غاية رسائل النور وفضح مرامي وأهداف الذين يقفون ضدها. وكانت هذه المرافعات تستنسخ من قبل طلاب النور وتوزع سراً[1] بين الناس، كما أن المحاكم، وما كان يسبقها من توقيف لطلاب النور، وما يعقبها من الحبس كانت خير وسيلة للتعارف بين طلاب النور الذين أُحضروا من مختلف القرى والنواحي والمدن، فكانت السجون هي أماكن تعارفهم وتآلفهم وتصادقهم وتعلّم الحروف العربية، وتجديد العهد بينهم على نذر أنفسهم لخدمة الإسلام وحقاً أنها كانت (مدرسة يوسفية).

كانت محكمة آفيون قد قررت مصادرة رسائل النور، ولكن محكمة التمييز نقضت هذا القرار استناداً إلى محكمة الجزاء الكبرى في (دنيزلي) التي كانت قد أصدرت قرارها ببراءة رسائل النور وأجازت تداولها. وعلى إثر ذلك انعقدت المحكمة مرة أخرى لإعادة النظر في هذا الموضوع.

وبينما كانت المحكمة مستمرة في عقد جلساتها تبدلت الحكومة في أنقرة، إذ جاء الحزب الديمقراطي إلى الحكم سنة ١٩٥٠م بعد فوزه في أول انتخابات حرة تجري في تركيا مطيحاً بحزب الشعب الجمهوري الذي حكم البلاد مدة ربع قرن من الزمان والذي تميز عهده بالعداء الشديد للإسلام.

وعند مجيء الحزب الديمقراطي إلى الحكم اصدر عفواً عاماً في البلاد.. وهكذا أغلقت هذه القضية.

---

(١) حيث كانت تكتب بالحروف العربية.

بعد أن قضى الأستاذ مدة شهرين في مدينة آفيون توجه مع بعض طلابه إلى (أميرداغ) حيث قضى فيها سنتين وبعدها توجه في زيارة إلى مدينة (أسكي شهر) سنة ١٩٥١م وكانت هذه أول زيارة حرة يقوم بها، إذ انه ما كان يستطيع ذلك قبل عام (١٩٥٠م) وهناك التقى طلابه القدامى والطلاب الجدد.

بقي الأستاذ شهراً ونصف شهر في هذه المدينة في فندق (يلدز) التقى فيها أصناف الشعب الذين كانوا يتقاطرون لزيارته.

الفصل الثالث

أواخر حياته

١٣٦٨-١٣٧٩

١٩٥٠-١٩٦٠

ســـنة ١٩٥٠م:

استبشر المسلمون بمجيء (الحـزب الـديمقراطي) إلى الحكـم، لا لأن هـذا الحزب كان حزباً إسلامياً، بل لسببين رئيسين:

١- إنه أزاح من الحكم أشرس عدو للإسلام.

٢- إنه أعطى بعض الحرية للنشاط الإسلامي، وأرجع الأذان الشرعي.

لذلك فقد أرسل الأستاذ بديع الزمان برقية تهنئة لـرئيس الجمهوريـة الجديـد (جلال بايـار) تمنـى فيهـا أن يوفقـه الله لخدمـة الإسـلام. وقـد ردّ عليـه رئـيس الجمهورية ببرقية شكر.

محكمة أخرى في استانبول:

بعد مدينة (أسكي شهر) توجّه الأستاذ بديع الزمان إلى مدينة (إسبارطة) حيث بقي فيها سبعين يوماً، التقى طلابه مستعيداً ذكرى سنوات نفيه التي قضاها فيها.

في تلك الأيام قام بعض طلابه في إسطنبول بطبـع رسـالة (مرشـد الشـباب) [1] بالحروف الجديدة، مما تسـبّب في إقامـة دعـوى ضـده بحجـة مخالفتـه للمـادة (١٦٣) في الدستور التركي؛ وهي المادة التـي تحظـر أي نشـاط يسـتهدف إقامـة الدولة على أسس دينية.

وقد استدعى الأستاذ بديع الزمان إلى إسطنبول للمثول أمام محكمـة الجـزاء الكبرى وحدد يوم ٢٢ / ١ / ١٩٥٢م. للنظر في هذه الدعوى، وخلال هذه الفترة كتب بحوث رسالة (مفتاح لعالم النور).

---

(١) تضم هذه الرسالة مستلات من كليات رسائل النور، تهم حياة الشباب الدنيوية والأخروية.

توجّه بديع الزمان إلى استانبول، ونـزل في فندق (آق شـهر). كانـت هـذه أول زيارة لمدينة إسطنبول بعد غيـبة دامت سبعة وعشرين عاماً.

إسطنبول.. تلك المدينة الجميلة.

إسطنبول.. مدينة الجوامع والمنـائر.. المدينـة التـي قضـى فيهـا سـنوات لا ينساها من عمره، والتي ترك فيها مئات من أصدقاء العمـر قبـل أن تبـدأ سـنوات النفي والسجن والوحدة التي أخذت من عمره ربع قرن من الزمان.

وما إن وصل إلى إسطنبول حتى بدأ سيل الأصدقاء القدامى بالوفود عليه.

كانت مقابلات مؤثرة..يا للذكريات الكثيرة البعيدة.. البعيدة! ذكريـات كلهـا جهاد في سبيل الله وفي سبيل رسوله الحبيب.

كما توافد عليه سيل من طلاب النور ومن الشباب الجـامعي المـؤمن الـذين كانوا يتحرقون شوقاً إلى رؤية مرشدهم الكبير.. إلى رؤية الشخص الـذي قضـى عمره كله مجاهداً في سبيل الله في أحلـك السـنوات، والـذي حمـل في يـده سـراج الهداية وسط أعتى العواصف دون أن تلين له قناة أو تفتر له همة.

المحـكمة :

انعقـدت المحكمـة في يـوم (٢٢ / ١/ ١٩٥٢م). وجـاء الأسـتاذ يحـف بـه المئات من طلبة النور.

كانت قاعة المحكمة قد امتلأت بجموع من الشعب الـذين حضـروا لمتابعـة هذه القضية ولرؤية هذا الشيخ الذي شغل تركيا كل هـذه السـنين. كمـا امـتلأت ممرات المحكمة، وامتد الازدحام إلى الشارع.

جلس الأستاذ في المكان المخصص للمتهمين. وبدأ الادعاء العام بقراءة تقرير الخبراء المكلفين بتدقيق رسالة (مرشد الشباب) ثم تمّ استجواب الأستاذ. كان تقرير الخبراء يقول باختصار ما يأتي:

(أن المؤلف يحاول في رسالته هذه نشر الفكرة الدينية، وأنه يحاول رسم طريق معين للشباب بوساطة هذه الأفكار، وأنه يدعو النساء إلى الاحتشام وعدم السير والتجول بملابس تكشف عن أجسامهن لأن ذلك يصادم الفطرة، ويخالف الإسلام والآداب القرآنية.

كما أن المؤلف يدعو إلى تدريس الدين وهو بذلك يؤيد إقامة نظام الدولة على أسس دينية.. الخ).

وبعد الانتهاء من قراءة صيغة الاتهام قام الأستاذ بديع الزمان للردّ على ما ورد أعلاه قائلاً ما خلاصته:

(إن خمساً وثلاثين سنة من عمره يعطي مثالاً جيداً لا يقبل الشك بأنه لم يشتغل بالسياسة مطلقاً، ولم تكن له أية علاقة بأية أمور دنيوية أو بتيارات ضارة.

إن ما يهمّه ويشغل باله هو أن يخدم القرآن، وأن يوضح الحقائق الإيمانية.

وإنه حاول ولا يزال يحاول بكل جهده أن ينقذ الإيمان. وأن قرارات البراءة الصادرة من محاكم مختلفة بحقه تعطي الدليل القاطع على ذلك.

أما بخصوص رسالة (مرشد الشباب) فإن قيام الشباب بطبعها يجب أن يكون مبعث سرور وارتياح، ذلك لأن هذه الرسالة تحاول إنقاذ الشباب والشابات من التيارات العديدة التي تعمل على هدم بنية المجتمع ونخر جسمه).[1]

وبذلك انتهت الجلسة الأولى للمحكمة على أن تعاود انعقادها في ١٩ شباط.

---

(١) سيرة ذاتية / ٤٤٦

وعند انعقاد الجلسة الثانية في موعدها المحدد، كان هناك ازدحام أشد إلى درجة تعذر على الشرطة السيطرة على الناس المتدافعين.

وفي هذا الجو من الزحام والتدافع لم يكن من الممكن إجراء المحكمة، لذلك فقد توجه رئيس المحكمة إلى الموجودين قائلاً لهم:

– إذا كنتم تحبون الشيخ، فافسحوا لنا المجال لكي نستطيع الاستمرار في إجراءات المحاكمة.

وعلى أثر هذا الطلب فقد بدأ الجمهور بالتراجع، وهكذا بدأت المحاكمة إذ استُدعي صاحب المطبعة الذي قام بالطبع كما استمع إلى شهادة الشرطة. ثم قام بديع الزمان وقدم اعتراضه على تقرير الخبراء.

وحينما أدركته صلاة العصر طلب الأستاذ السماح له بتأدية الصلاة، وقد أُجيب إلى طلبه، إذ أعلن رئيس الحكمة انتهاء الجلسة الثانية.

وفي الجلسة الثالثة التي انعقدت في (٥ مارت سنة ١٩٥٢) اتخذت الحكومة احتياطات أمن مشددة، فوزعت مئات من رجال الشرطة أمام المحكمة وداخلها حيث استطاعت بذلك تنظيم السيطرة على الآلاف من محبي وطلاب الأستاذ بديع الزمان.

في البداية استمعت المحكمة إلى شهادة الطالب الجامعي الذي قام بطبع هذه الرسالة. ثم ألقى محامو بديع الزمان بدفاعاتهم وردّوا على التهم الموجهة إليه.

وأخيراً توجه رئيس المحكمة إليه متسائلاً:

– هل هناك ما ترغب في قوله، زيادة على ما قلت؟

– أرجو أن تسمحوا لي بزيادة كلمة واحدة.

– تفضلوا

– إنني لست أهلاً لكلمات الثناء التي أضفاها عليّ موكلي المحترمون، إذ إنني لست سوى خادم عاجز للقرآن وللإيمان. ليس عندي ما أقوله سوى هذا.

وأخيراً أصدرت المحكمة قرارها بالبراءة.[1]

محكمة صامسون ١٩٥٣:

بعد براءته من محكمة استانبول، ذهب الأستاذ سعيد النورسي إلى (أميرداغ) فهناك له ذكريات كثيرة وطلاب وأصدقاء عديدون.

وفي أحد أيام رمضان خرج الأستاذ سعيد النورسي وحده يتجول في الحقول المحيطة بالمدينة دون أن يدري بأن عريف شرطة مع ثلاثة من أفراد يتعقبونه.

ولم يستطع الأستاذ أن يتم تجواله، إذ لحقه هؤلاء وعرضوا عليه أن يلبس القبعة. وعندما قادوه إلى مركز الشرطة احتج الأستاذ على هذه المعاملة، وأرسل عريضة إلى وزارة العدل وإلى وزارة الداخلية في أنقرة، شجب فيها هذه التصرفات الرعناء، كما أرسل صورة من عريضته إلى أحد طلابه في أنقرة ليتتبع الموضوع عند المراجع الرسمية.

ومن أنقرة قرر بعض طلابه إرسال نسخة من هذه العريضة إلى جريدة إسلامية تصدر في (صامسون) باسم (بيوك جهاد) الجهاد الأكبر حيث نشرت هناك.

في هذه الأثناء وقعت حادثة الصحفي المعروف (أحمد أمين يالمان) إذ حاول شاب مسلم أن يغتاله، فأطلق عليه عدة رصاصات لم تنل منه مقتلاً. و(أحمد أمين يالمان) صحفي مشهور من طائفة (الدونمة)[2] اليهودية وكان سجل هذا الصحفي

---

(١) نفسه / ٤٦٦

(٢) وهي طائفة يهودية تظاهرت بالإسلام، وبقيت تمارس عقائدها اليهودية سراً، ولكونها تملك ركائز اقتصادية وسياسية قوية قامت بدور تخريبي كبير في تركيا.

بالذات سجلاً حافلاً بالعمل ضد الإسلام. منها مطالبته بتشكيل دويلة أرمنية في تركيا، كما طالب أن تقوم الولايات المتحدة باستعمار أراضى تركيا عسكرياً لإدارة شؤونها، حيث لم تصل تركيا إلى المستوى الذي تستطيع فيه إدارة نفسها!!

وقد استغلت هذه الحادثة استغلالاً كبيراً كل الجرائد والمجلات المعادية للإسلام وجميع المحافل اليهودية الماسونية التي غاظها جو الحرية النسبي الذي بدأت تتنفسه الحركات الإسلامية في تركيا، فأرادت أن تظهر بأن إعطاء أية حرية لمثل هذه الحركات ستكون نتيجتها ظهور الرجعية والإرهاب.. الخ.

كما وجدت صحف المعارضة (وهي صحف حزب الشعب) في هذه الحادثة فرصة ذهبية لها لكي تشفي غيظها من هزيمتها في الانتخابات، ولكي تكيل التهم للحكومة بأنها قد أرسلت الحبل على الغارب للرجعية، وأنها إن لم تتدارك الموقف بحزم فإن مصيراً أسود ينتظر تركيا!.

كانت حملة صحفية رهيبة لم يستطع رجال الحزب الديمقراطي الحاكم أن يقفوا أمامها، هذا فوق وجود جناح معاد للإسلام في هذا الحزب أيضاً. فصدرت الأوامر بغلق جميع الجرائد والمجلات الإسلامية، واعتقال جميع الكتّاب والمفكرين المسلمين العاملين فيها، فاعتقل الأستاذ (نجيب فاضل) والجنرال المتقاعد (جواد رفعت أتيلخان) و(عثمان يوكسل) وغيرهم..

قد اعتقل في هذه الحملة من الاعتقالات المدير المسؤول عن جريدة (الجهاد الأكبر) وأحد طلبة النور وهو السيد (مصطفى صونغور) الذي كان من النشيطين في تلك الجريدة وسيقا معاً إلى المحكمة في مدينة (صامسون) وقد أصدرت المحكمة قرارها بالحكم عليهما، ولكن محكمة التمييز ألغت هذا القرار وأصدرت قرارها بالبراءة.

ولكن قضية أخرى ثارت، إذ فتحت دعوى في مدينة (صامسون) ضد الأستاذ بديع الزمان بسبب مقالة نشرت في جريدة (الجهاد الأكبر) تحت عنوان (أكبر برهان) وطلب مثوله أمام محكمة (صامسون)، ولكن الأستاذ كان آنذاك مريضاً، فضلاً عن تقدمه في السن، إذ كان في الثمانين من عمره.

وبالرغم من حصوله على تأييد طبي من طبابة قضاء (أميرداغ) وكذلك من مدينة (أسكي شهر) إلاّ أن محكمة (صامسون) أصرت على حضوره.

وبناء على هذا الإصرار توجه إلى إسطنبول في طريقه إلى صامسون ولكن مرضه اشتد بعد وصوله إلى إسطنبول، فلم يعد بإمكانه مواصلة السفر فاستحصل تقريراً طبياً من الهيئة الصحية، وأرسله إلى المحكمة.

كان هذا التقرير الطبي يؤيد بأن حالة الأستاذ بديع الزمان لا تسمح له أبدا بالسفر لا براً ولا بحراً ولا جواً، ولكن المدعي العام بالرغم من هذا التقرير الطبي الواضح القاطع، كان يطالب بشدة بحضوره ومثوله أمام المحكمة.

كان هذا الإصرار شيئاً غريباً وغير طبيعي وغير إنساني أيضاً. ومن لطف الله تعالى أن المحكمة لم تأخذ بوجهة نظر المدعي العام، إذ قررت -استناداً إلى التقرير الطبي- أن تقوم محكمة إسطنبول باستجواب الأستاذ نيابة عنها.

وأخيراً وبعد انتهاء جميع الإجراءات اللازمة أصدرت المحكمة قرارها بالبراءة، إذ لم تجد في تلك المقالة ما يؤاخذ عليها.[1]

بديع الزمان وبطريرك الروم:

قضى الأستاذ في إسطنبول ثلاثة أشهر تقريباً أمضى معظمها في بيت أحد طلابه المقربين.

---

(١) نفسه/ ٤٦١

في تلك السنة (١٩٥٣م) كانت إسطنبول تتهيأ للاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتحها.

وقد أقيم فعلاً احتفال مهيب دعي إليه الأستاذ بديع الزمان مع المدعوين الرسميين، وفي هذا الاحتفال التقى بطريرك الروم (آشنو كراس). وأثناء اللقاء جرى بينهما الحوار الآتي:

سعيد النورسي: يمكن أن تكونوا من أهل النجاة يوم القيامة إذا آمنتم بالدين النصراني الحق بشرط الاعتراف بنبوّة سيدنا محمد ﷺ وبالاعتراف بالقرآن الكريم كتاباً من عند الله.

البطريرك: إنني أعترف بذلك.

سعيد النورسي: حسناً، فهل تعلنون ذلك أمام الرؤساء الروحانيين الآخرين؟

البطريرك: أجل إنني أقول ذلك ولكنهم لا يقبلون.[1]

عودة إلى مدينة الذكريات (بارلا):

بعد قضائه ما يقارب ثلاثة أشهر في إسطنبول، حنّ الأستاذ إلى زيارة المدن التي قضى فيها فترات لا يمكن نسيانها من حياته.

فزار (أميرداغ) ثم توجه إلى (أسكي شهر) ومنها إلى (إسبارطة) بقي فيها ثمانين يوماً. ومن إسبارطة توجّه مع رهط من تلاميذه إلى مدينة الذكريات (بارلا).. المدينة التي شهدت أول انبثاق لحركة النور ولرسائل النور.. المدينة سيق إليها منفياً، فبارك الله له في أيام النفي، وجعل تلك الأيام من أعز الأيام على قلبه، وجعل ذكريات هذه البلدة من أحب الذكريات إلى نفسه.

---

(١) Bilinmeyen Taraflariyle B. Said Nursi لنجم الدين شاهينر/ ٣٨٢

وها هو يعود إليها، ولكن بعد عشرين عاماً حافلاً بالأحداث والمواقف والابتلاءات.

يعود إليها طليقاً يحف به بعض ثمار دعوته.. طلاب يتلألأ النور في جباههم المضيئة، وتطفح قلوبهم بحب الله ورسوله.

ويسمع أهل البلدة بقدوم الأستاذ، فيخرجون رجالاً ونساءً، وأطفالاً وشباباً لرؤيته. ويقفز الأطفال الصغار وهم يرددون:

جاء الشيخ.. جاء الشيخ!

إنهم لم يروا هذا الشيخ الوقور، ولكنهم سمعوا عنه من آبائهم وأمهاتهم.

وبينما كان الأستاذ يتقدم نحو البيت الذي بقي فيه ثماني سنوات، إلى البيت الذي كان أول مدرسة نورية، مرّ من أمام بيت تلميذه القديم (مصطفى جاويش) وهو النجار الذي عمل له الغرفة غير المسقّفة بين أغصان الشجرة التي كان يقضي فيها ساعات العبادة والتأمل.

مرّ أمام دار تلميذه ورأى القفل الكبير على باب الدار. كان تلميذه القديم الوفي قد توفي سنة ١٩٣٧، بينما كان الأستاذ يعيش في منفاه في (قسطموني). مات هذا الرجل ولذلك لم يتيسر له اللقاء معه بعد خروجه من بارلا. ولم يشعر إلاّ والدموع تتساقط من عينيه وتبلل خده.

وأخيراً وصل إلى بيته السابق، إلى مدرسته الأولى حيث كانت شجرته الحبيبة تنتصب أمامه وكأنها ، هي الأخرى ترحب به.. جاشت في نفسه العواطف وطلب من طلابه ومن الأهالي أن يتركوه وحده.

ثم ذهب إلى تلك الشجرة التي قضى معها أكثر من ثماني سنوات احتضنها وأجهش ببكاء طويل.

كانت هذه الشجرة قطعة من حياته، ومن ذكرياته. كم من ليال قضاها بين أغصانها يتهجد ويذكر الله! كم من ساعات قضاها يؤلف رسائل النور ويسمع حفيف أغصانها وأوراقها وتغريد الطيور عليها. كم من ليلة من ليالي الشتاء الطويلة الحالكة أرق في غرفته، فلم يكُن له أنيس في وحدته غير صوت هذه الشجرة تعصف بها الرياح، أو يسمع صوت قطرات الأمطار على أوراقها. لقد كانت له أنساً في وحدته، وسلوة في وحشته، وصديقاً في غربته.

وها هو الآن يرجع إليها بعد عشرين عاماً يتحسسها، ويريد أن يضمها إلى صدره ولا يتمالك نفسه من البكاء عند لقائها.

بعد ذلك صعد إلى غرفته، واختلى بنفسه هناك مدة ساعتين تقريباً. كان يبكي وهو يستعيد ذكريات أيامه الطويلة التى قضاها هنا، وكان الناس والطلاب المحيطون بالبيت يسمعون نشيج الشيخ فتدمع أعينهم كذلك.[1]

محكمة آفيون تبرئ ساحة رسائل النور (١٩٥٦):

كانت محكمة آفيون قد شكلت لجنة من الخبراء لتدقيق رسائل النور سنة (١٩٤٨م) وإبداء الرأي حولها، ورؤية ما إذا كانت تحوي ما يؤاخذ عليه القانون التركي.

وقد استمرت هذه المحكمة طوال ثماني سنوات وأخيراً أصدرت رأيها بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٩٥٦ استناداً إلى التقرير المقدم من لجنة الخبراء بأن هذه الرسائل تخلو من أي عنصر مخالف للقانون.

---

(١) نفسه/ ٣٧٣

كان هذا القرار يعني بالإمكان طبع رسائل النور وتوزيعها علناً، وفعلاً شمّر طلاب النور عن سواعدهم، فبدأت المطابع في إسطنبول وفي أنقرة، وفي صامسون وفي آنطاليا بطبع هذه الرسائل. وكانت الملزمات تؤتى إلى الأستاذ قبل الطبع فيقوم بتصحيحها.

كان الأستاذ فرحاً بطبع رسائل النور ويقول:

(هذا هو عيد رسائل النور. كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي إذن وسأرحل قريبا).[1]

وعندما كان يخرج لأمرٍ ما سرعان ما يعود قائلاً لطلابه: لابد أن الملزمات قد جاءت.. لا يجوز لنا أن ندعها تنتظر. يجب العودة حالا.

الأستاذ في الانتخابات العامة ١٩٥٧:

في سنة ١٩٥٧ جرت الانتخابات العامة في تركيا، وكان هناك حزبان رئيسان يتنافسان على الحكم وهما: الحزب الديمقراطي الحاكم وحزب الشعب المعارض مع أحزاب صغيرة لا تؤثر كثيراً في سير الانتخابات.

وبالرغم من أن الحزب الديمقراطي لم يكن حزباً إسلامياً، إلاّ أن جو الحرية الذي ساد تركيا عقب توليه الحكم، وانحسار موجة العداء الوحشي للإسلام، كل ذلك كان يعطي مسوغاً كافياً للحركات الإسلامية في تركيا أن تصوت بجانب الحزب الديمقراطي.[2]

---

(١) نفسه/ ٣٧٨

(٢) نفسه/ ٣٧٨

ومع أن الأستاذ سعيد النورسي لم يدخل الحياة السياسية ولم يؤلف حزباً سياسياً ولم يعلن عن أية نشاطات سياسية كانت، إلاّ أنه قرر إعطاء صوته للحزب الديمقراطي في تلك الأيام ليحول دون مجيء حزب الشعب إلى السلطة. وفعلاً ذهب إلى صندوق الاقتراع وأدلى بصوته لصالح الحزب الديمقراطي.

أواخر أيامه:

قضى الأستاذ سعيد مع طلبته سنواته الأخيرة في مدينة إسبارطة وكان أحياناً يقوم بزيارة (بارلا) وكذلك (أميرداغ)ولتقدمه في السن فإنه كان في أكثر الأحيان طريح الفراش.

كان قليل اللقاء الناس ولا يستطيع قبول زيارة المئات من الزوار وكان يقول:

(إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معي).

وكان طلابه يقدرون وضعه، فلا يدخلون عليه إلا إذا طلبهم، ومع ذلك فإنه لم يكن منقطعاً عن العالم الخارجي كلياً، إذ كان يتتبع الأخبار وعيّن أحد طلبته ليقرأ له أهم ما في الجرائد. فكان يهتم بأخبار طبع رسائل النور وبالمحاكمات المتعددة لطلاب النور.

ففي (١٦ نيسان سنة ١٩٥٨) اعتقل جميع من كان في خدمة الأستاذ من طلاب النور والذين يعملون في نشر الرسائل في أنقرة وإسطنبول وإسبارطة. وقد تقدّم للدفاع عنهم المحامي (بكر برق) واجتمع هذا المحامي في سجن أنقرة بطلاب النور المسجونين وقال لهم:

– إنني أحب أن آخذ رأيكم في مسألة تخصكم. فهل تحبون أن أسعى إلى إطلاق سراحكم من السجن في أقرب فرصة، أم ترغبون أن أسعى للدفاع عن دعوتكم وشرحها دون الاهتمام بقضية إطلاق سراحكم؟

أجاب طلاب النور معاً:

– نرجو منك أن تحصر جهدك في بيان وشرح دعوتنا السامية فنحن راضون أن نبقى في السجن سنوات عديدة.[1]

وقد أدرك هذا المحامي أنه ليس أمام أناس اعتياديين، بل هو أمام أناس نذروا أنفسهم لدعوتهم، وقد أخذ هذا المحامي على نفسه مهمة الدفاع في جميع المحاكم التي سيق إليها طلاب النور.. وما أكثرها!

لقاء الوداع:

بدأ الأستاذ سعيد النورسى في أواخر أيامه بسلسلة من السفرات وكأنه كان يريد أن يودّع طلابه.

ففي١٩ كانون الأول لسنة ١٩٥٩ سافر إلى (أنقرة) ومنها إلى (أميرداغ)ومنها إلى (قونيا) ومنها إلى (أنقرة) أيضاً، ومنها إلى (إسطنبول) في ١/ ١/ ١٩٦٠ حيث بقى فيها يومين، ثم رجع إلى (أنقره) مرة أخرى. وقد أجرى مندوب صحيفة تايمس اللندنية معه تحقيقاً صحفياً طويلاً، ونشر في ٦/ ١/ ١٩٦٠. ثم رجع إلى (قونيا) ومنها وفي اليوم نفسه توجّه إلى (إسبارطة).

هذه الزيارات المتلاحقة، أثارت رعب وسخط الأوساط المعادية للإسلام، فأخذت صحفها تشن حملة عنيفة على الأستاذ وتثير الرأي العام ضده مختلقة سلسلة من الأكاذيب والافتراءات، وكأن هناك فتنة دامية ستحل بالبلد.

لذلك فما أن رجع إلى أنقرة ١١/ ١/ ١٩٦٠ حتى أبلغته الحكومة بأن من الأفضل له أن يقيم في (اميرداغ) وفعلاً رجع الأستاذ إلى (اميرداغ) ولكنه طلب من الحكومة أن تسمح له بالإقامة شهراً في (اميرداغ) وشهراً في (إسبارطة).

---

(١) سيرة ذاتية / ٤٦٨

في ٢٠/ ١/ ١٩٦٠ توجه الأستاذ بديع الزمان من (أميرداغ)إلى إسبارطة وبعد أن أمضى مدة فيها توجه إلى (آفيون) وبعد أن أمضى فيها يوماً واحداً، قفل راجعاً إلى (اميرداغ).

في شهر مارت من تلك السنة كان مريضاً جداً، إذ كان مصاباً بذات الرئة. وفي اليوم الثامن عشر من الشهر نفسه اشتد عليه المرض وغاب عن وعيه مرات عديدة. ثم استغرق في النوم، واستيقظ قبل صلاة الصبح حيث توضأ واستبدل ملابسه، وكأنه قد عوفي من مرضه تماماً، وصلى صلاة الصبح ثم استدعى طلابه حيث ودّعهم واحداً واحداً قائلاً لهم وعيناه تفيضان بالدمع:

- استودعكم الله... إنني راحل.

وبعد أن ودّع أصدقاءه الآخرين، توجه بالسيارة إلى إسبارطة، وبقي هناك فترة فكان يؤم طلابه في صلاة العشاء، أما في صلاة التراويح -إذ كان ذلك في أوائل شهر رمضان المبارك- فإن تلميذه السيد (طاهري موطلو [1]) كان يقوم بالإمامة.

وقد استمر تحسن صحته حتى العاشر من رمضان، ثم عاوده المرض كذلك وارتفعت درجة حرارته.

وفي أحد الأيام فتح عينيه قائلاً لطلابه الذين كانوا يتناوبون السهر عليه: سنذهب!!

وعندما سأله أحدهم:

---

(١) ذكر بيرام يوكسل في ذكرياته "كان الأستاذ يطلق على الأخ طاهري موطلو بالأخ الأكبر والرائد لطلاب النور. وحقاً لقد كان يتصف بخصال قلّما تجده في غيره، كان يصوم الشهور الثلاثة المباركة طوال ثلاثين سنة من عمره، ولم ارَ منه أنه صلى الوتر بعد العشاء، وإنما كان يقيم الليل ويتهجد ثم يوتر. لقد كان كنزاً للدعوات لطلاب النور. وكان في طاعة تامة لما يأمره الأستاذ، لذا لم اسمع من الأستاذ أن قال لأحد مثلما قال الأخ طاهري موطلو، إذ قال بحقه: إن الأخ طاهري موطلو ولي من أولياء الله الصالحين، انه لا يعد نفسه انه في الدنيا. انتقل رحمة ربه الكريم سنة ١٩٧٧ عن سبع وسبعين سنة من عمر قضاه بالتقوى.Son Sahitler ج١ ص ٤٣٨

- يا أستاذنا أين سنذهب؟

- إلى أورفا... فتهيأوا !!

وقد اعتقد بعض طلابه أن الأستاذ لا يتكلم وهو في وعيه، إذ ليس من المعقول أن يخرج للسفر وهو في هذه الحالة. هذا فوق أن سيارتهم كانت معطوبة و تحتاج إلى وقت لتصليحها.

عرضوا الأمر على الأستاذ، وهم يأملون أن يغير رأيه في السفر فأجابهم:

- هيئوا سيارة أخرى. ألا نستطيع إعطاء مأتى ليرة؟! إنني مستعد أن أبيع جبتي إذا لزم الأمر.

أمام هذا الإصرار أسرع طلابه إلى استئجار سيارة أخرى، ونزل الأستاذ محمولاً على أيدي طلابه، وانطلقت السيارة متوجهة إلى أورفا وهي تحمل الأستاذ مع ثلاثة من طلابه.

ملاحقة حتى الموت:

وعندما شاهد الشرطي المكلف بمراقبة الأستاذ سفره أسرع بإبلاغ مركز الشرطة بذلك. وقد احتد مسئولو الأمن لذلك، واستقدموا أحد طلابه حيث أمطروه بوابل من الأسئلة:

- لماذا رحل أستاذكم؟ وإلى أين؟ ولماذا لم تحيطونا علماً بذلك؟ أنكر الطالب معرفته باتجاه سفر أستاذه. وقال إنه من الممكن أن يكون قد توجه إلى (اغريدير).

بدأت البرقيات والتلفونات والاتصالات بين مختلف مراكز الأمن في مدن تركيا، وكأن رجلاً خطيراً قد هرب من سجنه وأعطيت أوصاف السيارة ورقمها إلى جميع مراكز الشرطة ونقاط التفتيش.

كان الجو ممطراً وقد عمد طلاب الأستاذ إلى تغطية رقم السيارة بالطين لكي لا تعرف وانطلقت السيارة تنهب الأرض باتجاه أورفا وبعد سفرة طويلة متعبة في جو عاصف وصلوا إلى أورفا في (٢١ مارت) حيث نزلوا في فندق (ابك بالاس) وسرعان ما طوقت الشرطة الفندق ودخل المسؤولون ليبلغوا الأستاذ -وهو طريح الفراش- بأن عليه أن يغادر المدينة فوراً وأن يرجع إلى إسبارطة، فالأوامر صادرة من وزير الداخلية نفسه. ويدور الحوار هكذا:

الشرطي: هناك أمر من وزير الداخلية، يجب أن ترجع إلى إسبارطة.

بديع الزمان: عجيب أمركم.. إنني لم آت إلى هنا لكي أغادرها. إنني قد أموت.. ألا ترون حالي؟ (يلتفت إلى طلابه).. اشرحوا أنتم حالي.

ويساق ثلاثة من طلابه إلى مركز الشرطة ويبدأ الاستجواب معهم:

- لماذا أتيتم؟ من أعطاكم الإذن بذلك؟

- نحن تبع لأستاذنا، ننفذ ما يقوله لنا دون مناقشة.

- قولوا لأستاذكم بأن هناك أوامر مشددة من السلطات العليا، وأن عليكم أن تتركوا (أورفا) حالاً وترجعوا إلى (إسبارطة) وإذا لم تستطيعوا الرجوع بسيارتكم فسنجهزكم بسيارة إسعاف.

- إنه مريض جداً، ولا يستطيع تحمل مشقات سفر يستغرق أربع وعشرين ساعة أخرى.

- يجب أن ترجعوا كما أتيتم، فلدينا أوامر من السيد الوزير، ويجب أن تتركوا (أورفا) حالاً.

- لا نستطيع التدخل في شؤون أستاذنا. فإذا أحببتم اعرضوا الأمر عليه، وإذا أمرنا بالذهاب فسنذهب.

يحتد مدير الأمن:

– ماذا تعنون؟ ألا تستطيعون أن تعرضوا عليه أي أمر كان؟

– نعم. لا نستطيع.

وهنا يصرخ مدير الأمن:

– إذا كنتم مرتبطين أنتم بأستاذكم، فإنني أيضاً مرتبط برؤسائي، وأنا أعطيكم مهلة ساعتين فقط لترك هذه المدينة والرجوع إلى (إسبارطة).

انتشر خبر نيّة السلطة في إخراج الأستاذ بديع الزمان من المدينة بين الأهالي فولّد هيجاناً عاماً بين أفراد الشعب، وتجمع عدة آلاف من الأهالي حول الفندق. وترامى الخبر إلى رئيس شعبة الحزب الديمقراطي في أورفا فأسرع إلى مدير الأمن وخاطبه بحدة:

– إذا أخرجتم الأستاذ بديع الزمان من هنا فستجدوني أمامكم.. لن تستطيعوا أن تلمسوا شعرة منه ولا أن تنقلوه خطوة واحدة.. إنه ضيفنا.

– سيدي؛ إن الأوامر صادرة من فوق.. من الوزارة نفسها لذا يجب أن يرجع حيث أتى.

– كيف يعود! ألا ترون أنه في أشد حالات المرض ولا يستطيع الحراك؟ إنه أتى إلينا ضيفاً ولا داعي هناك لكل هذا التشدد.

وبينما كان هذا الحوار يجري في مديرية الأمن أسرع بعض طلاب النور إلى المستشفى واصطحبوا الطبيب الحكومي إلى الفندق لفحص الأستاذ واستحصال تقرير طبي في عجزه عن السفر.

حضر الطبيب إلى الفندق وأجرى كشفاً طبيّاً على الأستاذ بديع الزمان فوجده في أشد حالات المرض ووجد أن حرارته قد بلغت الأربعين درجة، فكتب تقريراً طبيّاً بذلك موضحاً وجوب استراحته وعدم انتقاله إلى مكان.

ولكن مدير الأمن كان مصراً على موقفه.. يجب أن يترك المدينة، وقرر أن يأتي إلى الفندق ليقابل الأستاذ بنفسه. ويأذن الأستاذ لمدير الأمن بالدخول عليه، حيث يبلغه مدير الأمن بأن الأوامر قطعية وأن عليه أن يترك المدينة راجعاً إلى إسبارطة.

بديع الزمان قائلاً: إنني الآن في الدقائق الأخيرة من عمري لا أستطيع الرجوع، وقد أموت هنا. إن وظيفتك الآن هي تهيئة الماء لغسلي بعد الوفاة.

يخرج مدير الأمن وأفراد الشرطة من الغرفة متأثرين ومنكسين رؤوسهم.

ويقوم الأهالي والجمعيات والتنظيمات المختلفة بإمطار أنقرة بسيل من البرقيات التي تستنكر بشدة هذا الموقف البعيد عن جميع القيم الإنسانية.

ويتقاطر الناس أفواجاً على الفندق، فالكل يريد أن يرى الأستاذ وأن يلقي عليه النظرة الأخيرة، وبالرغم أنه لم يكن يقبل سابقاً مثل هذه الزيارات – لكون صحته لا تساعد على ذلك– فإنه في هذه المرة لم يرد أحداً بل قابل المئات والمئات ودعا لهم واحداً واحداً.

اللحظات الأخيرة:

في المساء ارتفعت درجة حرارته، لم يعد يتكلم بل كانت شفتاه تختلجان بالدعاء.

وفي الساعة الثانية والنصف ليلاً يتحسس أحد طلابه حرارته فيجدها قد انخفضت قليلاً، فيغطيه، ويقوم بإشعال الموقد في الغرفة وهو يحمد الله على تحسن صحة الأستاذ.

ولكن الصباح يقترب ولا يقوم الأستاذ لصلاة الصبح.. يكشف أحدهم عن وجهه فيعرف الحقيقة؛ لقد انتقل أستاذه إلى بارئه.

التقويم في الحائط يشير إلى يوم الأربعاء؛ الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩ (٢٣ مارت ١٩٦٠م).

ينتشر الخبر في الفندق فيصعد مدير الفندق إلى غرفة المرحوم ليلتقى مع مدير الأمن الذي كان في طريقه أيضاً إليها يسأله مدير الأمن:

- ما الخبر؟

مدير الفندق:

- لقد توفى.

- هل توفي حقاً؟

- نعم!

وينتشر الخبر في (أورفا) أول الأمر فتتجمهر الألوف حول الفندق، ثم ينتشر الخبر في المدن التركية الأخرى، ويبدأ سيل من الناس بالوفود إلى المدينة، وعلى أكتاف طلابه ومحبيه وعشرات الآلاف من المشيعين، وبينما المطر الموحل ينزل رذاذاً من السماء يوارى الأستاذ العظيم بالتراب في مقبرة (أولو جامع)[1]

انقلاب عسكري وقضية رفات الأستاذ:

وقع انقلاب عسكري في ٢٧ مايس سنة ١٩٦٠ أطاح بالحزب الديمقراطي وسيق أعضاء الحكومة إلى المحكمة التي أطلق عليها اسم (محكمة الدستور) وانتهت هذه المحكمة بتنفيذ حكم الإعدام برئيس الوزراء (عدنان مندرس) وعلى اثنين من وزرائه وبمدد مختلفة للوزراء وللمسؤولين السابقين في حكومة الحزب الديمقراطي.

---

(١) سيرة ذاتية / ٤٧٦

كما أبدت عداء لجميع التيارات والحركات الإسلامية في تركيا ومنها حركة (طلاب النور).

وكأن حقد أعداء الإسلام وغيظهم على الأستاذ سعيد النورسي لم ينته حتى بعد وفاته فأرادوا الانتقام منه وهو في القبر، فقاموا بعمل لا يقع مثله في التاريخ إلاّ نادراً. قاموا بنقل رفات هذا العالم الجليل إلى جهة غير معلومة. وإليكم التفاصيل:

في يوم ١١ تموز سنة ١٩٦٠ توجه والي مدينة (أورفا) مع القائد العسكري للقطاع الشرقي بطائرة عسكرية إلى مدينة قونيا حيث كان شقيق الأستاذ سعيد النورسي الشيخ (عبد المجيد) حيث استدعي إلى قصر الوالي، وقيل له:

– سنقوم بنقل رفات أخيك الشيخ سعيد النورسي من أورفا. وسيتم هذا النقل على افتراض طلبك أنت، لذا وقّعْ على هذه الورقة.

– ولكني لم أطلب هذا.

– لا داعي للإطالة.. وقّعْ على هذه الورقة.

وهكذا أُجبر المسكين تحت التهديد والوعيد على تنفيذ طلبهم.

ولننقل هنا باختصار مذكرات المرحوم الشيخ (عبد المجيد) في نقل رفات شقيقه.

(في بداية شهر تموز أي بعد مرور خمسة أشهر على وفاة شقيقي جاءني ظُهر أحد الأيام شخص، عرفت فيما بعد أن اسمه (إبراهيم يوكسل) وأنه رئيس شعبة الأمن قائلاً لي بأن الوالي يستدعيني.

فذهبت معه إلى بناية الولاية حيث شاهدت ثلاثة من جنرالات الجيش مع الوالي، كان أحدهم (جمال تورال)، والآخر (رفيق تولكا) خاطبني (جمال تورال) قائلاً: – إن زواراً عديدين من الولايات الشرقية والجنوبية يأتون لزيارة قبر

شقيقكم، وكما تعلمون فإننا نعيش ظروفاً دقيقة، لـذا فإننـا نريـد أن ننقـل رفـات شقيقكم – بمعاونتكم أيضاً– إلى أواسط الأناضول، فنرجو توقيع هذه الورقة).

ومد إليّ بعريضة مكتوبة على لساني. قرأتها ثم قلت:

– ولكني لم أطلب هذا. أرجوكم دعوه يرتاح على الأقل في قبره. فأصـروا عـلى موقفهم، وقالوا بأنه لا مناص من التوقيع.

وبعد التوقيع، توجهنا إلى المطار حيث أقلتنا طائرة عسكرية إلى أورفا.

وهناك توجّهنا إلى بناية عسكرية، عرضوا عليّ الطعام فرفضت إذ كنت مرهقـاً وفي حالة نفسية سيئة. وفي الثالثة ليلاً ذهبنا إلى المقبرة.

كان هناك تابوتان اثنان في صحن الجامع وبعض الجنود. اقتـرب منـي طبيـب عسكري وقال:

– لا تقلق ولا تحزن.سننقل الأستاذ إلى الأناضول.

وعلى إثر كلام الدكتور جاشت نفسي فأجهشـت بالبكـاء. اسـتدعى الـدكتور الجنود قائلاً لهم:

(سننقل الأستاذ من هذا التـابوت إلى التـابوت الثـاني) ولكـن الجنـود كـانوا يترددون ويخافون: (لا نستطيع ذلك سيسخط علينا الله).

فقال لهم الطبيب:

– يا إخواني؛ نحن مأمورون، وليس أمامنا سوى التنفيذ قام الجنود بهدم القبـر وإخراج التابوت منه وفتحوا التابوت. قلت في نفسي:

– لابد أن عظام أخي الحبيب قد أصبحت رماداً، ولكن ما إن لمسـت الكفـن حتى خيل إليّ أنه قد توفي بأمس. كان الكفن سليماً ولكن مصفراً بعض الشيء من جهة الرأس وكانت هناك بقعة واحدة على شكل قطرة ماء.

وعندما كشف الطبيب الكفن عن وجهه، نظرت إليه كان هناك شبه ابتسامة على وجهه.

احتضنا ذلك الأستاذ العظيم المظلوم، ووضعناه في التابوت الآخر الكبير الذي كان الجنود قد جلبوه، وقد ملأنا الفراغ حوله بالأعشاب.

وعندما تم كل شيء ذهبنا إلى المطار. كانت الشوارع خالية من الأهلين ومليئة بالجنود المدججين بالسلاح، حيث أعلن منع التجول في المدينة.

لم تسع الطائرة الأولى التابوت الكبير فجلبوا طائرة ثانية، وضعنا التابوت فيها. وجلست بجانبه.

.... كان الحزن والأسى يملآن قلبي، وكانت عيوني مليئة بالدموع..

وقد اتجهت الطائرة إلى (آفيون) ومنها نقل التابوت بسيارة إسعاف إلى مدينة (إسبارطة) حيث دفن في مكان ما، لا يزال مجهولاً.[1]

(١) سيرة ذاتية / ٤٨٦

الختـــام

هذا هو تاريخ عاش مجاهداً في سبيل الله، وقضى ثمانياً وعشرين عاماً من حياة النفي والسجن والمضايقات التي كانت لا تكاد تنتهي.

ولكنه استطاع وحده -بفضل من الله- أن يهز تركيا من أقصاها إلى أقصاها، وأن يقذف الرعب في قلوب أعداء الإسلام، حتى إن هذا الرعب لم ينته بوفاته، بل بقي يخيفهم وهو في مثواه الأخير!

نقلوا رفاته إلى جهة مجهولة. فهل مسح هذا أو أزال خوفهم ورعبهم؟!

كلا..

فإن الذين تتلمذوا على يديه، وحملوا نبراس الإسلام بأيديهم سيكونون دائماً وأبداً مصدر قلقهم ورعبهم.

وصدق الله العظيم:

﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادله:٢١)

القسم الثاني
دراسة تحليلية موجزة لرسائل النور

ملحوظة:

نود أن نذكر القارئ الكريم أن هذه الدراسة وإن كانت موجزة ومقتضبة، إلاّ أنها تعطيه فكرة عامة واضحة عن بعض جوانب رسائل النور، ذلك ما استطعنا، ونرجو أن نوفق في جعل كل موضوع من موضوعاتها ما يستحق أن يكون مادة دراسة مستفيضة وكاملة إن شاء الله.

الأستاذ قبيل كتابة الرسائل:

يصف الأستاذ سعيد النورسي حالته الروحية أثناء وجوده في إسطنبول قائلاً:

(هوت صفعات عنيفة قبل ثلاثين سنة على رأس (سعيد القديم) الغافل، ففكّر في قضية أن (الموت حق). ووجد نفسه غارقاً في الأوحال.. استنجد، وبحث عن طريق، وتحرى عن منقذ يأخذ بيده.. رأى السبل أمامه مختلفة.. حار في الأمر واخذ كتاب (فتوح الغيب) للشيخ عبدالقادر الكيلاني[1] رضي الله عنه وفتحه متفائلاً، ووجد أمامه العبارة الآتية:

(أنت في دار الحكمة فاطلب طبيباً يداوي قلبك)..يا للعجب!. لقد كنت يومئذ عضواً في (دار الحكمة الإسلامية) وكأنما جئت إليها لأداوي جروح الأمة الإسلامية، والحال أنني كنت أشد مرضاً وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر.. فالأولى للمريض أن يداوي نفسه قبل أن يداوي الآخرين.

نعم، هكذا خاطبني الشيخ: أنت مريض.. ابحث عن طبيب يداويك!..

قلت: كن أنت طبيبي أيها الشيخ!

وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات.. كان شديد اللهجة يحطم غروري، فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي.. فلم أتحمل، ولم أطق على تحمله.. لأني كنت اعتبر كلامه موجهاً إليّ.

نعم، هكذا قرأته إلى ما يقارب نصفه.. لم أستطع إتمامه.. وضعت الكتاب في مكانه، ثم أحسست بعد ذلك بفترة بأن آلام الجراح قد ولّت وخلفت مكانها لذائذ روحية عجيبة.. عدت إليه، وأتممت قراءة كتاب (أستاذي الأول). واستفدت

---

(١) هو مجدد عصره (٤٧٠-٥٦١هـ) ومؤسس الطريقة القادرية استقام على يديه كثير من المسلمين وأسلم كثير من اليهود والنصارى.

منه فوائد جليلة، وأمضيت معه ساعات طويلة أصغي إلى أوراده الطيبة ومناجاته الرقيقة.

ثم وجدت كتاب (مكتوبات) للإمام الفاروقي السرهندي [1]، مجدد الألف الثاني فتفاءلت بالخير تفاؤلاً خالصاً، وفتحته، فوجدت فيه عجباً.. حيث ورد في رسالتين منه لفظة (ميرزا بديع الزمان) فأحسست كأنه يخاطبني باسمي، إذ كان اسم أبى (ميرزا) وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين إلى ميرزا بديع الزمان. فقلت: يا سبحان الله.. إن هذا ليخاطبني أنا بالذات، لأن لقب سعيد القديم كان بديع الزمان، ومع أنني ما كنت أعلم أحداً قد اشتهر بهذا اللقب غير (الهمداني) الذي عاش في القرن الرابع الهجري. فلابد أن يكون هناك أحد غيره قد عاصر الإمام الرباني السرهندي وخوطب بهذا اللقب، ولابد أن حالته شبيهة بحالتي حتى وجدت دوائي بتلك الرسالتين.. والإمام الرباني يوصي مؤكداً في هاتين الرسالتين وفي رسائل أخرى أن:

(وحّد القبلة) أي: اتبع إماماً ومرشداً واحداً ولا تنشغل بغيره!

لم توافق هذه الوصية -آنذاك- استعدادي وأحوالي الروحية.. وأخذت أفكر ملياً: أيهما اتبع!. أأسير وراء هذا، أم أسير وراء ذاك؟ احترت كثيراً وكانت حيرتي شديدة جداً، إذ في كل منهما خواص وجاذبية، لذا لم أستطع أن أكتفي بواحد منهما.

وحينما كنت أتقلب في هذه الحيرة الشديدة..إذا بخاطر رحماني من الله سبحانه وتعالى يخطر على قلبي ويهتف بي:

---

(١) (٩٧١-١٠٣٤هـ) ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. جاهد فتنة الملك (أكبر)، حباه الله بكرامات عظيمة ظاهرة، أدّى مهمة التجديد حق الأداء، يعتبر من أعاظم الطريقة النقشبندية، له مؤلفات كثيرة، منها "مكتوبات" ترجمه الى اللغة العربية محمد مراد في مجلدين وسماه "الدرر المكنونات".

– إن بداية هذه الطرق جميعها.. ومنبع هـذه الجـداول كلهـا.. وشـمس هـذه الكواكب السيارة.. إنما هو (القرآن الكريم) فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكـون إلاّ في القرآن الكريم.. فالقرآن هو أسمى مرشد.. وأقدس أستاذ عـلى الإطـلاق.. ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واسـتمددت منـه.. فاسـتعدادي الناقص قاصر من أن يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقـي الـذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسـه يمكننـا أن نبين ذلك الفيض، وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصـحاب الأحـوال، كـلٌّ حسب درجته. فـ(الكلمات) والأنوار المستقاة مـن القـرآن الكـريم (أي رسـائل النور) إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضـاً مسـائل قلبيـة، وروحيـة، وأحوال إيمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية.[1]

كيف كانت تكتب الرسائل؟

لم يكن هناك أيّ مصدر عند المؤلف سوى القرآن الكريم، فكان يسـتلهم مـن الآية الكريمة معانيها، ويعيش حالات قلبية وروحية خالصـة في أجوائهـا، فـيملي على المختصين بالكتابة من الطلبة –بسرعة فائقة– ما يفتح الله عليه، وما يرد عـلى قلبه من معاني الآية الكريمة، ولم يكن لتلك السـنوحات والفتوحـات القلبيـة مـن وقت معيّن ولا مكان معيّن. لذا فقد أحاط به طلبته ليـل نهـار، ولم يتـرك أيّ فـتح رباني يفتح على قلبه أو أية خاطرة إلاّ ويمليها عليهم فيسجلونها، فضلاً عن أنه قـد كتب بعض رسائله بنفسه ولاسيما في السجون.

ولنستمع إلى أحد طلبته المختصين، وأول كتّاب رسائل النور:–

(كنا نذهب مع الأستاذ إلى أماكن خالية. كان يجلس في مكان وينظـر إلى نقطـة

(١) المكتوبات / ٤٥٧-٤٥٩

معينة، وكان يملي عليّ بسرعة، وكنت أكتب بسرعة أيضاً، فكان يشير إليّ: أن اكتب، ولا يحول نظره من تلك النقطة التي ركز عليها أولاً ثم يقول: قف.. ثم يدعوني إلى الكتابة مرة أخرى، فهناك رسائل كتبناها في ساعة واحدة وبعضها في ساعتين، فأنا أقسم أنني كنت أقضي يوماً أو يومين في استنساخ رسالة قد كتبناها في ساعة أو ساعتين). [1]

ومثل ذلك أنه أملى رسالة الحشر وهو يغدو ويروح ذهاباً وإياباً على ضفاف بحيرة (بارلا) ويردد أربعين مرة:

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٥٠)

وهي رسالة قيمة جداً إذ تثبت الحشر بأدلة فطرية يستسيغها كل إنسان ويقتنع بها.

أما رسالة (المعجزات الأحمدية) فقد أملاها على بعض طلبته خلال ثلاثة أو أربعة أيام وفي شعب الجبال والبساتين وبمعدل ساعتين أو ثلاث ساعات يومياً، فكانت حصيلة ذلك (ثلاثمائة ونيف) من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم مع ذكر ما فيها من نقول وروايات، كل ذلك دونما مراجعة إلى مصدر. [2]

لذا كان الأستاذ يعتبر الرسالة هبة ربانية وإنعاماً إلهياً وإحساناً وفضلاً منه سبحانه ليس إلاّ. إذ لم يكن حظه من التأليف إلاّ الوقوف أمام الآية الكريمة بتوسل وتضرع إلى العلي القدير وطلب المدد منه أن يفتح الله عليه، فما أن ينشرح قلبه لأمر حتى يمليه فوراً وبسرعة يكاد الكتّاب لا يلحقون به. ولهذا أكّد الأستاذ كثيراً بعدم ربط الرسائل بشخصه فيحطون من قيمتها. إذ الإنسان له أخطاء وله عيوب قد سترها الله حيث يقول:

---

(١) ذكريات عن سعيد النورسي/ ترجمة أسيد إحسان قاسم

(٢) المكتوبات/ ١١١.

(ومادام عادة أهل الضلالة والطغيان هي الحط من قيمة المؤلف للتهوين من شأن كتاب لا يفي بغرضهم. فلابد إذن ألاّ ترتبط الرسائل المرتبطة بنجوم سماء القرآن الكريم بسند متهرئ قابل للسقوط مثلي الذي يمكن أن يكون موضع اعتراضات كثيرة، ونقدٍ كثير) .[1]

وما أجمل تشبيه نفسه والرسائل كي يفهم القارئ أن الرسائل اللطيفة هذه ليست ملكه، إذ يقول:

(لا تُبحث ما في عناقيد العنب اللذيذة من خصائص في سيقانها اليابسة، فأنا كتلك الساق اليابسة لتلك الأعناب اللذيذة.. ولو بلغ صوتي إلى أرجاء العالم كافة لكنت أقول بكل ما أوتيت من قوة: إن (الكلمات) جميلة رائعة وإنها حقائق وإنها ليست مني وإنما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم. فلم أجمّل أنا حقائق القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي.

وما مدحت القرآن بكلماتي ولكن مدحت كلماتي بالقرآن)[2]

وفي النص الآتي دليل آخر نضيفه إلى هذا الموضوع:

(في هذا الوقت الذي يبدو في الظاهر انحسار وتقهقر تلك المشارب والمسالك الحقة القوية جداً - والتي ينضوي تحت لوائها الملايين من المؤمنين المستعدين لكل تضحية- أمام الهجوم العنيف لهذه الضلالة. تحملت رسالة النور جميع تلك الهجمات، وحملت على عاتقها الأعباء كافة فشقّت طريقها سابقة الجميع في طريق الإيمان. لذا، لا يمكن أن تُسند هذه الرسائل إلى رجل عاجز نصف أمي قضى حياته بين المنفى والسجن وتحت رقابة سلطات الدولة،

(١) المكتوبات/ ٤٧٦.

(٢) المكتوبات/ ٤٧٧.

وقيامها بتنفير الناس من حوله بالدعايات المغرضة. فمثل هذا الرجل لا يمكن أن يكون مالكاً لها. ولا يمكن أن يفتخر بها أو يدّعيها، فهي ليست نابعة من ذكائه ومهارته، بل هي معجزة من معجزات القرآن الكريم لهذا الزمن وهبتها الرحمة الإلهية، وكل ما في الأمر أن هذا الرجل وآلافاً من أصدقائه قد مدوا أيديهم إلى تلك الهدية الغالية النفيسة، فوقع الخيار عليه في بيانها.

والدليل على أن الرسائل ليست من بنات أفكاره أن هناك من الرسائل ما قد كُتبت في ست ساعات وأخرى في ساعتين، وبعضها في ساعة واحدة وأخرى في عشر دقائق.

فأنا أقسم أنه لو كان لي حدّة ذكاء سعيد القديم وقوة حافظته لما تمكنت أن أكتب في عشر ساعات ما كُتب آنذاك في عشر دقائق ولا يمكنني أن أكتب في يومين ما كتب في ساعة.

فالرسالة التي تبحث في ماهية (أنا) (الذات الإنسانية)، والتي كتبت في ست ساعات لا يمكن أن تكتب لا من قبلي ولا من قبل الفلاسفة والعباقرة الباحثين، في ستة أيام. وهكذا.

فنحن إذن مع أننا مفلسون ليس لنا شيء. إلاّ أننا أصبحنا خداماً ودلالين في معرض أغلى المجوهرات. نسأل المولى الكريم أن يوفقنا وجميع طلاب رسائل النور - بفضله وكرمه- في هذه الخدمة بإخلاص تام. آمين). [1]

ما رسائل النور ؟

أن الذي يراقب سلوك طالب النور عن كثب، ليعجب كل العجب من صلته الوثيقة بـ(رسائل النور) ذلك لأنه لا يكاد يغادرها أو يفارقها مطلقاً آناء الليل وأطراف النهار.

---

(١) الملاحق - قسطموني/ ١٨١.

إلاّ أن هذا العجب يزول حينما يعلم يقيناً، أن: (رسائل النور) ليست رسائل اعتيادية لشرح مفاهيم الإسلام فحسب، وإنما هي (تفسير قيّم للقرآن الكريم) بل هي تفسير يتصف بعدة خصائص معينة ومهمة جداً، قد لا نجدها مجتمعة هكذا في غيرها من التفاسير وبالأخص في عصرنا هذا. فما هذه الخصائص البارزة التي تتصف بها رسائل النور حتى جعلتها بحق تفسيراً للقرآن الكريم، يخص هذا العصر؟

وما تلك الصفات التي تحلّى بها مؤلف هذه الرسائل الأستاذ النورسي (رحمه الله) بحيث أهّلته ليكون مفسراً للقرآن حقاً، وأن يتولى مهمة الريادة والإمامة؟

يجيب عن هذه الأسئلة طالب النور الأمثل (زبير كوندوز آلب) في محاضرته التي ألقاها في جامعة أنقرة سنة ١٩٥٠، نقتبس منها ونفصل بعض فقراتها، وعندها ندرك تماماً سر هذا الالتفاف الشديد حول رسائل النور من قبل (طلبة النور).

من خصائص رسائل النور [1]

أولاً: أستاذية القرآن الكريم:

أن القرآن الكريم كان هو وحده الأستاذ والمرشد للمؤلف دائماً، فلم يغادره إلى أي كتاب آخر، ولم يتخذ غيره مصدراً، ولم يسترشد دونه مرشداً. وهذا ما شوهد منه طوال حياته في التأليف؛ حيث لم تكن لديه ثمة مكتبة، ولا حتى أي مصدر يعتمد عليه أو يرجع إليه.

ثانياً: إبراز القرآن بصفائه الكامل:

آ) أن القرآن الكريم هو كتاب الله الأقدس، وهو يضم بين دفتيه حقائق جميع

(١) من المحاضرة التي ألقيت في جامعة أنقرة سنة ١٩٥٠.

العلوم، لذا فإن المفسر يجب أن يكون علاّمة حقاً ومتخصصاً في كل علم من العلوم، سواء اللغوية أو الشرعية أو العلوم الكونية، وله فكر واسع، واطلاع شامل، ونظر ثاقب، وإخلاص تام، ودهاء سام، واجتهاد عميق نافذ، وله من القوة القدسية والعناية الربانية نصيب وافر. كل ذلك حتى يتمكن من أن يوضح تلك الحقائق على نصاعتها، ويكشف عن تلك المعاني الواسعة العميقة على حقيقتها؛ وإلاّ فسيبقى بعض الحقائق مستورة وغير واضحة.

ب) لا ينبغي أن يبقى المفسر تحت تأثير أذواقه الشخصية، ولا يخلط نهجه واجتهاداته الشخصية بتفسيره، وذلك لكي تبقى الحقيقة صافية نقية لا شائبة فيها، ومصونة من أهواء المؤلف.

فهذه الخصيصة أي (إبراز حقائق القرآن بصفائها الكامل) هي ما نراها في الرسائل وفي حياة الأستاذ – رحمه الله– فلقد أخذ عن جدارة فائقة بناصية العلوم كافة في زمانه حتى لقّب بـ(بديع الزمان)، إذ وهب ذكاءاً خارقاً، وعقلاً نيراً وعناية ربانية واضحة في حياته، فضلاً عن أنه حرص في الرسائل على إبراز صفاء الحقائق القرآنية، فلم تختلط فيها الأهواء والرغبات لما رزقه الله من الإخلاص التام والمراقبة الشديدة لمداخل النفس، لذا لا ترى الرسائل ذات صبغة معينة، وإنما صبغتها القرآن والقرآن وحده.

ثالثاً: تجرد المفسر:

أي أنه لا يبتغي من وراء عمله سوى رضاء الله سبحانه من دون أن يتحول نظره إلى أي غرض كان من الأغراض الدنيوية سواءً المادية أو المعنوية، لئلا يخالف الآية الكريمة: ﴿ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾. فكل ثمن دون مرضاة الله قليل. فهذه الحالة من الإخلاص التام الأتم لابد أن تكون ظاهرة واضحة في واقع حياة المفسر نفسه؛ ولاشك أن سيرة حياة الأستاذ نفسها، نموذج رائع لهذا الإخلاص.

رابعاً: جدة القرآن ومخاطبته الطبقات كافة:

أ) إن احتفاظ القرآن الكريم بجدته وطراوته ونضارته وفتوته هو إحدى معجزاته الكبرى، إذ إن للقرآن الحكيم (وجهاً) لكل عصر يتوجه إليه لسدّ حاجات ذلك العصر، حتى لكأنه قد أُنزل لذلك العصر بالذات وهو كذلك. لذا فإن التفسير الأمثل لهذا العصر هو الذي يكشف ذلك الوجه المتوجه المطل على عصرنا هذا للقرآن الكريم والذي يسوق البراهين المثبتة لسدّ حاجات العصر.

ب) ولابد - كذلك- أن يخاطب الطبقات البشرية كافة ابتداءاً من العوام وانتهاءاً بالخواص بأسلوب سهل وشائق. إذ القرآن الكريم لم ينزل لطبقة دون أخرى، ولا لمدارك أناس دون آخرين، فلابد أن يتصف تفسيره كذلك بهذه الصفة بحيث يمكن أن يستفيد منه الإنسان أياً كان مستواه، وأن يسدّ حاجة أهم مشكلات عصره وإلاّ يبقى التفسير مقصوراً على فئة معينة ويحرم منه الآخرون.

فلعل اتصاف رسائل النور بهذه الخصيصة هو من أوضح صفاتها بحيث نرى أنها تخاطب المستويات كافة والمتحلقة حولها، فكل الناس - دون استثناء- يغترفون من منهلها القرآني العذب، وكل الناس يجدون فيها حاجتهم وبغيتهم - بلا صعوبة- سواءً في ذلك الصغير والكبير والأمي والعالم والرجل والمرأة.. الخ

خامساً: الإيجابية في الإثبات:

إن الدلائل والبراهين التي يسوقها المفسر ويفهّمها ويدرّسها في إثبات حقائق الإيمان والقرآن؛ لابد أن تكون دلائل قوية، وبراهين دامغة بحيث لا يمكن أن تُجرح أو تفنّد أبداً. لذا فلا حاجة للركون إلى النظريات أو الآراء العلمية التي تتبدل بتبدل الأزمان أو يفهمها قوم دون قوم؛ بل لا يترك موضوعاً دون أدلة ثبوتية راسخة. فالمفسر إذن يتخذ لنفسه قاعدة (الإثبات) فتلك هي المحاكم التي

زادت على (الألف) – ورسائل النور مظان الهجوم الهادف من قبل الأعداء كلهم– لم تتمكن ولو مرة واحدة، من أن تجد ثغرة أو ثلمة –صغيرة أو كبيرة– في تلك الدلائل القوية الباهرة أبداً.

سادساً: مخاطبة جميع لطائف الإنسان:

كما أن القرآن يخاطب (العقل والروح والوجدان والنفس) معاً بحيث يُطَمئن كلاً منها ويغذيها ويعطيها نصيبها الوافر منه بسهولة بالغة. كذلك ينبغي أن يكون تفسيره أيضاً بليغاً جداً ونافذاً في الأعماق؛ بحيث ينير العقل والقلب والروح والوجدان والنفس وغيرها، ويسكب الطمأنينة في كل منها ويكون قوياً ومؤثراً إلى درجة بحيث يمسك بزمام النفس الأمارة بالسوء ويسخرها، لا.. بل يُلزم الشيطان إلزاماً. وهذا هو ما يجده بالضبط قارئ الرسائل من إشباع وارتواء لجميع أقطار النفس والروح والعقل والفطرة والوجدان وغيرها من اللطائف الربانية في الإنسان، مع إلزام صارم للشيطان وطردٍ لهمزاته وحفظ للنفس من وساوسه.

سابعاً: تقويم السلوك:

إن القرآن الكريم قد حوّل –كما نعلم– مجتمعاً كاملاً إلى مجتمع جديد، وأنقذ كل إنسان من الأنانية والعجب وغيرهما من الصفات التي تحول دون إدراك الحقائق، ورسّخ بدلاً منها خصالاً سامية حميدة كالتواضع والتضحية وغيرهما.

لذا لابد أن يكون تفسيره – وكذلك المفسر نفسه– مغيراً لسلوك الفرد ومقوماً بل منقذاً له من تلك الصفات الهابطة. هذا وما واقع طالب النور– الذي يعيش في ذلك المجتمع– وقد تطهر من لوثات الضلالة والنفاق لشدة ارتباطه اليومي بالرسائل إلاّ دليل عملي على تأثير الرسائل في تقويم السلوك.

ثامناً: اتباع السنة النبوية الشريفة:

أن اتباع السنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً، هو الطريق الأقوم للوصول إلى روح المعاني السامية للقرآن الكريم وبغيرها لا يمكن الوصول إليها بصواب وسلامة. لذلك فإن اتباع السنة الشريفة - ضمن مذهب أهل السنة والجماعة- لهو الأساس للمفسر الذي يقوم بالتفسير. فلا بد أن يكون إذن؛ عاملاً بعلمه، وعظيم التقوى، وعظيم الزهد، وعظيم الإخلاص، وعظيم الثبات في خدمة الدين، وعظيم الصدق، وعظيم الوفاء والتضحية، مع اقتصاد وقناعة عظيمين.

وخلاصة القول:

أن يكون المفسر - برسائله القرآنية- أهلاً لنفحات العبودية الخالصة، والتقوى العظيمة، والقوة القدسية الربانية لأنوار الرسالة النبوية؛ حتى يصبح أهلاً بحق لأن يطلق عليه صفة (خادم القرآن).

وظاهر أن جميع طلاب النور وجميع الذين شاهدوا الأستاذ وعاشروه يشهدون باتصافه بتلك الصفات النبيلة، بل حتى الأعداء الألدّاء لم يتمكن أحد منهم أن ينال من خصاله الحميدة شيئاً. فهو لذلك قد حاز حقاً على شرف لقب (خادم القرآن) باستحقاق وامتياز.

تاسعاً: الاستعلاء على الضغوط والصعاب:

إن على المفسر الذي يوضح المسائل القرآنية أو الشرعية ألاّ يبقى تحت أيّ نوع من أنواع الضغط أو التأثير من أي جهة كانت، فليس له - مثلاً- أن يفتي تحت تأثير تلك الضغوط بفتوى. وإنما عليه أن يستهين بالموت، وأن يمتلك قوة وصلابة إيمانية وشجاعة إسلامية بحيث يتمكن وحده أن يتحدى العالم بأسره دون تردد أو إحجام.

نعم، إن الذي ينشر رسائله القرآنية في فترة عصيبة جداً، وأحكام الإعدام تنفذ بالجملة، بل ترمي إلى إزالة القرآن الكريم وإطفاء نوره وتحظر حتى نشر أية رسالة كانت حول الدين وقضاياه.. نعم، إن الذي ينشر رسائله في مثل هذه الظروف وفي هذه الفترة بالذات لهو حقاً: مرشد فذّ.. ومفسر عظيم مرموق.. ورائد مقدام كامل للإسلام، وهكذا كان واقع أستاذنا سعيد النورسي رحمه الله.

لقد وصف الأستاذ الرسائل بقوله:

(إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيّم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة ،وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته).[1]

وإذا قيل: كيف تعدّ رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم مع أنها لا تشبه التفاسير المتداولة ؟ فالجواب:

(التفسير نوعان: الأول: التفاسير المعروفة التي تبين وتوضح وتثبت معاني عبارات القرآن الكريم وجمله وكلماته.

القسم الثاني من التفسير: هو إيضاح وبيان وإثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم، إثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة. ولهذا القسم أهمية كبيرة جداً.

أما التفاسير المعروفة والمتداولة فإنها تتناول هذا النوع الأخير من التفسير تناولا مجملاً أحياناً. إلاّ أن رسائل النور اتخذت هذا القسم أساساً لها مباشرة. فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم بحيث تُلزم أعتى الفلاسفة وتسكتهم.)[2]

---

(١) الملاحق – قسطموني/ ٢٢٠.

(٢) الشعاعات/ ٥٦٢.

ويعيد المؤلف هذا المعنى دائماً إلى الأذهان من أن رسائل النور تفسير للمعاني المعجزة التي أتى بها القرآن الحكيم:

(إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقة، وهي نور مفاض من الآيات القرآنية ولم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان) [1]

فهي تفسير يختلف تماماً عن التفاسير الأخرى، إذ إن لكل تفسير عصره، فلا شك أن تفسيراً أُلّف في عصر سابق وفي مجتمع إسلامي، لا يشبه تفسيراً يصدُّ تيار الضلالة المهاجمة في هذا العصر، فتلك التفاسير كانت تخاطب المؤمنين فحسب.

أما رسائل النور، فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان و تحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة. حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء) [2]

ولعل الوصف الآتي يكون جامعاً لجواب ذلك السؤال الذي قد يرد إلى بعض الأذهان: ما طابع رسائل النور ؟ والذي سبق أن سألنا عنه في البداية:-

(لما كانت الألوان السبعة لشمس القرآن الكريم تتجلى بوضوح في منشور حقائق رسائل النور، فهي إذن: كتاب شريعة وعقائد، وكتاب دعاء وحكمة وكتاب عبودية ودعوة وكتاب ذكر وفكر وكتاب حقيقة وتصوف وكتاب منطق وعلم كلام، وكتاب حث على العمل وإلجام للمعارضين وإسكات لهم) [3]

---

(١) الملاحق – قسطموني/ ٢٠٢

(٢) الملاحق – قسطموني/ ١٠٥

(٣) ملحق اميرداغ ١/ ٩٧ "بالتركية".

هذا عدا رسالة واحدة وهي (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) التي ألفها في أثناء الحرب العالمية الأولى، وفي ساحة الجهاد ضد الروس وباللغة العربية، فهي تشبه التفاسير المتداولة.

نخلص من هذا كله إلى أن رسائل النور تفسير لمعاني القرآن الحكيم وهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد، إذ تنشئ عنده تصورات إيمانية جديدة وتهدم التصورات الفاسدة والسلوك الضعيف. فإنها تدور حول معاني (التوحيد) بدلائل متنوعة و(حقيقة الآخرة) و(صدق النبوة) و(عدالة الشريعة) إلى آخره من الأمور التي ركّز عليها القرآن الكريم.

علاوة على ما تبحثه من أمور الدعوة إلى الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، والشوق إلى الآخرة وأمور اجتماعية وسياسية مختلفة. لذا قال الأستاذ بحقها:

(إن رسائل النور قد حلّت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم، ووضحتها وكشفتها وألجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم، وأثبتت كالشمس ما كان يظن بعيداً عن العقل كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني للمعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان، فرسائل هذا شأنها لابد أن العالم - وما حوله- بأجمعه سيكون ذا علاقة بها، ولابد أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامه، وأنها سيف ماسيّ بتار في قبضة أهل الإيمان) .[1]

(١) الملاحق - اميرداغ/ ٢٤٨

طريقة عرض الموضوع:

يستلهم موضوع كل رسالة من آية أو عدة آيات تتصدر الرسالة، ثم يستهل بمقدمة مركزة تلخص الموضوع، ثم تتدرج في الموضوع توضيحاً وتبسيطاً مع ضرب للأمثال لعرض الفكرة وتجليتها. أي أن طريقتها في عرض الموضوع تختلف عن الطرق المعتادة لعرض الموضوع والتي تتدرج من البسيط إلى المعقد.

تبدأ الرسائل بما يصعب فهمه ويستغلق على القارئ أمره فتثير عنده الانتباه، وتشركه في فهم جوانب الموضوع وحل مغاليقه، لذا لا يظل القارئ في موقف المتفرج والمشاهد؛ وإنما ترغمه الرسالة على التتبع الجدي، والدراسة البطيئة المتقنة، كي يصل إلى الفهم المطلوب، أي أن الرسائل تجعل من القارئ دارساً لها ولا تجعله ناظراً فيها نظرة العجلان.

فالموضوع يتدرج بالوضوح رويداً رويداً فلا يشعر القارئ إلاّ وقد توصل إلى تذوق لذة تلك الآيات التي تصدرت الرسالة دون أن يجد في نفسه حائلاً بينها وبينه ودون أن يشعر بملل وضجر، وكأن الموضوع يأخذه في نزهة بين بساتين الإيمان ورياضه لاستنشاق نسائمه، فيشعر بالمعاني الدقيقة في القرآن الكريم، ويعيش في أجوائه المباركة، فضلاً عن أن كل رسالة من الرسائل تقيم عند القارئ أيضاً بصورة متدرجة بناء تصورياً جديداً نابعاً من القرآن الكريم، بعد أن تهدم كثيراً مما بنته جاهلية الفلسفات أو الخرافات أو الأفكار والتصورات الخاطئة والتافهة في المجتمع، ووسيلتها في ذلك هي إقامة الحجج الفطرية والبراهين الدامغة بحيث يسلم بها الإنسان حتى لو كان من أعتى المعاندين. كل هذا مع إشباع للروح وشفافية في اختيار الكلمات والعبارات، وإطلاق للخيال في مجالاته وإشراق لروح الأمل وإثارة لكوامن التأمل والتفكير.

هذا وقد يعرض الموضوع بكامله أحياناً بشكل سؤال وجواب أو يرد السؤال والجواب أثناء سرد الموضوع أو في ثناياه وذلك لإثارة الانتباه وتحفيز التفكير عند القارئ، وقد يكون بعض الأسئلة حقيقية، أي وجهت إلى الأستاذ من قبل بعض تلاميذه أو هي أسئلة وشبهات ووساوس تلقيها شياطين الجن والإنس في قلب المؤمن أو هي كائنة من النوعين ورسالة (حكمة الاستعاذة) خير مثال لهذا النوع من عرض المادة.

الأسلوب:

رغم أن الرسائل تبحث موضوعاً أساساً واحداً وهو (الإيمان) فإنها لا تبحث هذه المسألة العظيمة العميقة بأسلوب تقليدي على وتيرة واحدة، بل إن الأسلوب يتغير حسب المواقف والموضوعات. فترى الأسلوب اللين الرقيق جداً، حتى تكاد تشعر أنه همسات قلب أو أنفاس رقيقة حية، وترى الأسلوب العلمي الدقيق والعبارات المنطقية الفطرية، مما يدعو إلى إعمال الفكر والعقل. وترى في الدفاع -خاصة- الأسلوب القوي الهادر كالأمواج وكأنه نذير جيش.

وليست هذه الأساليب والأجواء مفصولاً بعضها عن بعض، وإنما قد تجدها وتتجول فيها في الرسالة الواحدة فتستنشق نسائم الربيع الإيماني مع إثارة كوامن التفكير وتحفيز قدرة التأمل وإقامة موازين علمية دقيقة وسياحات روحانية سامقة.

ولكن الأسلوب نفسه يتغير من موضوع إلى آخر أيضاً حسب (المخاطب). فترى رسالة النوافذ مثلاً تخاطب الملحدين والمؤمن عندها في مقام الاستماع، بينما رسالة المعراج تخاطب المؤمنين الذين التبس عليهم الأمر فاستبعدوا المعراج، والجاحد عندها في مقام الاستماع. فأسلوب الخطاب في كل منهما ظاهر الاختلاف.

جاء في مقدمة رسالة المعراج تعليل لهذا النمط من الأسلوب:

(إن مسألة المعراج نتيجة تترتب على أصول الإيمان وأركانه، فهي نورٌ يستمد ضوءه من أنوار الأركان الإيمانية. فلا تُقام الحجج لإثبات المعراج بالذات للملحدين المنكرين لأركان الإيمان، بل لا يُذكَر أصلاً لمن لا يؤمن بالله جلّ وعلا ولا يصدِّق بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أو ينكر الملائكة والسموات، إلاّ بعد إثبات تلك الأركان لهم مقدماً؛ لذا سنجعل المؤمن الذي ساوَرَتْه الشكوك والأوهام فاستبعد المعراجَ، موضعَ خطابنا، فنبين له ما يفيده ويشفيه بإذن الله. ولكن نلحظ بين آونة وأخرى ذلك الملحد الذي يترقب في موضع الاستماع ونسرد له من الكلام أيضاً ما يفيده.

ولقد ذُكِرَت لمعاتٌ من حقيقة المعراج في رسائل أخرى، فاستمددنا العناية من الله سبحانه وتعالى - مع إصرار إخوتي الأحبة- على جمع تلك اللمعات المتفرقة وربطها مع أصل الحقيقة نفسها لجعل مرآةٍ تعكس دفعةً واحدة كمالات جمال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.) [1]

ومن أعجب ما في أسلوب رسائل النور، أنه رغم الترابط الوثيق بين فقرات البحث في كل الرسائل؛ فإن كل فقرة منها تعطيك معنى كاملاً بحيث تستطيع أن تفهمها وحدها، وتستفيد منها دون الرجوع إلى أصل الموضوع، فرغم أن جميع الموضوعات منسوجة نسجاً بديعاً بل مسبوكة سبكاً محكماً؛ فإن قراءة أية رسالة أو أية فقرة كانت من الرسالة تلبى حاجة في نفس القارئ وإن لم يبذل جهداً، أو يصرف وقتاً طويلاً في إتمام جميع ما في الرسالة أو مجموعة الرسائل، ورغم ما يشعر به القارئ من سلاسة الأسلوب وعمق المعاني وسعة الخيال إلاّ أنه غالباً ما يتوقف على جملة لا يغادرها إلاّ بعد إعادتها بل حتى على كلمة. والسر في ذلك

(١) الكلمات/ ٦٦٦

نسمعه من المؤلف نفسه حيث يصف حالة جهاده مع النفس في مقدمة المثنوي العربي النوري:

"لا تظنن أني باختياري أشكلتُ عليك عبارة هذه الرسالة؛ إذ هذه الرسالة مكالمات فجائية مع نفسي في وقتٍ مدهش. والكلمات إنما تولدتْ في أثناء مجادلة هائلة كإعصار يتصارع فيها الأنوار مع النيران، يتدحرج رأسي في آن واحد من الأوج إلى الحضيض، ومن الحضيض إلى الأوج، من الثرى إلى الثريا؛ إذ سلكتُ طريقاً غير مسلوك، في برزخ بين العقل والقلب، ودار عقلي من دهشة السقوط والصعود. فكلما صادفتُ نوراً نصبتُ عليه علامة لأتذكّره بها. وكثيراً ما أضع كلمةً على مالا يمكن لي التعبير عنه، للإخطار والتذكير، لا للدلالة.. فكثيراً ما نصبتُ كلمة واحدة على نور عظيم." [1]

أسلوب مخاطبة المعارضين:

لرسائل النور أسلوبها الخاص مع المعارضين حيث إن المعارضين عندها قسمان:

قسم هم أهل الضلالة، وهم الذين يعارضون الحقائق الإيمانية ويرفضونها، بل يصدونها ويحاربونها بشتى الوسائل والسبل، سواءً بالقوة أو بإثارة التهم أو ببث الأفكار المناوئة والدعايات المضللة، وقسم آخر هم مسلمون إلاّ أنهم يعترضون على بعض فقرات جاءت فيها أو طريقتها في العمل لخدمة الإسلام.

أ) مع أهل الضلالة:

يتصف أسلوب الرسائل مع هؤلاء بالهجوم العنيف وذلك بدحض أباطيلهم بإيراد الأدلة القوية الكافية، وتفنيد اتهاماتهم الظالمة مع التذكير المستمر بأن هناك عذاباً ينتظرهم في الدنيا، كما أن هناك عذاباً أليماً في الآخرة.

---

(١) المثنوي العربي النوري/ ٣٥

فنرى أن هذا الهجوم لا يفتر أبداً ولا يلين ويتصف بصفة مهمة وهي عدم تحديد الأسماء والأشخاص على الأغلب، فالرسالة تعبر عن هؤلاء على الإطلاق دون التقييد. فمثلاً تقول أهل الضلالة، أهل السفاهة، المنافقون، أهل الكفر والزندقة، وهكذا..

والقارئ اللبيب يفهم من سياق الموضوع ومن خلال مفردات الصفات المذكورة والأعمال والتصرفات التي قاموا بها من هم هؤلاء الضالون والمنافقون في كل عصر وفي كل مصر.

والرسالة لا تكتفي بالهجوم و الكشف عن السيئات الظاهرة لأهل الضلالة فحسب، وإنما تغزو أفكارهم وحججهم الواهية ونقاط استنادهم الفكري، فتغزوها في جحورها، وتشن هجوماً شديداً عليها حتى آخر معقل من معاقل الضلالة والأفكار المناوئة للإسلام محطمة جميع الأسس المتهرئة التي يقوم عليها بناء تصورهم الفكري وأباطيلهم لتشويه حقائق الإسلام وجماله المقدس كاشفة عن دسائسهم في التفريق بين المسلمين، وصدهم عن التلذذ بنعمة الإيمان. والذي يلفت النظر هو: أن الرسائل مع بيانها بياناً كافياً لجميع حقائق الإيمان دون كتمان أي جزء منها ومع تفنيدها لجميع أباطيل الخصوم وإحصائها لصفات أهل النفاق ومع تشخيصها الأعداء وكشفها عن هوياتهم.. مع كل هذا لم يتمكن العدو المتسلط أن يجد ثغرة في الرسائل ليدخل منها باسم القانون، وبالأخص في مثل تلك الظروف الحرجة. حيث إن القانون ينص على العلمانية والأعداء - الداخليين والخارجيين- قد انقضّوا على تركيا وتكالبوا عليها. فرغم تلك المحاكمات التي زادت على (الألف) لم تتمكن أية هيئة من تمييز أو جزاء أو أية هيئة تحقيقية من أن تجد مستمسكاً غير قانوني في رسائل النور مع ما لديهم من لجان تدقيق وخبراء علماء متحققين ينكبون على دراسة الرسائل أشهراً بل أعواماً.

فمثلاً لقد اتهم الأستاذ ومعه تلاميذه حين نشر (الشعاع الخامس) الذي يبحث عن (الدجال) بأنه يقصد به (مصطفى كمال وأعوانه) إلاّ أن الخبراء قرروا في جميع تلك المحاكمات أن: الشعاع الخامس ليس فيه ذكر مصطفى كمال وإنما هو شرح لبعض الأحاديث الشريفة الواردة حول الدجال وفتنة آخر الزمان.

لذا غدت خاصة من خصائص رسائل النور .. أنها - مع توضيحها لمفاهيم الإيمان والإسلام - لا يمكن أن تصارع، وذلك لأنها لا تثير حفيظة المخالفين لها، ولا تأخذ قارئيها بالعزة بالإثم، لأنها تذكر تلك المفاهيم دون أن تتقيد بزمان أو مكان معين، وما هذا إلاّ توفيق رباني قد وهب الله سبحانه هذا الرجل الفقيه الحكيم بمحض فضله ونعمته.

ب) أما أسلوبها مع الذين اعترضوا عليها من علماء الدين وشيوخ المتصوفة، فهو أسلوب الدفاع وحده دون الهجوم ودون التهوين من شخصياتهم ورؤسائهم ولا من آرائهم، مع بيان صواب وجهة نظر رسائل النور، لذا لا ترى في جميع الرسائل جرحاً لهيئة أو جماعة مطلقاً – لا من قريب ولا من بعيد- وقد وضع الأستاذ رحمه الله أسساً للتعامل مع هؤلاء يسير وفقها طلاب النور وأرسلها من منفاه في قسطموني بعد أن أثار بعضهم - في تلك الفترة- غبار الشبه حول الرسائل. فكتب يقول:

(لما كان أولياء الله الصالحون لا يمكنهم أن يعرفوا الغيب - إن لم يلهمهم الله سبحانه تعالى- حيث لا يعلم الغيب إلاّ الله؛ لذا فإن أعظم ولي صالح لا يستطيع أن يطلع على حقيقة وواقع الحال عند ولي آخر، بل ربما يعاديه لعدم علمه بحقيقته، وما حدث فيما بين بعض العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، خير دليل على هذا. وهو يعني أن وليين اثنين إذا ما أنكر أحدهما على الآخر، فإن ذلك لا يسقطهما من مقام الولاية ومنزلتها إلاّ إذا كان هناك أمر يخالف مخالفة كلية لظاهر الشريعة. لذا:

اتباعاً لدستور الآية الكريمة ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وحفاظاً على إيمان المؤمنين من التصدع، وذلك بالمحافظة على حسن الظن القائم بينهم وبين شيوخهم أو رؤسائهم.

وبناء على ما يلزم من إنقاذ الأركان من طلاب النور المخلصين من سَورة الغضب المضرة – مع كونها محقة– على اعتراضات باطلة.

واجتناباً لما يستفيد منه أهل الإلحاد من هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق بجرح الطائفة الأولى بسلاح الأخرى واعتراضاتها، وتهوين شأن الثانية بدلائل الأولى ثم دحرهما معاً.

على طلبة النور حسب الأسس المذكورة:

إلاّ يواجهوا المعارضين بالحدة والتهور، ولا يقابلوهم بالمثل. بل عليهم أن يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم فحسب، مع إظهار روح المصالحة، والإجابة بوضوح عن نقاط الاعتراض، حيث إن الأنانية في عصرنا هذا قد تطاولت واشرأبت بعنقها حتى أصبح كل شخص لا يريد أن يذيب أنانيته – التي هي كقطعة ثلج بطول قامته– ولا يرغب في تغييرها بل يسوّغ لنفسه ويراها معذورة دائماً. وها هنا ينشأ النزاع والخصومة ويكون موضع استفادة أهل الباطل والضلال على حساب أصحاب الحق وأهله.).[1]

أسلوب الاستثناء:

إن تدهور الأخلاق الفظيع في الغرب وكثرة المظالم التي عانتها – وتعانيها–

(١) الملاحق – قسطموني/ ١٩٩

البشرية بأيدي الغربيين مع أسباب كثيرة أخرى أعطت المسوغ الكافي كي يكون هدفاً لهجوم لا هوادة فيه لكثير من الكتّاب والمفكرين.

فهل في الرسائل هجوم كهذا على الغرب ومفكريه ؟

نعم، ولا في الوقت نفسه. إذ إن الرسائل تهاجم الغرب ولكنه ليس كل الغرب، وإنما تستثنى منه الطيب النافع، ثم تشدد الهجوم على القسم الفاسد.

ننقل للقارئ الكريم فقرة من المحاورة التي يجريها الأستاذ مع الغرب، وهي محاورة لطيفة عميقة جداً، نجد في مستهلها هذا الاستثناء بوضوح ونرى أن هذا الأسلوب لا يسرى على الغرب وحده، وإنما هو قاعدة التخاطب مع جميع المعارضين. فالرسائل تستل الطيبين من مجموع الخبثاء، وتستنقذ الفكر الجيد من بين الجماعات والهيئات التي أثير حولها غبار الشبهات، وهكذا نرى عملية التحليل والفرز والاستثناء هي في مقدمة أي كلام حول موضوعات يختلط فيها النافع بالضار، والطيب بالخبيث، مما يجعل القارئ يشعر في هذا الأسلوب، التجرد الكامل والموضوعية الحقة، والأخذ بالحيطة والحذر، والاحتراز من توريط مَنْ هم خارج صفوف المعارضين. فلا يلتبس إذن أمر الطيب النافع من الخبيث المضر، ولا يؤخذ البريء بجريرة المتهم أو المجرم. فالهجوم إذن لا ينصب إلاّ على الخبثاء من الغربيين دون الطيبين منهم. ويبدأ غزو حصون الفلسفات المضللة المادية بعد ما تفصل من ركامها الفلسفة النافعة المؤدية إلى التقدم العلمي والصناعي ويستثني ذوي الدين من جماعة (الاتحاد والترقي) - مثلاً- من بين الذين يحملون الأفكار المعادية للإسلام، وهكذا..

والخلاصة أن أسلوب الاستثناء هذا خاصة من خصائص رسائل النور مع جميع مَن له علاقة معها سواءً الأشخاص الرسميين أو العلماء أو الطوائف أو الأحزاب أو الأفكار أو الفئات..

تبدأ المحاورة بوصف للحالة النفسية عند سعيد القديم وسعيد الجديد..

(حينما سار (سعيد الجديد) في طريق التأمل والتفكر، انقلبت تلك العلوم الأوروبية الفلسفية وفنونها التي كانت مستقرة – إلى حدّ ما– في أفكار (سعيد القديم) إلى أمراض قلبية، نشأت منها مصاعب ومعضلات كثيرة في تلك السياحة القلبية. فما كان من (سعيد الجديد) إلاّ القيام بتمخيض فكره والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفيهة. فرأى نفسه مضطراً لكبح جماح ما في روحه من أحاسيس نفسانية منحازة لصالح أوروبا إلى إجراء المحاورة الآتية مع الشخصية المعنوية لأوروبا، فهي محاورة مقتضبة من ناحية ومُسهبةٌ من ناحية أخرى.

ولئلا يُساء الفهم لابد أن ننبه: أن أوروبا اثنتان.

إحداها: هي أوربا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة وأدّت خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تستند على العدل والإنصاف، فلا أخاطب – في هذه المحاورة – هذا القسم من أوربا. وإنما أخاطب أوربا الثانية (الوجه الآخر منها) تلك التي تعفّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحَسِبتْ سيئات الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوءها فضائل. فساقت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة.

ولقد خاطبت في تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الأوروبية بعد أن استثنيت محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة، فوجهت خطابي إلى تلك الشخصية التي أخذت بيدها الفلسفة المضرة التافهة والحضارة الفاسدة السفيهة. وخاطبتها قائلاً:

يا أوروبا الثانية: اعلمي جيداً أنك قد أخذت بيمينك الفلسفة المضلّة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرّة السفيهة، ومن ثم تدّعين:

(أن سعادة الإنسان بهما) ألا شُلّت يداكِ وبئست الهدية هديتك ولتكن وبالاً عليكِ، وستكون.

أيتها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود، ترى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة، وترفّله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله بمصائب هائلة ؟ وهل يمكن أن نطلق عليه أنه سعيد؟! ألا ترين أنّ مَن يئس من أمر جزئي، وانقطع رجاؤه من أملٍ وهمي، وخابَ ظنّه من عمل تافه، كيف يتحول خيالهُ العذب مراً علقماً. وكيف يتعذب مما حوله من أوضاع لطيفة، فتضيق عليه الدنيا – كالسجن– بما رحُبت !. فكيف بمن أُصيب –بشؤمك– بضربات الضلالة في أعمق أعماق قلبه. وفي أغوار روحه، حتى انقطعت – بتلك الضلالة– جميع آماله، فانشقت عنها جميع آلامه، فأيّ سعادة يمكنك أن تضمني لمثل هذا المسكين الشقي ؟ وهل يمكن أن يطلق لمن روحه وقلبه يعذبان في جهنم. وجسمه فقط في جنة كاذبة زائلة.. إنه سعيد ؟

لقد أفسدت – أيتها الروح الخبيثة – البشرية حتى طاشت بتعاليمك، فتقاسي منك العذاب المرير، بإذاقتك إياها عذاب الجحيم في نعيم جنة كاذبة.. الخ) [1]

تلك المحاورة اللطيفة الدقيقة التي تبين فيها كيف ضللت الحضارة الغربية الفاسدة، البشرية وأوردتها المهالك.

أما بالنسبة إلى عمليات الاستلال والاستثناء في الفلسفة، فسنذكرها في موضعها.

---

(١) اللمعات/ ١٧٦

أسلوب ردّ الشبهات:

أما فيما يخص الشبهات الواردة على الإسلام أو على الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة سواءً من جهلة المسلمين أو من شياطين المستشرقين، فإن الرسائل تردها جميعاً دون الذكر الصريح للشبهة إلاّ فيما ندر، والرد يكون رداً مقنعاً بحيث لا يترك زاوية من الزوايا الخفية في الشبهة إلاّ ويقتحمها، فمن كانت لديه تلك الشبهة فقد شفي قلبه منها، ومن لم تكن لديه شبهة، فلم يتكدر صفو قلبه وفكره؟

جاء ذلك في مقدمة رسالة المعجزات القرآنية :

(إن كل آية من أكثر الآيات الواردة في هذه الرسالة (المعجزات القرآنية) إما أنها أصبحت موضع انتقاد الملحدين، أو أصابها اعتراض أهل العلوم الحديثة، أَو مسَّتها شبهات شياطين الجن والأنس وأوهامهم.

ولقد تناولت هذه (الكلمة الخامسة والعشرون) تلك الآيات وبيَّنت حقائقها ونكاتها الدقيقة على أفضل وجه، بحيث إن ما ظنه أهل الإلحاد والعلوم من نقاط ضعف ومدار نقص، أثبتته الرسالة بقواعدها العلمية أنه لمعات إعجاز ومنابع كمال بلاغة القرآن.

أما الشبهات فقد أُجيبت عنها أجوبة قاطعة من دون ذكر الشبهة نفسها وذلك لئلا تتكدر الأذهان. كما في الآية الكريمة ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ..﴾ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾. إلاّ ما ذكرناه من شبهاتهم في المقام الأول من الكلمة العشرين حول عدد من الآيات.)[1]

فهذا الأسلوب في الرد على الشبهات والشكوك هو خلاف ما دأب عليه المتكلمون السابقون حيث الرسائل تبين الحقيقة وحدها بياناً مقنعاً واضحاً إلى

(١) الكلمات/ ٤٢٠

حد أنها ترغم المخالف على التسليم والقبول من غير أن تتعرض لشكوكه ولا إلى بسط دلائله ولا إلى ما تردى فيه من أودية الضلالة، وذلك كي لا تتأثر أفكار المؤمنين، ولا تتلوث وتتلون بلونها. وبهذا الأسلوب سدت الرسائل سبل انتشار الشبهات والأوهام الفاسدة بين الناس.

وقد وضح بيان الطلبة الجامعيين من طلاب رسائل النور الذي أصدروه فيما بعد سنة ١٩٥٠ هذا الأسلوب على ضوء قاعدة لطيفة وضعها الأستاذ أوضح بيان:

(نعم، لو كانت لنا مئات الأيادي وملايين الملايين من الدنانير لحصرنا جميعها وصرفناها في خدمة الإيمان والقرآن، فلا نرى ثمة مجالاً للاهتمام بالتيارات الباطلة، فالعمر قصير والوقت ضيق، ولقد قال الأستاذ: (أن الاشتغال بالفناء فناء، وبالفساد فساد) لذا فإن إيضاح المسائل الباطلة والاهتمام بحسن تصويرها من الأسباب المؤدية إلى تضليل الأذهان الصافية وتلويثها. وكثيراً ما يدرس المرءُ الأمور الباطلة قاصداً إثبات بطلانها، وجعل ذلك الإثبات وسيلة لإظهار الحق، إلاّ أنه أثناء ذلك تتلون صحيفة فكره وتنصبغ شيئاً فشيئاً من غير أن يشعر، فيتناقص وفاؤه وتجرده وإخلاصه السابق تدريجاً وتتضاءل صلابته الدينية، وعندها لا يمكنه أن يميز الصواب من الخطأ. فيلتبس عليه الأمر والعياذ بالله...

أما رسائل النور فإنها تزيل الظلمة عن القلب نهائياً وتنوره بنور الإيمان الذي لا يزال يريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، فلا يلتبس عليه الأمر..)

أسلوب بديع لدراسة التاريخ وتفسيره:

لاشك أن الأسلوب الغالب على كتب السيرة والتاريخ هو التقيد بالتسلسل

الزمني، حيث تذكر الحوادث المهمة وفق التواريخ، ولكن قد يأخذ البعض منها بالعبر والفوائد الفقهية، بينما يدعها آخرون دون استنباط شيء.

إلاّ أننا إذا دققنا النظر في القرآن الكريم نرى أن له أسلوباً خاصاً في سرد الحوادث، إذ قد يسلط الأضواء على حوادث دقيقة جداً لا يمكن أن يذكرها التاريخ مطلقاً، ذلك لاستخلاص العبر العظيمة التي يكتنفها، ولبيان قدرة الله سبحانه، واطلاعه وعلمه بالأمور ما ظهر منها وما خفي، ولتوضيح سنته في الكون وكثير غيرها.

وكذلك لا يتقيد بالتسلسل الزمني، وإنما يذكر جزءاً من الحادثة أو القصة في سورة والجزء الآخر في سورة أخرى مثلاً، حسب سياق السورة وموضوعاتها.

فقارئ الرسائل أيضاً يشعر ضمنا أنه يقرأ السيرة والتاريخ الإسلامي وفق المنهج القرآني، وليس وفق مناهج كتب السير والحوادث. حيث لا توجد رسالة خاصة في السيرة النبوية ماعدا المعجزات الأحمدية، وبعبارة أخرى تأخذ من السيرة حوادث خاصة وحوادث مهمة في عصر الراشدين ونتفاً من العهد الأموي والعباسي والسلاطين الأوائل من العهد العثماني. كل ذلك تراه مبثوثاً في أرجاء الرسائل، ويأتي حسب المقام والموضوع المناسب، أما العهد الأخير للعثمانيين ففي الرسائل تفاصيل ذلك العهد مع موازينه الاجتماعية والسياسية.

لذا فالقارئ يجد نفسه أنه لا يقرأ السيرة فحسب، بل يعيش التاريخ عيش مشاركة تماماً.

وكذلك تسلط الرسائل الأضواء على حوادث الخلافات والفتن التي تدور حولها المناقشات فتحللها تحليلاً دقيقاً:

١- من وجهة النظر الدنيوية والأخذ بالأسباب الظاهرة.

٢- من وجهة القدر الإلهي والرحمة الربانية.

ثم تستخلص الحكمة الإلهية في المسألة، بحيث لا تدع في أي جزء كان من زوايا النفس الإنسانية تساؤلاً عن الموضوع، مع تأكيدها عدم الخوض في مثل هذه المسائل النابعة عن اجتهادات الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. حيث أفضوا إلى ما قدموا وفقاً لنهج أهل السنة والجماعة.

والخلاصة: فإن قارئ رسائل النور يكون قد أحاط بأهم الحوادث التاريخية مع استنباطاتها وفقهها وعبرها، وقد تذوّقها تذوقاً قلبياً وفهمها وأدرك مراميها عقلاً، وقبل كل ذلك عرف شيئاً من الحكمة الإلهية وراء الأحداث، ولاشك أن هذا هو المطلوب من دراسة التاريخ.

نكتفي هنا بمثال واحد - حرصاً على الاختصار- فهناك أمثلة مماثلة كثيرة جداً حول هذا الموضوع (استخلاص الحكمة الإلهية وراء الأحداث).

جاء في رسالة المعجزات الأحمدية في الإشارة الخامسة من المكتوب التاسع عشر من كتاب المكتوبات ما يأتي:

(فإن قيل: ما حكمة تلك الفتنة الدموية الرهيبة التي أصابت الأمة الإسلامية في عصر الراشدين وخير القرون، حيث لا يليق بأولئك الأبرار القهر ونزول المصائب وأين يكمن وجه الرحمة الإلهية فيها؟

الجواب: كما أن الأمطار الغزيرة المصحوبة بالعواصف في الربيع تثير كوامن قابليات كل طائفة من طوائف النباتات وتكشفها فتنثر البذور وتطلق النوى، فتتفتح أزهارها الخاصة بها، ويتسلم كلٌّ منها مهمته الفطرية، كذلك الفتنة التي ابتلي بها الصحابةُ الكرام والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين، أثارت بذور مواهبهم المختلفة، وحفّزت نوى قابلياتهم المتنوعة، فأنذَرتْ كلَّ طائفةٍ منهم وأخافتهم من أن الخطر مُحدقٌ بالإسلام، وأن النار ستنشب في صفوف

المسلمين؛ مما جعل كلَّ طائفة تهرع إلى حفظ الدين والذود عن حياض الإيمان، فأخذ كلٌ منهم على عهدته مهمةً من مهمات حفظ الإيمان وشمل الإسلام، كلٌ حسب قابليته، فانطلق بكل جدٍ وإخلاص في هذا السبيل. فمنهم من قام بحفظ الحديث النبوي الشريف، ومنهم من قام بحفظ فقه الشريعة الغراء، ومنهم من قام بحفظ العقائد والحقائق الإيمانية، ومنهم من قام بحفظ القرآن الكريم.. وهكذا انضوت كلُّ طائفة تحت مهمةٍ وواجب من الواجبات التي يفرضها حفظ الإيمان وصيانة الإسلام، وسَعَتْ في سبيل أداء مهمتها سعياً حثيثاً، فتفتحت من البذور التي نشرتها تلك الأعاصير الهوجاء العنيفة في الأرجاء، زهورٌ بهيجة بألوان زاهية شتى في عالم الإسلام، حتى غدا العالم الإسلامي رياضاً يانعة بالورود والرياحين. إلاّ أنه – للأسف – ظهرت بين تلك الرياض البديعة أشواكُ أهل البدع أيضاً. وكأن يد القدرة الإلهية قد خضَّتْ ذلك العصر بجلال وهيبة، وأدارته بشدة وعنف، فأثارت الهمم وألهَبت المشاعر لدى أهل الهمة والغيرة، فبعثت تلك الحركة المنطلقة عن المركز؛ كثيراً من أئمة المجتهدين والمحدّثين والحفاظ والأصفياء والأقطاب الأولياء إلى أنحاء العالم الإسلامي وألجأتهم إلى الهجرة. وهيّجت المسلمين شرقاً وغرباً وفتحت بصيرتهم ليغنموا من كنوز القرآن وخزائنه.)[1]

أما تاريخ الحركة الإسلامية في تركيا وبالأخص (حركة النور) فهي الأخرى مبثوثة بين ثنايا الرسائل، وبالأسلوب السابق نفسه، فقد يعرض بعض حوادثها للعبرة أو للحث على العمل أو بيان ثمرة الإخلاص لله، بحيث مَن يقتطفها من الرسائل يمكنه أن يحصل على سير الدعوة منذ بدايتها.

---

(١) المكتوبات/ ١٢٩

نظرة تحليلية إلى الخلافات الفكرية:

تدعو رسائل النور إلى نصب ميزان العدالة الإلهية الذي يزن به الله سبحانه أعمال المكلفين يوم الحشر وإلى إقامته في الدنيا كذلك عند ذكر الأشخاص أو الجماعات.

لذا ترى أنها عندما تضع موازين وقياسات بين المختلفين في أمر ما، لا تنحاز إلى جهة دون أخرى ولا تغمط حق أحدهما دون الآخر. فتذكر الحسنات والسيئات وتذكر الأسباب الداعية إلى الأخطاء، بدراسة العوامل المؤثرة مع عوامل المحيط.. وغيرها من الأمور.

هذا دأب الرسائل في الخلافات التاريخية سواء بين مفكري الإسلام أو بين الجماعات أو أي شكل من أشكال تلك الخلافات، وبدراسة النص الآتي يتمكن القارئ أن يلمّ ببعض الجوانب التحليلية الدقيقة والموضوعية الخالصة لنظرة رسائل النور إلى أي خلاف كان من الخلافات الفكرية في التاريخ:

(إن أهل الحق والاستقامة الذين يطلق عليهم (أهل السنة والجماعة) وهم يمثلون الغالبية العظمى في العالم الإسلامي، قد قاموا بحفظ حقائق القرآن والإيمان كما هي على محجتها البيضاء الناصعة، وذلك باتباعهم السنة الشريفة بحذافيرها كما هي، دون نقص أو زيادة، فنشأت الأكثرية المطلقة من الأولياء الصالحين من هذه الجماعة. ولكن شوهد أولياء آخرون في طريق تخالف أصول أهل السنة والجماعة، وخارجة عن قسم من دساتيرهم، فانقسم الناظرون في شأن هؤلاء الأولياء إلى قسمين:

الأول: هم الذين أنكروا ولايتهم وصلاحهم، وذلك لمخالفتهم أصول أهل السنة والجماعة بل قد ذهبوا إلى أبعد من الإنكار، حيث كفّروا عدداً منهم.

أما الآخر: فهم الذين اتبعوهم وأقروا ولايتهم، ورضوا عنهم، لذا قالوا:إن الحق ليس محصوراً في سبيل أهل السنة والجماعة. فشكلوا بهذا القول فرقة مبتدعة وانساقوا إلى الضلال. ناسين أن المهتدي لنفسه ليس من الضروري أن يكون هادياً لغيره، ولئن كان شيوخهم يُعذرون على ما ارتكبوا من أخطاء لأنهم مجذوبون، إلا أنهم لا يُعذرون في اتباعهم لهم.

وهناك قسم ثالث: سلكوا طريقاً وسطاً، حيث لم ينكروا ولاية أولئك الأولياء وصلاحهم، إلا أنهم لم يرضوا بطريقتهم ومنهجهم، وقالوا: إن ما تفوهوا به من الأقوال المخالفة للأصول الشرعية، إما أنها ناشئة عن غلبة الأحوال عليهم مما جعلهم يخطئون، أو أنها شطحات شبيهة بالمتشابهات التي لا تعرف معانيها ولا تفهم مراميها.

فالقسم الأول ولاسيما علماء أهل الظاهر قد أنكروا ولاية كثير من أولياء عظام – مع الأسف– وذلك بنية الحفاظ على طريق أهل السنة، بل ذهبوا مضطرين إلى الحكم بضلالهم تحدوهم تلك النية.

أما الآخرون المؤيدون لهم، فقد تركوا طريق الحق وأداروا ظهورهم لها، لما يحملون من حسن الظن المفرط بشيوخهم، بل حصل انجراف قسم منهم إلى الضلال فعلاً.)[1]

هذا وقد يتبادر إلى ذهن القارئ ما رأي رسائل النور في كل من شيخ الإسلام (ابن تيميه) وتلميذه المخلص (ابن قيم الجوزية) وهل لهما ذكر في الرسائل، ثم ما رأي الرسائل كذلك في الشيخ محي الدين بن عربي وطريقته ؟

ونحن – حرصاً على الاختصار– نقتطف هذه الفقرة التي يذكر فيها الأستاذ

(١) المكتوبات/ ٤٤٠

النورسي الشيخ ابن تيمية وابن قيّم الجوزية في رسالة أرسلها إلى أحد تلاميذه وهو في (اميرداغ) فيصفهما بـ(الجهبذين الداهيين) و(المثيرين للإعجاب) و(المشهورين) ويصف كتبهما كذلك بأنها من المؤلفات ذات الجاذبية القوية جداً والعجيبة جداً (... تتداول منذ أمد بعيد في إسطنبول كتب ملفتة للأنظار وجذابة لابن تيمية وهو من العباقرة المشهورين وتلميذه ابن قيم الجوزية) [1]

أما بالنسبة إلى الشيخ محي الدين بن عربي، فسنقتطف فقرتين من رسالتين مختلفين: أحدهما تُحلّل شخصيته والأخرى طريقته:

(لا يسعني الوقت الكافي لوضع ميزان بين الإفراط والتفريط بحق هذا الشخص فأكتفي بما يأتي:

(إن محي الدين بن عربي مهتد ومقبول ولكنه ليس بمرشد ولا هاد وقدوة في جميع كتاباته، إذ يمضي غالباً دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله – ظاهراً– الضلالة غير أنه بريء من الضلالة، إذ الكلام قد يبدو كفراً بظاهره، إلاّ أن قائله لا يكون كافراً.)[2]

ويحدد رأيه في كتبه في ختام الرسالة نفسها قائلاً:

(ولقد قال محي الدين: (تحُرم مطالعة كتبنا على من ليس منا) أي على من لا يعرف مقامنا. نعم أن قراءة كتب محي الدين ولاسيما مسائله التي تبحث في وحدة الوجود مضرة في هذا الزمان.)[3]

أما رأي رسائل النور حول طريقة (محي الدين) وغيره، فقد فصلت فيها كثيراً وحللتها من جميع جوانبها وبخاصة في المكتوب التاسع والعشرين وبينت

---

(١) الملاحق – قسطموني/ ٢٩٧

(٢) اللمعات/ ٤٤٥

(٣) اللمعات/ ٤٤٥

أخطاءها بالتفصيل في اللمعة التاسعة. إلاّ أن الفقرة التالية تلقى ضوءاً واضحاً على أسلوب الرسائل في وزن مثل هذه الأفكار حسب المنهج القرآني، وأن جميع الطرق والمناهج غير النابعة من القرآن لا توصل الإنسان إلى الحقيقة ولا الاطمئنان القلبي:

(إن ابن عربي يقول (لا موجود إلاّ هو) لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم، أمام الله سبحانه وتعالى، حتى وصل به الأمر إلى إنكار وجود الكائنات.

أما الآخرون فلأجل الحصول على الحضور القلبي أيضاً قالوا: (لا مشهود إلاّ هو) وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات واتخذوا طوراً عجيباً.

بينما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلاً عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية) [1]

ضرب الأمثال

لا يخفى ما لضرب الأمثال من أهمية في تقريب المفاهيم وتبسيطها وغرسها في الذاكرة بحيث إن الموضوع يمكن تذكّره بمجرد ذكر المثال، وكذا صلاحيته للتفاهم مع مختلف المستويات العقلية والعلمية.

فالقرآن الكريم - وكذلك الحديث الشريف- قد ضربا أمثالاً كثيرة لتقريب الحقائق العظيمة لأفهام الإنسان وتعميقها.

وحيث إن رسائل النور تفسير للقران الكريم، فإنها كذلك قد أوردت كثيراً من الأمثال حتى يمكن أن يعدّ ضرب الأمثال طابعها المميز.

---

(١) المكتوبات/ ٤٢٤

ومن هنا كان كل هذا الإقبال من العالم والجاهل والشاب والشيخ والرجل والمرأة على قراءتها، وكل هذا الاغتراف من منهلها العذب الصافي.

وهكذا فسر الأستاذ النورسي سر القوة في الرسائل عندما وجه إليه السؤال الآتي:

(لماذا نجد تأثيراً غير اعتيادي فيما كتبته في (الكلمات) المستقاة من فيض القرآن الكريم، قلّما نجده في كتابات العارفين والمفسرين. فما يفعله سطرٌ واحد منها من التأثير يعادل تأثير صحيفة كاملة من غيرها، وما تحمله صحيفة واحدة من قوة التأثير يعادل تأثير كتاب كامل آخر؟

فالجواب: وهو جواب لطيف جميل، إذ لما كان الفضل في هذا التأثير يعود إلى إعجاز القرآن الكريم وليس إلى شخصي أنا، فسأقول الجواب بلا حرج:

نعم! هو كذلك على الأغلب؛ لأن الكلمات:

تصديق وليست تصوراً. وإيمانٌ وليست تسليماً. وتحقيق وليست تقليداً. وشهادة وشهود وليست معرفة. وإذعان وليست التزاماً. وحقيقة وليست تصوفاً. وبرهان ضمن الدعوى وليست ادعاءاً.

وحكمة هذا السر هي: أن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل.

أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانه، فوهب لي الحكيم الرحيم – الذي يهب لكل صاحب داء دواءه المناسب– وأنعم عليّ سبحانه شعلةً من (ضرب الأمثال) التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمةً منه جل وعلا لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، لأُنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم. فله الحمد والمنة:

فبمنظار (ضرب الأمثال) قد أُظهِرَتْ الحقائق البعيدة جداً أنها قريبة جداً.

وبوحدة الموضوع في (ضرب الأمثال) قد جُمِّعَتْ أكثر المسائل تشتتاً وتفرقاً.

وبسلّم (ضرب الأمثال) قد تُوصِّل إلى أسمى الحقائق وأعلاها بسهولة ويُسر.

ومن نافذة (ضرب الأمثال) قد حُصّل اليقين الإيماني بحقائق الغيب وأسس الإسلام مما يقرب من الشهود.

فاضطر الخيال إلى الاستسلام وأُرغم الوهم والعقل إلى الرضوخ، بل النفس والهوى. كما اضطر الشيطان إلى إلقاء السلاح.

حاصل الكلام: إنه مهما يظهر من قوة التأثير، وبهاء الجمال في أسلوب كتاباتي، فإنها ليست مني، ولا مما مضغه فكري، بل هي من لمعات (ضرب الأمثال) التي تتلألأ في سماء القرآن العظيم، وليس حظي فيه إلاّ الطلب والسؤال منه تعالى، مع شدة الحاجة والفاقة، وليس لي إلاّ التضرع والتوسل إليه سبحانه مع منتهى العجز والضعف.

فالداء مني والدواء من القرآن الكريم).[1]

مفعول الرسائل

إن الذي يستمر في قراءة الرسائل لا يجد في نفسه نشوة روحية وشفافية فحسب. وإنما يكتسب غذاء روحياً وعقلياً لذيذاً وسعة في الأفق وخصوبة في الخيال، حيث إنها تُشبع جميع اللطائف المندرجة في الإنسان، فيأخذ كل حقه وذلك:

(أن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب

(١) المكتوبات/ ٤٨٦

وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر الفلسفة المهاجمة فضلاً عن أقدامها وخطواتها، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة) [1]

والسر في هذا التأثير العميق لجميع الجوارح، ومن ثم إشباعها، هو في القوة الفائقة التي في معانيها ومراميها إذ إنها تحاول أولاً إقناع المؤلف نفسه ثم تخاطب الآخرين. أي أن المؤلف لا يكتب شيئاً إلا وهو مقتنع به تمام الاقتناع، بل قد شهده شهود قلب، وعانى منه معاناة حقيقية عميقة، فهي ليست نقولاً من مصادر، ولا هي تصور فكري فحسب.

(إن رسائل النور تحاول أولاً إقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين؛ لذا فالدرس الذي اقنع نفس المؤلف الأمارة بالسوء إقناعاً كافياً و تمكّن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة لهو درس قوي بلا شك، وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده من أن يصد تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة -بتشكيلاتها الجماعية المنظمة- بل أن يجابهها ويتغلب عليها.) [2]

فهذه الرسائل إذن تخاطب النفس البشرية مهما كانت طاغية وقاسية حتى ترغمها على الإنصات... جاء ذلك في مقدمة المثنوي العربي النوري:

(إن هذه الرسالة نوع تفسير شهودي لبعض الآيات القرآنية، وما فيها من المسائل أزاهير اقتطفت من جنات الفرقان الحكيم، فلا يوحشنك ما في عبارتها من الإشكال والإجمال والإيجاز. فكرر مطالعتها حتى ينفتح لك سر تكرار القرآن أمثال:﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، ولا تخف من تمرد النفس، لأن نفسي

(١) الملاحق – قسطموني/ ١٠٥

(٢) الملاحق – قسطموني/ ١٠٥

الأمارة المتمردة المتجبرة انقادت وذللت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق، بل إن شيطاني الرجيم أفحم وانخنس.. كن من شئت.. فلا نفسُك أطغى ولا أعصى من نفسي ولا شيطانُك أغوى ولا أشقى من شيطاني).[1]

وعندما سئل الأستاذ رحمه الله، لماذا يجد القارئ إيماناً وإذعاناً في قلبه ويشعر بشوق دائم ولذة جديدة عند قراءة الرسالة اكثر بكثير مما يجده في كتب أخرى ؟ أجاب:

(إن قسمًا من مصنفات العلماء السابقين وأغلب الكتب القديمة للأولياء الصالحين تبحث في ثمار الإيمان ونتائجه و فيوضات معرفة الله سبحانه، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحدّ واضح ولا هجوم سافر يقتلع جذور الإيمان وأسسه، إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة.

أما الآن فإن هناك هجوماً عنيفاً جماعياً منظماً على أركان الإيمان وأسسه، لا تستطيع اغلب تلك الكتب والرسائل التي كانت تخاطب الأفراد وخواص المؤمنين فقط أن تصد التيار الرهيب القوي لهذا الزمان، ولا أن تقاومه.

أما رسائل النور، فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة. حتى حكم كل من ينعم النظر فيها: بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء.)[2]

نعم، إن الذي يقرأ رسالة من رسائل النور يظل في نشوة روحية وشدّ روحي معها حتى لكأن الرسالة قد كتبت له بالذات، لذا فهو يطالعها باستمرار ويشعر حاجة دائمة إليها، ويحس شوقاً هائلاً نحوها.

---

(١) المثنوي العربي النوري/ ٣٤

(٢) الملاحق – قسطموني/ ١٠٤

ولعل هذا هو السر في أن طالب النور لا يجد في نفسه ميلاً لدراسة كتب أخرى متفرقة لما يجده في نفسه من ذوق وإشباع لروحه وعقله وقلبه في الرسائل، إلا مَن أراد التخصص في موضوع معين. ذلك أن ما تفتحه رسائل النور من آفاق علمية وروحية وقلبية في زمن يسير جداً قد لا تعلّمه مجلدات من الكتب الأخرى، حيث إن القارئ لا يجد حدثاً أو مشكلة أمامه إلاّ والرسالة قد بحثتها أو حلتها، سواء منها النفسية أو العائلية أو الاجتماعية أو السياسية.

ومجمل القول أن رسائل النور:

(تنور هذا العصر والذي يليه، وتخاطب الإنسانية قاطبة بحقائق القرآن الكريم، فتستجيب لحاجات الإيمان والإسلام والفكر والروح والقلب والعقل كافة، بما يكفي كلاً منها).[1]

ومن أجل هذا فطالب النور لا يصرف وقته سدى، ولو كان جزءاً يسيراً جداً وإنما يحييه بدراسة الرسائل والوصول إلى تذوق المعرفة الإيمانية للآيات والأحاديث، فينور عقله وقلبه وروحه معاً، ويرى في نفسه شوقاً دائماً إلى العمل، وتطبيق ما أمرت به الشريعة، إذ لا يرى في الرسائل وصايا وتعليمات وواجبات تسرد له سرداً، أو تذكر كنقاط، وإنما ترشده - مثلاً- إلى أهمية السنة النبوية ومكانتها، فتأخذ بيده بحنان ولطف وتوصله بالأدلة العقلية والفطرية والسياحة الروحية إلى حضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فتغسل أدران الروح وتزيل شوائب العقل وتفتح عين القلب إلى أمور تعذرت عليه رؤيتها، فلا يرى في نفسه إلاّ انه يصبح ويمسي مع الرسول الحبيب (صلوات الله عليه وسلامه) وصحبه الكرام رضوان الله عليهم، فلا يرى في نفسه تكاسلاً في تطبيق السنن والأدعية، ولا تقاعسا عن دعوة الناس بعد أن امتلأ قلبه بنور المحبة.

---

(١) نفسه/ ١٤٣

مصنفات رسائل النور:

إن عدد أجزاء (رسائل النور) يتجاوز (١٣٠) رسالة باللغة التركية، ضمت في مجلدات من الحجم المتوسط وهي:

١- سوزلر (الكلمات) وتضم ٣٣ رسالة (كلمة) في ٦٥٠ صفحة.

٢- مكتوبات (المكتوبات) وتضم ٣٣ رسالة (مكتوب) في ٥٤٠ صفحة.

٣- لمعلر (اللمعات) وتضم ٣٣ رسالة (لمعة) في ٤٣٠ صفحة.

٤- شعاعلر (الشعاعات) وتضم ١٥ رسالة (شعاع) في ٦٤٠ صفحة.

وهيكل هذه الرسائل جميعها هو البحوث الإيمانية. والمسائل التي تمس أركان الإيمان وخصائصه ووسائله، فيما عدا الأخيرة قضايا دفاع الأستاذ رحمه الله وبعض تلاميذه إليه أمام المحاكم المختلفة فضلاً عن المواضيع الدقيقة التي تمس التوحيد والآخرة وسائر أركان الإيمان.

وهناك (ملاحق) ألحقت - بعدئذ- بالرسائل وهي:

١- ملحق بارلا ٢١٠ صفحة

٢- ملحق قسطموني ٢٤٠ صفحة.

٣- ملحق أميرداغ في جزئين ٢٨٤ صفحة و٢٢٠ صفحة.

وهذه الملاحق هي مجموعة رسائل توجيهية في أساليب الخدمة للقرآن الكريم في ظروفها المختلفة ومراحلها. وفي أمور متفرقة من المسائل التي تواجه الفرد المسلم في دعوته كان الأستاذ يوجهها إلى تلاميذه خفية من السجون.

هذا وإن هناك بعض الرسائل في مسائل إسلامية دقيقة أو لتثبيت الجماعة المؤمنة، كان رحمة الله لا يرغب في أن تنشر في أوساط ليست مؤهلة لقراءتها إلاّ أن كثرة المراقبة والتفتيش والمحاكم أخرجت هذه الرسائل وكشفتها، لذا ضمت

بعضها مع الملاحق وطبعت بشكل مستقل في مجلّد واحد مثل (ختم التصديق الغيبي) في ٢٢٠ صفحة، وهو عبارة عن موضوعات ورسائل لتثبيت أهل الإيمان أمام تحديات الكفر والضلالة، مستخرجة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال الأئمة والأولياء والصالحين.

وهناك رسائل أخرى مستقلة في كتب صغيرة منها (المدخل إلى النور) و(مفتاح لعالم النور) وهي آخر رسالة كتبها الأستاذ و(محاكمات) و(سنوحات) و(مناظرات). ومما يلفت النظر أن هناك رسائل ليست إلاّ بضع صفحات بينما هناك كتاب كامل يعتبر رسالة واحدة، والملاحق (التي هي أربعة مجلدات) تعتبر رسالة واحدة، وهي المكتوب السابع والعشرون، علما أن هذه جميعها لم تؤلف في فترات منتظمة، وإنما استغرق تأليفها من سنة ١٩٢٧م إلى سنة ١٩٥٠م، وكان الأستاذ رحمه الله يشير إلى تلاميذه بوضع هذه الرسالة في اللمعات مثلاً، ووضع الأخرى في الشعاعات، وهكذا.. وكان يأخذ بمشورة طلابه المخلصين فمثلاً إن أول رسالة كتبت هي (رسالة الحشر) بينما هي (الكلمة العاشرة).

أما الرسائل باللغة العربية، فقد سبقت الرسائل المذكورة باللغة التركية، إذ انقطع التأليف باللغة العربية بانتهاء الدولة العثمانية، إلاّ أن الأستاذ ضم مؤلفات (سعيد القديم) إلى رسائل النور أيضاً، واعتبرها نوى وشتلات لرسائل النور ف- (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) التي ألفت أثناء الحرب العالمية الأولى اعتبرت (المكتوب الثلاثون) من الرسائل. (والمثنوي العربي النوري) الذي يضم اثنتي عشرة رسالة باللغة العربية، عدّه الأستاذ (اللمعة الثالثة والثلاثون). واللمعة التاسعة والعشرون جميعها باللغة العربية وكذلك (الحزب الأكبر النورى).

ومن المعلوم أن جميع هذه الرسائل (باللغتين التركية والعربية) كانت بالحروف العربية حتى ١٩٥٥، حيث أذن الأستاذ بنشر التركية منها بالحروف اللاتينية، كي لا يحرم طلاب المدارس الحديثة من رسائل النور.

وقد تخصصت الآن دور نشر عديدة فضلاً عن (دار سوزلر للنشر) في إسطنبول بمهمة طبع أجزاء رسائل النور ونشرها، سواءً في مجلدات كالكلمات والمكتوبات واللمعات والشعاعات أو بشكل مستلات كان الأستاذ قد أشار إليها مثل: رسالة الطبيعة، ورسالة الحشر، ورسالة الآية الكبرى، ورسالة النوافذ..الخ

أدب الرسائل:

إنه أدب رفيع جداً، ويكفي أن يصف سيد شعراء الترك (محمد عاكف) أدب الأستاذ رحمه الله بقوله:

(إن شكسبير وهيجو وأضرابهما لا يبلغان إلاّ مرتبة تلميذ بديع الزمان في الأدب والفلسفة).

وحسبنا هذا لكي نصف أدبه بأنه أدب رفيع جداً.

وحيث إن البلاغة هي الكلام بمقتضى الحال، أي ليس فيه إطناب ممل ولا إيجاز مخل، فلا شك أن قارئ الرسائل يصل إلى هذه النتيجة بمجرد قراءته لها، فيشعر أنه يقرأ أبلغ ما كتب باللغة التركية، حيث لا استطرادات كثيرة، ولا حشو في الكلام مطلقاً، مما جعل الأستاذ (محمد حرب عبد الحميد) يعدّ الأستاذ سعيد النورسي أحد الثلاثة الذين وجّهوا وحوّلوا تيار الأدب التركي، في مقالة له في مجلة البلاغ الكويتية.

فليس في أدب رسالة النور تقعر كما في أدب أواخر الدولة العثمانية، ولا تمشدق بالألفاظ الإفرنجية التي نراها في الأدب التركي الحديث. وإنما جمع روعة الأداء واختيار الكلمات وعمق المعاني وشفافية الروح.[1]

ويكفي القارئ الكريم أن يقرأ الرسالة ويتذوقها، فلا يحس بنفسه إلاّ وكأنه يقرأ شعراً رقيقاً؛ لما فيها من الخيال الخصب والوصف البديع ومخاطبة الوجدان، ويرى نفسه كذلك أمام حجج وبراهين منطقية تقوّم فكره وعقله. لذا فلا ينتهي من رسالة إلاّ والعقل قد أخذ حظه الكامل والروح قد ارتوت والقلب والخيال كل قد أخذ نصيبه، بحيث يمكنك أن تطلق على كل رسالة أنها علمية وروحية وقلبية، فهي ليست لواحدة منها فحسب، وإنما مندمجة وممتزجة مزجاً بديعاً متقناً في أسلوب أدبي رفيع.

وهذا هو سر رسائل النور يتذوقها كل من يتعامل معها بقلب سليم ويكمن هذا السر في أن الرسالة لا تخاطب فئة دون أخرى ولا شخصاً دون آخر، وإنما تخاطب الفطرة الإنسانية وكينونتها. فالعالِم المتخصص، والأديب المتمرس يجد حاجته فيها والشاب المتعلم يجد بغيته فيها، وكما أنها تناجي وتناغي الطفل كذلك تخاطب المرأة برقة واضحة، وتشفي غليل الرجل كذلك، فالكل يجد فيها نصيبه وحقه بل الكل يرتوي منها.

أما الشعر في الرسائل، فهناك أبيات من الشعر العربي تساق للاستشهاد، وهناك رد قوي على التشاؤم المفرط لأبي العلاء المعرّي وتفنيد للبيت الآتي:

ألا ليت الشبابَ يعود يوماً فاخبرَه بما فعل المشيب

(١) وقد حصل الأستاذ سمير رجب محمد درجة الدكتوراه سنة ١٩٨٤ في بحث قدمه الى جامعة عين شمس حول الفكر الأدبي والديني عند سعيد النورسي.

بفتح آفاق الشباب الدائم الخالد في رياض الجنة بحيث تبقى إعادة الشباب في الدنيا أمراً تافهاً جداً.

أما الشعر الفارسي، فهو أيضاً كثير في الرسائل للاستشهاد أيضاً وبالأخص شعر جامي والشيخ سعدي وحافظ الشيرازي، مع ردّ قوي على عمر الخيام.

وترد مقاطع في بعض الرسائل باللغة الفارسية وربما تشكل جزءاً كبيراً من الرسالة شعراً أو نثراً كما في الكلمة السابعة عشرة.

أما الشعر التركي فليس في الرسائل، استشهاد كثير به إلاّ أبيات معدودة للشاعر الصوفي نيازي المصري، وفضولي البغدادي كما في (رسالة الشيوخ).

وفيها أيضاً نثر منظوم للأستاذ نفسه يشبه الشعر إلاّ أنه ليس بشعر حيث روعي فيه المعنى أكثر من الوزن والقافية.

ورغم أن الأستاذ من أصل كردي إلاّ أنه لم يكتب في الرسائل فقرة كاملة باللغة الكردية. حيث إن اللغة التركية يومئذٍ كانت لغة الدولة ورعاياها ولغة الحضارة العثمانية.

وهل هناك تكرار في الرسائل؟

لا شك أن البحث في الموضوع الواحد في مائة وثلاثين رسالة خلال فترة زمنية تمتد إلى ربع قرن يكون فيه التكرار الكثير بشكل أو آخر، ولكن التكرار في الرسائل نادراً ما يحس به أحد، حيث إن الموضوع الذي يكرر يضاف إليه معنى جديداً أو يصاغ صياغة جديدة، أو ينظر إليه من زاوية أخرى أو يلون بلون جديد، مما ينفي عنه الملل. ولعل هذا هو السر الكامن في تكرار الآيات القرآنية.

أما الإحالة، فما من رسالة إلاّ وفيها (إحالة) إلى رسالة أخرى قد بسط فيها الموضوع بشكل آخر إجمالاً أو تفصيلاً أو إيضاحاً لنقطة منها..

وهكذا نرى إحالات كثيرة في الرسائل، مما تجعلها كأنها رسالة واحدة.

أيّ رسالة أفضل ؟:

لما كان قارئ الرسائل يجد جواب جميع الأسئلة التي تحوم حول فكره وعقله وردّ جميع الوساوس والشبهات التي يلقيها شياطين الجن والإنس في قلبه وخياله، لذا فإنه ما إن يقرأ رسالة إلاّ ويقول: كأن هذه الرسالة قد كتبت لي. فهي من أحسن ما قرأته، ثم ينتقل إلى أخرى ويقول هذه أفضل وهكذا.. حتى تكون جميع الرسائل عنده حسنة وجيدة بحيث لا يمكنه أن يميز واحدة عن الأخرى. ورغم هذا فإن الأستاذ رحمه الله قد ضمّ إحدى عشرة حجة من الحجج الإيمانية مع إحدى عشرة مسألة من رسالة الثمرة في مجموعة وسماها (عصا موسى) ليبطل بها عمل سحرة الضلالة العلمية وليفجر بها ينابيع الإيمان. وضم كذلك (المعجزات القرآنية) و (المعجزات الأحمدية) و (رسالة الحشر) في مجموعة أخرى وسماها (ذو الفقار) وقدّم في بداية كل مجموعة ما يأتي:

(في هذا العصر الغريب، كما أن أهل الإيمان في أشد الحاجة إلى رسائل النور، وأن معلمي المدارس الحديثة بحاجة ماسة إلى (عصا موسى)، فإن علماء الشريعة كذلك ومعلمي القرآن الكريم هم في أشد الحاجة إلى (ذو الفقار).

بهذا أشار إلى أن (عصا موسى) يستفيد منها طلاب الجامعات، وأن علماء الشريعة يجدون بغيتهم في (ذو الفقار).

وجمع كذلك مجموعة أخرى من المسائل الدقيقة في العقيدة كالقضاء والقدر وحكمة خلق الإنسان والعالم والروح، ودمار العالم وسماها (الطلاسم، أسرار قرآنية).

فطالب النور، بعد أن يستيقن الإيمان ويستقر في قلبه بدراسته لـ (الكلمات) ينتقل إلى (المكتوبات) ليغترف أجوبة لأسئلة كثيرة جداً أو ليعيش في صحبة

الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ينتقل إلى (اللمعات) ليعيش مع الأنبياء عليهم السلام وليأخذ حذره من الشيطان ومكائده وضلالات العلوم الحديثة حتى يرقى في النهاية إلى تذوق معاني الأسماء الحسنى بعد أن أخذ حصته منها في (الكلمات).

أما إذا رأى في نفسه خوفاً أو تردداً أمام أهل الضلالة وملاحقتهم له، فعليه أن يقرأ (الشعاعات) حيث فيها التوحيد الخالص وأمور الدجال ودفاع الأستاذ في المحاكم.

وحيث إن الأحداث اليومية، ومجاهدة النفس والناس تتجدد يومياً، فلابد أن طالب النور بحاجة إلى فقه العمل، لذا فقد وجه الأستاذ رسائله في هذا الصدد إليهم من السجون والمعتقلات وفي ظروف مختلفة وحثهم على العمل الدائب والشورى فيما بينهم، والحذر من مكائد أهل الضلالة والشيطان كل ذلك وغيره من الأمور الدقيقة يجدها الطالب في (الملاحق).

هذا ولا يعني أن الطالب لا ينتقل من مجموعة إلى أخرى إلاّ بعد مرحلة، وإنما يعني أن لكل مجموعة نكهتها الخاصة بها.

أما الموازين الاجتماعية والسياسية، فإن رسالة (الخطبة الشامية) تضم أسسها العامة وتحتوي الرسائل الأخرى نتفاً منها أيضاً، كما نجد في (السانحات) و (المناظرات) إقامة للموازين الدقيقة التي يتمكن بها تلميذ رسائل النور من وزن الأحداث حسب المفهوم الإيماني، فضلاً عما ضمته (الملاحق) من تلك الأمور.

مع السنة النبوية الشريفة:

لا تخلو رسالة من رسائل النور من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أو جانب من جوانب حياته المباركة بأسلوب شائق جداً بحيث تشعر بالأدب الجم والتعظيم

اللائق تحت تأثير تلك العبارة. وغالباً ما يسبق الحديث الشريف ما يهيئ القلب والعقل والروح لتقبله حتى تشعر بأنك ماثل أمام قائله صلى الله عليه وسلم ، فيشع ذلك الحديث بنوره في قلبك ويسرى بفعله في أعصابك وجوارحك. هذا وإن رسائل خاصة في السُنَّة ودلائل النبوة ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ومعرفة أصول الحديث وكيفية الاستزادة من محبته صلى الله عليه وسلم لا يقرأها أي مسلم حتى يغمر قلبه حباً وإجلالاً لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

وفي ثنايا كثير من الرسائل أسئلة وأجوبة حول بعض الأحاديث الشريفة التي قد يُظن أول وهلة أنه – أي الحديث– بعيد عن الواقع أو لا يسلم به العقل، إلاّ أن الرسالة تشرح الأبعاد الشاسعة لذلك الحديث وأسراره وحكمه الكثيرة، فترد جميع الشبهات الواردة عليه، وتزيل جميع الوساوس والشبه في زوايا العقل والقلب، وفي الوقت نفسه تصد تلك الهجمات الموجهة إلى الحديث الشريف من قبل أهل الضلالة باسم العلم الحديث بحجج عقلية مستساغة.

والذي ينعم النظر في الرسائل بصورة عامة والتي تبحث عن السُنّة بصورة خاصة (وبالأخص في المعجزات الأحمدية) يكتسب خبرة في كيفية التجوال في كتب الصحاح والسنن، إذ تدله على تلك الرياض الوارفة، فتنقله بين بساتينها المزهرة الفواحة، فيستنشق عبيرها، مع أخذه القدر الكافي مما يلزم لكل مسلم من معرفة مصطلح الحديث.

وكذلك لا يجد أمراً نوقش – أو يناقش– بين المسلمين في الحديث الشريف أو التهم الموجهة إليه، إلاّ ويجد جوابه الشافي المقنع فيها بحيث تطمئن إليه النفس.

فمسائل الدجال ونزول عيسى عليه السلام والمهدي والخضر ومسائل حول الملائكة وأشرط الساعة وثواب الأعمال وغيرها.. قد أشبعت بحثاً وتوضيحاً بحيث يرتاح إليه القلب وتسكن إليه الجوارح.

وقد تناولت الرسائل أيضاً تلك الأحاديث التي اتُخذت ذريعة للهجوم على أمهات كتب الحديث من قبل أهل البدع، فدافعت عن تلك الأحاديث وأبرزت جوانب خفية منها بما يلجم أي معاند ومكابر كان.

أما الأحاديث التي تضمنتها الرسائل بصورة عامة فهي على الأغلب بصيغتها العربية. وقد تذكر بالمعنى أحياناً لذا ذكر الأستاذ في مقدمة رسالة المعجزات الأحمدية ما يأتي:

(لقد أوردتُ أحاديث شريفة كثيرة في هذه الرسالة، ولم يكن لديّ شيء من كتب الحديث، فإن أخطأت في لفظ الأحاديث الواردة فليُصحح أو ليُحمل على الرواية بالمعنى، إذ القول الراجح: أنه تجوز رواية الحديث الشريف بمعناه، أي أن يذكر الراوي معنى الحديث بلفظٍ من عنده، فما وجد في هذه الرسالة من أخطاء في الألفاظ، فلينظر إليها باعتبارها (رواية بالمعنى). [1]

مع الفقه

هناك رسالة خاصة في (الاجتهاد) تبين أن هناك ستة من الأسباب التي تحول في الوقت الحاضر دون ولوج هذا الباب المفتوح.

لذا فإن رسائل النور لا تورد مسألة - ولو كانت جزئية- خلافاً لآراء الأئمة المجتهدين قطعاً ولا تذكر أسماءهم إلاّ مع الاحترام والتوقير الذي يليق بهم.

أما المصطلحات الفقهية والأصولية، فإنها ليست مجموعة في رسالة معينة، وإنما مبثوثة في كثير من الرسائل وترد في مكانها ومقامها المناسب، فمثلاً ترى في الفقرة الآتية تعريفاً لمصطلحين فقهيين علماً أن الموضوع ليس بموضوع فقه:

---

(١) المكتوبات/ ١١٢

(سؤال: لماذا لم تُنقل (المعجزات) باهتمام بالغ مثلما نُقلَت الأحكام الشرعية الضرورية الأخرى نقلاً متواتراً وبطرق متعددة؟.

الجواب: لأن معظم الناس في أغلب الأوقات محتاجون حاجة ماسة إلى الأحكام الشرعية، فهي (كفروض عين) لهم، لما لها من علاقة بكل شخص. بينما المعجزات لا يحتاجها كل إنسان كل حين. حتى لو فرضنا الحاجة إليها، فيكفي سماعها مرة واحدة، فهي (كفروض كفاية) إذ يكفي أن يعلم بها عادةً قسمٌ من الناس.)[1]

وهكذا بقية المصطلحات ترد بين ثنايا موضوع آخر أو بشكل سؤال وجواب، وهو أيسر للفهم والاستيعاب.

ولعل من ألطف الثمرات التي قدمتها مدرسة رسائل النور أنها وحدت بين وجهات النظر المختلفة لأصول الدراسة والتفكير بين المدرستين العقلية (الفقهية) والقلبية (الصوفية) وأزالت ما بينهما من المناقشات والخلافات الظاهرة التي أعاقت التقدم والمضي في تبليغ الإسلام، فوق سعيها الحثيث في تمكين الوحدة بين صفوف أهل الإيمان، حيث إنها تقنع عقول أهل هذا العصر حتى تحقق لدى أصحاب العقول النيرة: إن ما أنتجه هذا العصر من التفرقة لا تلم شملها إلاّ رسائل النور.

هذا وفي الرسائل حث لعلمائنا اليوم ودعوة موجهة إليهم ليدرسوا رسائل النور ويقفوا في صف واحد ضد الضلالة المهاجمة دون أن تحول بينهم وبين ذلك، الغرور العلمي أو الخلافات الجزئية أو الخلود إلى الدعة ولا يكونوا من الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الآخرة، مع توجيهات متتالية كان الأستاذ

(١) المكتوبات/ ١٢١

يوجهها إلى طلاب النور في مواجهة اعتراضات مثل هـؤلاء العلمـاء عـلى رسـائل النور، وقد بسطنا القول فيها في (أسلوب مخاطبة المعارضين) فلا داعي للتكرار.

أما مع العلماء الذين يتصدون لإرشاد الناس ووعظهم، فقد شخّصت رسـائل النور الداء فيهم وبينت العلاج، حيث جاء:

(إنني استمعت إلى الوعـاظ. فلـم تـؤثر فيّ نصـائحهم ووعظهـم. فتأملـت في السبب، فرأيت أنه فضلاً عن قساوة قلبي هناك ثلاثة أسباب:

١- إنهم يتناسون الفرق بـين الحاضـر والماضـي فيبـالغون كثيـراً في تصـوير دعاويهم محاولين تزويقها دون إيراد الأدلة الكافية التي لا بد منها للتأثير وإقنـاع الباحث عن الحقيقة، فالزمن الحاضر أكثر حاجة إلى إيراد الأدلة.

٢- إنهم عند ترغيبهم بأمرٍ ما وترهيبهم منه يُسقطون قيمـة مـا هـو أهـم منـه، فيفقدون بذلك المحافظـة عـلى الموازنـة الدقيقـة الموجـودة في الشـريعة، أي لا يميزون بين المهم والأهم.

٣- إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي أرقى أنواع البلاغة، فلا بد أن يكون الكلام موافقاً لحاجات العصر. إلاّ أنهم لا يتكلمون بما يناسب تشخيص علة هذا العصر، وكأنهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر، فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان.

فعلى الوعاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محققين ليتمكنوا من الإثبات والإقناع. وأن يكونوا أيضاً مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة. وأن يكونوا بلغاء مقتنعين كي يوافـق كلامهـم حاجـات العصـر. وعلـيهم أيضـاً أن يَزنـوا الأمـور بموازين الشريعة .) [1]

(١) صيقل الإسلام- المحكمة العسكرية/ ٤٧٣

وتعيد رسائل النور وتكرر الدعوة إلى الوفاق والتصالح بين المدارس المختلفة، (فلقد قلت مائة مرة وأعيدها أيضاً:

(إنه لابد من الوفاق والتصالح بين أهل المدارس الفقهية والمدارس الحديثة والزوايا الصوفية، لأجل وحدة الهدف، وذلك بتبادل الأفكار، وميل بعضها لبعض، وذلك لأننا نرى -مع الأسف- أن تباين أفكارهم كما أنها تفرق الوحدة، فإنها توقف الرقي والتقدم كذلك).

مع علم الكلام:

إن رسائل النور لا تنتقص من علم الكلام والتصوف كمصادر للمعرفة - رغم ما بينهما من بون شاسع- إلاّ أنها تعدهما قاصرين وناقصين إذا ما عرضا أمام المنهج القرآني الحكيم، فهناك نصوص كثيرة حول هذا إلاّ أننا نقتطف النص الآتي:

(حقاً! إن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم.

ثم إن معرفة الله التي استقاها (الرازي) من علم الكلام كما تبدو ناقصة وقاصرة في نظر (ابن عربي)، فإن المعرفة الناتجة عن طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة، ذلك لأن ابن عربي يقول (لا موجود إلاّ هو) لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم، أمام الله سبحانه وتعالى، حتى وصل به الأمر إلى إنكار وجود الكائنات.

أما الآخرون فلأجل الحصول على الحضور القلبي أيضاً قالوا: (لا مشهود إلاّ هو) وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات واتخذوا طوراً عجيباً.

بينما المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلاً عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية، كما عبر عنها (سعدي الشيرازي) شعراً:

در نظر هوشيار هر ورقي دفتريست أز معرفت كردكار

ولقد شبهنا في كلمات أخرى من رسائل النور لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم - ذلك المنهج الأقوم- والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال هو:

إنه لأجل الحصول على الماء، هناك من يأتي به بوساطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبال. وآخرون يجدون الماء أينما حفروا ويفجرونه أينما كانوا. فالأول سير في طريق وعر وطويل والماء معرض فيه للانقطاع والشحة. بينما الذين هم أهل لحفر الآبار فإنهم يجدون الماء أينما حلوا دونما صعوبة ومتاعب.

فعلماء الكلام يقطعون سلسلة الأسباب بإثبات استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم، ومن بعده يثبتون وجود واجب الوجود.

أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم فيجد الماء في كل مكان ويحفره أينما كان. فكل آية من آياته الجليلة كعصا موسى تفجر الماء أينما ضربت. وتستقرئ كل شيء القاعدة الآتية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم - كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها- تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها. فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها).[1]

ومن هنا يمكننا القول بأن رسائل النور قد شقّت طريقاً جديداً في علم الكلام، بل هو في الحقيقة (علم كلام قرآني) - إن صح التعبير- حيث ترى أسلوب العرض القرآني لمسائل وجود الله سبحانه والوحدانية والنبوة والآخرة والقضاء والقدر بشكل واضح جلي، يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله، بل جميع لطائفه معاً ولا يحصر الكلام في العقل أو الذوق ويورد أمثلة مادية ملموسة من واقع المرء وبيئته من النباتات والحيوانات والنجوم ومن النفس الإنسانية .. الخ.

ثم إنها لا تجمع بين الآيات المتشابهات في موضوع واحد ولا في مكان واحد، وإنما توزع تفسيرها على جميع الرسائل وهذا أيضاً أسلوب قرآني.

ومحور جميع المسائل هو (أسماء الله الحسنى) حيث تحل الرسائل بهذه الأسماء المقدسة جميع المشاكل والأمور، وتحول الدنيا إلى ميدان امتحان وعمل، وتضع بيد الإنسان موازين دقيقة قرآنية، كي يزن بها الأمور، ومن هنا أصبحت جميع العلوم الكونية وسائل وألسِنة تنطق بالوحدانية ونوافذ تطل على الآخرة.

---

(١) المكتوبات/ ٤٢٤-٤٢٦

(ولئن كان التوصل إلى العقيدة الخالصة والإيمان الكامل والظفر بالحقائق المحضة - فيما مضى- محصوراً في المدارس الفقهية ومناهجها وقضاء خمس عشرة سنة من العمر فيها، فإن طريقة رسائل النور تختصر المسافة والزمن إذ يمكن الحصول على تلك النتائج الإيمانية الخالصة والحقائق الإسلامية الصافية في خمسة عشر شهراً، بل خمسة عشر اسبوعاً بدلاً من تلك السنين الطويلة.

لذا أصبحت خاصة من خصائص رسائل النور (طي الإقدام لا طي الأقدام). وحقاً إن من يديم مطالعة الرسائل بدقة وروية يتمكن من الاطلاع على ما فيها من الحقائق، فكما انه ينقذ نفسه من المهالك كذلك يكون عالماً مرشداً في هذا العصر).

فمسألة القضاء والقدر مثلاً التي أسهب فيها المتكلمون دون أن يحصدوا منها شيئاً وحيّروا العالم والمتعلم، وكذا الذين قلّدوهم من بعدهم، نرى أن (رسالة القدر) (الكلمة السادسة والعشرين) يفهمها المرء دون تكلف ولا صعوبة، علماً أنها لا تدع سؤالاً يرد إلى العقل ولا شبهة ترد إلى القلب إلاّ وتجيب عنها، وأسلوبها في هذا أسلوب مبتكر بديع ورصين مع أنه بسيط مستساغ).

مع التصوف:

قد يتصور الذي لم يطّلع على رسائل النور أنها رسائل صوفية وأن الأستاذ أحد شيوخ الصوفية، وأن جماعة النور جماعة من الصوفيين. وهذا الخطأ ناجم من الخلط بين الزهد والتصوف وعدم التمييز بينهما.

نعم، إن الأستاذ رحمه الله كان زاهداً حقاً، ولكنه لم يكن صوفياً ولا صاحب طريقة. لذا فليس رسائل النور رسائل صوفية ولا طلابها من الصوفيين، إذ كان الأستاذ يقول دائماً: ليس هذا العصر بعصر تصوف وطريقة، إنما هو عصر إنقاذ الإيمان.

فبيّن بهذا أن المهمة الأساس للمسلم في هذا العصر هي إنقاذ الإيمان وليس التصوف وأوضح ذلك في قوله:

(إني أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني والشاه النقشبند[1] والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وان أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي.

نعم، لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف. فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز.

وفيما مضى كان الصعود إلى بعض من حقائق الإيمان يستغرق أربعين يوماً، بالسير والسلوك، وقد يطول إلى أربعين سنة، ولو هيأت الرحمة الإلهية في الوقت الحاضر طريقا للصعود إلى تلك الحقائق لا يستغرق أربعين دقيقة! فليس من العقل أن لا يبالى بهذا الطريق؟!

فالذين قرأوا بإنعام ثلاثاً وثلاثين رسالة من (الكلمات) يقرون بأن تلك (الكلمات) قد فتحت أمامهم طريقاً قرآنياً قصيراً كهذا.

فما دامت الحقيقة هكذا، فإني أعتقد:

أن (الكلمات) التي كُتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء لأمراض هذا العصر وأفضل مرهم يمرر على جروحه، وأنفع نور يبدد هجمات خيول الظلام

---

(١) النقشبند (الشاه): هو محمد بهاء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية ولد في قرية قصر عارفان، قرب بخارى، ودرس في سمرقند، تزوج في الثامنة عشرة من عمره، انتسب الى شيوخ كثيرين وعاد أخيراً الى بخارى ولم يغادرها حتى وفاته، وانشأ فيها طريقته ونشرها، وتوفي ٣ ربيع الأول ٧٩١هـ ١٣٨٩م عن (٧٣) سنة من العمر. من مصنفاته: الأوراد البهائية، حياتنامة، تنبيه الغافلين.

الحالك على المجتمع الإسلامي، وأصدق مرشد ودليل لأولئك الحيارى الهائمين في وديان الضلالة) .[1]

ثم ترى في الرسائل مقارنات تعقد بن كتب الصوفية ورسائل النور، فالأولى تصف الأذواق والفيوضات لمن ارتقى إلى درجة الأولياء، بينما الثانية تخاطب كل إنسان وتريه الحقائق الإيمانية وتحثه على إنقاذ إيمانه الذي فيه سعادته.

(إن الدواوين والمؤلفات السابقة تقول:

كن ولياً وشاهد وارق في المقامات والدرجات، وأبصر وتناول الأنوار والفيوضات!.

بينما رسائل النور تقول: كن من شئت وأبصر! وافتح عينيك فحسب وشاهد الحقيقة وانقذ إيمانك الذي هو مفتاح السعادة الأبدية.)[2]

لذا جاءت الرسائل للمستويات كافة بخلاف الكتب الصوفية التي تقتصر على فئة معينة.

وتلفت الرسائل النظر إلى الفرق بين طالب النور، والمريد الصوفي، أن للأول حججاً وبراهين يتمكن بها أن يغزو العالم بينما الآخر له قناعة ذاتية وشخصية حيث:

(إن ما نراه من حصيلة خدمتنا وجهودنا في ترسيخ الإيمان وتحقيقه في قلوب ألوف المؤمنين -حوالي ولاية إسبارطة- لكافٍ لخدمتنا هذه، بحيث لو ظهر من هو بمرتبة عشرة أقطاب من الأولياء الصوفية، واستطاع سوق ألفٍ من الناس إلى مراتب الولاية، فإن عمله هذا لا ينقص من أهمية عملنا وقيمته ولا من ثمراته شيئاً.

---

(١) المكتوبات/ ٢٧

(٢) الملاحق – قسطموني/ ١٠٥

لذا فإن طلاب رسائل النور الحقيقيين واثقون كل الثقة ومطمئنون كل الاطمئنان بمثل هذه النتائج وحصيلة الأعمال هذه إذ إن القناعة القلبية لدى مريدي ذلك القطب العظيم يحققها ويضمنها المقام الرفيع لأستاذهم ومرشدهم، ويضمنها أحكامه في المسائل، إلاّ أن رسائل النور تنشئ لدى طلابها درجة من القناعة أكثر بكثير مما عند مريدي ذلك القطب العظيم، بما فيها من حجج قاطعة تسري إلى الآخرين فتنفعهم أيضاً، بينما تبقى قناعة أولئك المريدين خاصة بهم وحدهم. إذ إن قبول أقوال الأشخاص العظام بغير دليل لا يفيد اليقين والقطعية - في علم المنطق - بل ربما تكون قضية مقبولة يقتنع بها الإنسان بالظن الغالب. أما البرهان الحقيقي - كما هو في المنطق- فلا ينظر إلى مكانة الشخص القائل وإنما إلى الدليل الذي لا يُجرح.

فجميع حجج رسائل النور هي من هذا القسم، أي من (البرهان اليقيني) لأن ما يراه أهل الولاية من الحقائق بالعمل وبالعبادة وبالسلوك وبالرياضة الروحية، وما يشاهدونه من حقائق الإيمان وراء الحجب، فإن رسائل النور تشاهدها مثلهم أيضاً، إذ شقت طريقاً إلى الحقيقة في موضع العبادة ضمن العلم، وفتحت سبيلاً إلى حقيقة الحقائق في موضع السلوك والأوراد ضمن براهين منطقية وحجج علمية، وكشفت طريقاً مباشراً إلى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام وعلم العقيدة وأصول الدين؛ بحيث انتصرت على الضلالات الفلسفية التي تغلبت على تيار الحقيقة والطريقة في هذا العصر. والشاهد هو الواقع).[1]

لذلك فإن الرسائل تورث القناعة الكافية عند التلاميذ وتغرس الثقة المطلقة بأركان الإيمان عندهم اكثر بكثير مما عند مريدي المدارس الصوفية:

---

(١) الملاحق – اميرداغ ١/ ٢٧٥

هـذا وإن المكتـوب التاسـع والعشـرين، يبحـث هـذا الموضـوع (الولايـة والتصوف) [1] من كل جوانبه ويبين أن للقلب مجاله كمـا أن للعقـل مجالـه، وأن العمل القلبي يكون بالذكر والتفكر، وأن أفضل وأحسن طريقة هـي اتبـاع السـنة النبوية الشريفة، وأن أهم أساس من أسـس الولايـة هـو (الإخـلاص) وأن القـوة النافذة فيها هي المحبة، وحيـث إن الـدنيا دار عمـل وسـعي وليسـت دار جـزاء وثواب. لذا لا تطلب فيها اللذائذ والأذواق ولا يقصد فيها الكرامات، لهـذا كلـه ينبغي الالتزام بالشريعة إذ الحقيقة والطريقة وسيلتان لخدمة الشريعة.

ثم يبين (ثماني ورطات) لطرق الصوفية ويردّ في اللمعة التاسعة من مجموعـة (اللمعات) على القائلين بوحدة الوجود بحجج قوية منطقية يسلم بها الجميع.

وحيث إنه يمكن أن يلج كل جماعة - ومنها الصوفية- من هم ليسوا من أهلها، لذا لا يمكن أن يغمط حق الذين تصدوا للكفر والزندقة ورفعوا رايـة الإيمـان في ظروف حالكة وجددوا الهمم والعـزائم عنـد المسـلمين، فأضـاءوا السـبل أمـام الأجيال من أمثال الإمام الغزالي والإمام أحمد الفاروقي السرهندي الرباني والإمام الشاه النقشبند والشيخ عبد القار الكيلاني وغيرهم كثير بحجة أخطاء وقعت فيهـا طائفة تسموا بـ (الصوفية).

لذا فإن الرسائل تـذكر أسـماء هـؤلاء المجـددين العظـام بـالاحترام اللائـق بمرتبتهم ومكانتهم، ثم إن الرسائل لا تذكر الصوفية قدحاً ولا مدحاً على التعميم، وإنما تضع إصـبع الاتهـام عـلى أمـور خـالف فيهـا بعضـهم قواعـد أهـل السـنة والجماعة وترحب في الوقـت نفسـه بـالبطولات المعنويـة الرائعـة وبالخـدمات الجليلة التي قدموها في ميدان الإيمان ونشـر الإسـلام، وذلـك بمقتضـى العـدل الإلهي الـذي يـزن النـاس جميعـاً يـوم الحشـر الأكبـر وهـو رجحـان الحسـنات

(١) المكتوبات/ ٥٧١-٥٩٧

والسيئات، من حيث الكمية والنوعية، فرب حسنة من نوعية ممتازة -وان كانت ضئيلة- تمحو سيئات كثيرة جداً.

أما العبادات القلبية من إخلاص وتوكل ودرجات الخوف والرجاء والمحبة والتخلص من الرياء والعجب والتكبر.. فهي الميدان الأول والواسع لرسائل النور، فترى تأكيد الإخلاص باستمرار، وأبحاثاً وعلاجات دقيقة جداً لأمراض الوساوس القلبية والخواطر الخبيثة وسبل مداخل الشيطان في النفس أو في صفوف الجماعة المسلمة. وكذلك معاني الصبر والوفاء والإيثار إلى آخر المعاني التي افتقدها المسلمون في الوقت الحاضر حتى غدت غير مألوفة لديهم.

ومن أبرز ما تهدف إليه رسائل النور في الإنسان هو إثارة ملكة التفكر عنده وقابلية التأمل لديه، إذ بدونهما لا يمكن أن يكون الإخلاص والإيمان والعمل ذاتياً.

مع العلوم الكونية:

مما لا يختلف في اثنان أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد حثا على طلب العلم، فلا غرابة إذن أن نرى هذا الحث أيضاً في رسائل النور، مع وضع لأسس وقواعد البحث العلمي وما يجب أن يتحلى به كل باحث ودفع وتشويق إلى التخصص في مادة واحدة دون صرف الجهود إلى عدة علوم حيث:

(إن الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص في علوم كثيرة، إلا مَن كان فذاً، فيستطيع أن يتخصص في أربعة أو خمسة من العلوم، ويكون صاحب ملكة فيها).[1]

ولما كان القرآن الكريم مصدر الهام رسائل النور - كما أعلنه الأستاذ مراراً- فلابد أنه يعرض هذا الموضوع من استلهام الآيات القرآنية أيضاً، فنرى أن الرسائل توجه الأنظار إلى (أستاذية القرآن) للإنسانية قاطبة بما يحث البشر على

(١) صيقل الإسلام - محاكمات/ ٤٢

السعي الدائب والعمل المتواصل للوصول إلى ما ذكره من معجزات الأنبياء عليهم السلام وكأنه يدلهم بها .

(نعم، نفهم من أستاذية القرآن وإشارات درسه: أن القرآن بذكره معجزات الأنبياء، إنما يدل البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول له: هيا اعمل واسعَ لتنجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام، واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر وانقذ البشرية من العطش كما فعله موسى عليه السلام بعصاه. وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار، وألبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام. والتقط أبعد الأصوات واسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء. وألِن الحديد كالعجين كما فعله داود عليه السلام، واجعل الحديد كالشمع في يدك ليكون مداراً لجميع الصناعات البشرية، كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة والسفينة اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف وسيدنا نوح عليهما السلام. فاعملوا على محاكاتهما وتقليدهما. وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي والمعنوي، ويلقي علينا الدروس ويثبت أنه أستاذ الجميع.) [1]

ولكن الدراسة المنهجية في المدارس التي تضخم في أذهان الطلبة، أمر العلم والتكنولوجيا حتى تجعله مصدر السعادة والرفاه، وتهمل -في الوقت نفسه- مصدر السعادة النابعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، تدفع الطلاب - والناس بدورهم- إلى الجرأة ليتساءلوا:

---

(١) صيقل الإسلام – الخطبة الشامية/ ٤٩٩

(إذا قلت: لما كان القرآن الكريم قد نـزل لأجل الإنسان، فَلِـمَ لا يصـرّح بمـا هو المهم في نظره من خوارق المدنية الحاضرة؟ وإنما يكتفي برمز مستتر، وإيماء خفي، وإشارة خفيفة، وتنبيه ضعيف فحسب؟

فالجواب: إن خوارق المدنية البشرية لا تستحق أكثر مـن هـذا القـدر، إذ إن الوظيفة الأساسية للقرآن الكـريم هـي تعلـيم شـؤون دائـرة الربوبيـة وكمالاتهـا ووظائف دائرة العبودية وأحوالها.

لذا فإن حق تلك الخوارق البشرية وحصتها من تلـك الـدائرتين مجـرد رمـز ضعيف وإشارة خفية ليس إلاّ.. فإنها لو ادّعت حقوقها من دائرة الربوبية، فعندها لا تحصل إلاّ على حق ضئيل جداً.

فمثلاً: إذا طالبت الطائرة البشرية القرآن الكريم قائلة:

– (أعطني حقاً للكلام، وموقعاً بين آياتك). فإن طائرات دائرة الربوبيـة تلـك الكواكب السيّارة والأرض والقمر، ستقول بلسان القرآن الكريم:

– (إنكِ تستطيعين أن تأخذي مكانكِ هنا بمقدار جرمك لا أكثر)

وإذا أرادت الغواصة البشرية موقعاً لنفسها بين الآيات الكريمة فستتصدى لها غواصات تلك الدائرة؛ التـي هـي الأرض السـابحة في محـيط الهـواء، والنجـوم العائمة في بحر الأثير قائلة:

– (إن مكانك بيننا ضئيل جداً لا يكاد يُرى!)

وإذا أرادت الكهرباء أن تدخل حرم الآيات بمصابيحها اللامعة أمثال النجوم، فإن مصابيح تلك الدائرة التي هي الشـموس والشـهب والأنجـم المزيّنـة لوجـه السماء، سترد عليها قائلة:

– (إنك تستطيعين أن تدخلي معنا في مباحث القرآن وبيانه بمقدار ما تمتلكـين من ضوء!!)

ولو طالبت الخوارق الحضارية – بلسان صناعاتها الدقيقة– حقوقها وأرادت لها مقاماً بين الآيات.. عندها ستصرخ ذبابة واحدة بوجهها قائلة:

– (اسكتوا.. فليس لكم حق. ولو بمقدار أحد جناحيّ هذين! ولئن اجتمع كل ما فيكم من المصنوعات والاختراعات – التي اكتشف اكتسابا بإرادة الإنسان الجزئية– مع جميع الآلات الدقيقة لديكم، لن تكون أعجب بمقدار ما في جسمي الصغير جداً من لطائف الأجهزة ودقائق الصنعة. وأن هذه الآية الكريمة تبهتكم جميعاً:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (الحج:٧٣) [1]

وهكذا تسرد الرسالة ما يستعظمة الإنسان من نتائج الاكتشافات العلمية، أنها حقيرة وصغيرة بل تافهة أمام عظمة مخلوقات الله سبحانه . وأما وظيفة العبودية للإنسان على الأرض.. وهو يرى أن ما كان يظنه قبل سنين من الأمور العظيمة والتي يطلق عليها خطأ (معجزات العلم) أصبحت من الأمور المألوفة والبديهية.

لذا نرى أن الرسائل تذكر الأمثلة العلمية وتخوض في أغلب العلوم المعروفة، ملتقطة منها أمثلة واقعية يفهمها القارئ ويستسيغها، حيث إنها تقر بالحقائق التي أتت بها العلوم الحاضرة إلاّ أنها تعزو سبب الضلالة الناشئة في العلوم الحاضرة إلى حصر النظر في الأسباب الظاهرة دون رؤية يد القدرة الحكيمة التي تهيئ وتسيّر تلك الأسباب وفق نظام دقيق. كما جاء في المسألة السادسة من رسالة الثمرة .

(١) الكلمات/ ٢٩٣

كذلك ترى مثل هذه الأمثلة من العلوم عند شرح معاني الأسماء الحسنى وفي رسالة الذرة الرائعة (المقصد الثاني من الكلمة الثلاثين) التي هي برهان ساطع على اتخاذ رسائل النور كل علم وسيلة لبيان التوحيد والآخرة والنبوة..

نخلص مما سبق: إن الرسائل تنتهج مع العلوم الكونية الأسلوب الآتي:

١- إن قمة العلوم ونهاية حدودها قد خطها الأنبياء عليهم السلام بمعجزاتهم، وإن جميعها تستند إلى الأسماء الحسنى وتنتهي إليها.

٢- إن ما يستعظمه الإنسان - من المكتشفات الحديثة- سوف يكون من الأمور البسيطة في المستقبل، لذا لا يستحق ذلك الإعجاب إلاّ بقدر ما يذكّر بعظمة الله سبحانه.

٣- إن جميع ما اكتشفه العلم ليس إلاّ أثر من آثار الله سبحانه في الوجود وهو أحسن وسيلة لرؤية حكمته سبحانه وقدرته وعظمته.

٤- لذا لابد من إثارة عنصر التفكير عند الإنسان عند النظر في ملكوت السموات والأرض، أي تعويده على العبادة الفكرية.

٥- ولابد من سرد الأمثلة لتمهيد العقل وتهيئة النفس وتحضيرها لقبول الآيات والأحاديث بإذعان كامل. حيث ضاقت العقول التي سقيت بغير ماء الإسلام في المدارس أمام كثير من الآيات والأحاديث الشريفة.

ولما كانت الرسائل تجعل القارئ ينظر إلى الكون وكأنه كتاب رباني مفتوح وقد نقشت فيه أسماؤه الحسنى جل جلاله، لذا فإنه يفهم بكل سهولة حكمة المخلوقات أو الحوادث أو الأمور المختلفة تحت أنوار تجليات تلك الأسماء الحسنى، حيث قد شرحتها مفصلاً في الرسائل المختلفة حتى غدت العلوم الحاضرة في حقيقتها آفاقاً لتجليات تلك الأسماء.

ومن هنا يمكننا أن نفهم سبب النجاح الذي أحرزه (مركز البحوث العلمية) الذي شكّله طلاب النور في الآونة الأخيرة والذي أصدر كتيبات علمية إيمانية على مستوى راق [1]، حتى طبعت منها في السنة الواحدة، عشر طبعات، إذ قام بإصدارها أساتذة أكفاء تشربوا بمفاهيم رسائل النور ووعوها وعياً كاملاً، فتمكنوا من صياغة العلم الحديث بأسلوب إيماني بديع مراعين فيها إثارة التأمل والتفكير عند القارئ مع عرض لأحدث المكتشفات العلمية ونظرياتها ومن ثم الوصول إلى الحكيم المدبر في جميع هذه الآثار المبثوثة أمام عين الإنسان، ولا نعلم مثيلاً لهذا الأسلوب باللغة العربية كي نتمكن من مقارنته.

مع الفلسفة:

إن أهل الضلالة والإلحاد يستندون دائماً إلى الأسس الفاسدة للفلسفة الطبيعية المادية، فيوهمون بعض المسلمين بأن لهم أسساً علمية يركنون إليها لصد حقائق الإسلام.

لذا نرى الرسائل تشن هجوماً عنيفاً وباستمرار على تلك الأفكار والكلمات والأسس الفاسدة التي يستند إليها الماديون الطبيعيون ولا تكتفي بإيراد بضعة أدلّة، وإنما تسرد الدلائل تلو الدلائل وتعقبها بأمثلة غزيرة ومتنوعة حتى ترى بوضوح بيّن أن الطريق التي يسلكها المنكرون من الماديين الطبيعيين هي بعيدة كل البعد عن المسلمات المنطقية والعقلية، بل تمجها العقول السليمة، وأنها محض خرافة خرقاء.

---

(١) منها: أسرار النجوم، الذرة، المخ وكيف يعمل، جسم الإنسان، من الذرة إلى الخلية، الطاقة والحياة، الكوكب الحي، دارون ونظرية التطور، من الخلية إلى الإنسان، مولد الكون، علم البيئة، المنظومة الشمسية، الإنسان ومعجزة الحياة، أسرار النباتات، الدم وجهاز الدوران، مذكرات نحلة، وأسرار الذرة.....الخ.
وقد قام السيد أورخان محمد علي بترجمة باقة من هذه الرسائل العلمية المبتكرة إلى اللغة العربية ونشرها في العراق منها: دارون ونظرية التطور، الإنسان ومعجزة الحياة، مولد الكون، أسرار الذرة، ومذكرات نحلة.

وسلوكها في ذلك هو بخطوات منطقية عقلية، فمثلاً جاء في مقدمة رسالة الطبيعة:

(أيها الإنسان: اعلم أن هناك كلمات رهيبة تفوح منها رائحة الكفر النتنة، تخرج من أفواه الناس، وترددها ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنبين ثلاثاً منها هي الغاية في الخطورة:

أولاها: قولهم عن الشيء: (أوجدته الأسباب) أي أن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين.

ثانيها: قولهم عن الشيء: (تشكّل بنفسه) أي أن الشيء يتشكل من تلقاء نفسه، ويوجِد نفسَهُ، بنفسه، وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي.

ثالثتها: قولهم عن الشيء: (اقتضته الطبيعة) أي أن الشيء طبيعي، والطبيعة هي التي أوجدته واقتضته.

نعم! مادامت الموجودات موجودة وقائمة أمامنا بما لا يمكن إنكارها مطلقاً، وان كل موجود يأتي إلى الوجود في غاية الإتقان والحكمة، وهو ليس بقديم أزلي، بل هو محدث جديد.

فيا أيها الملحد! إما أنك تقول أن هذا الموجود – وليكن هذا الحيوان مثلاً– توجده أسباب العالم، أي أنه يكتسب الوجود نتيجة اجتماع الأسباب المادية، أو أنه تشكل بنفسه، أو أنه يرد إلى الوجود بمقتضى الطبيعة ويظهر بتأثيرها! أو عليك أن تقول:

إن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده.

لأنه لا سبيل إلى حدوثه غير هذه الطرق الأربعة، حسب موازين العقل، فإذا ما أثبت – إثباتاً قاطعاً– أن الطرق الثلاثة الأولى محالة، باطلة ممتنعة، غير ممكنة،

فبالضرورة والبداهة يثبت الطريق الرابع، وهو طريق وحدانية الخالق بيقين جازم لا ريب فيه.[1]

ثم تذكر الرسالة تلك المحاولات وتوضحها بأمثلة علمية سلسة متنوعة حتى لا تذر غباراً للشبهة الوسوسة في القلب والعقل، وهكذا يلمس القارئ الأسلوب العلمي المنطقي الرصين والمحاورة الهادئة الرزينة.

وكما ذكرنا في (أسلوب الاستثناء) فإن الرسائل لا تهاجم الفلسفة بصورة مطلقة وإنما تستثنى منها المفيدة، فقد جاء في مقدمة (المدخل إلى النور) ما يأتي:

(إن الضربة التي أهوت بها هذه الرسالة على الفلسفة هي الفلسفة المضرة للبشرية. والتي تعادي الدين وليس ذلك القسم من الفلسفة الذي يقف موقف الصداقة منه والذي ينفع البشرية..).[2]

(... أما الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية، فهي الفلسفة المضرة وحدها وليست الفلسفة على إطلاقها، ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية البشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد للرقي الصناعي؛ فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن، بل هي خادمة لحكمة القرآن، فلا تعارضها ولا يمكنها ذلك، لذا فرسائل النور لا تتصدى لهذا القسم من الفلسفة.

أما القسم الثاني من الفلسفة، فكما أنه أصبح وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للفلسفة الطبيعية، فإنه ينتج كذلك السفاهة واللهو والغفلة والضلالة ويعارض بخوارقه التي هي كالسحر الحقائق المعجزة للقرآن الكريم.

---

(١) اللمعات/ ٢٦٨

(٢) Nurun ilk kapisi

لذا فإن رسائل النور تتصدى لهذا القسم الضال من الفلسفة في أغلب أجزائها بنصبها موازين دقيقة، وسوقها البراهين الدامغة، فتصفعها بصفعاتها القوية، في حين أنها لا تلتفت إلى القسم النافع منها.

ومن هنا لا يعترض طلاب المدارس الحديثة على رسائل النور بل ينضوون - وعليهم أن ينضووا- تحت لوائها دون تردد..).[1]

ولابد للباحث في الفلسفة أن يسبر أغوارها ويفتش عن جذورها المتشعبة، وإلاّ فلا تسمى تلك البحوث التي تأخذ بالقشور وبعض الأمثلة البسيطة أنها بحوث رصينة أو علمية دقيقة.. فرسالة (أنا) مثلاً مثال رائع جداً على ما ذكرنا، فهي رسالة قيّمة جداً فيها التحليل الدقيق لجذور الفلسفات جميعها والمقارنة بينها وبين الأديان والنبوّة.

وبعد مقدمة رائعة تذكر..

إذا استوعبت هذه المقدمة، فهيا لندخل معاً إلى الحقيقة نفسها.

(إن في تاريخ البشرية - منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام إلى الوقت الحاضر- تيارين عظيمين وسلسلتين للأفكار، يجريان عبر الأزمنة والعصور، كأنهما شجرتان ضخمتان أرسلتا أغصانهما وفروعَهما في كل صوب، وفي كل طبقة من طبقات الإنسانية.

إحداهما: سلسلة النبوة والدين

والأخرى: سلسلة الفلسفة والحكمة

فمتى كانت هاتان السلسلتان متحدتين وممتزجتين، أي في أي وقت أو عصر استجارت الفلسفة بالدين وانقادت إليه وأصبحت في طاعته، انتعشت الإنسانية

(١) الملاحق - اميرداغ ١/ ٢٨٦

بالسعادة وعاشت حياة اجتماعية هنيئة. ومتى ما انفرجت الشقة بينهما وافترقتا، احتشد النور والخير كله حول سلسلة النبوة والدين، وتجمعت الشرور والضلالات كلها حول سلسلة الفلسفة.

والآن لنجد منشأ كلٍ من تلكما السلسلتين وأساسهما:

فإن سلسلة الفلسفة التي عصت الدين، اتخذت صورة شجرة زقوم خبيثة تنشر ظلمات الشرك وتنثر الضلالة حولها. حتى إنها سلّمت إلى يد عقول البشر، في غصن القوة العقلية، ثمرات الدهريين والماديين والطبيعيين .. وألقت على رأس البشرية، في غصن القوة الغضبية ، ثمرات النماريد والفراعنة والشدادين.. وربّت، في غصن القوة الشهوية البهيمية، ثمرات الآلهة والأصنام ومدّعي الألوهية.

وبجانب هذه الشجرة الخبيثة، شجرة زقوم، نشأت شجرةُ طوبى العبودية لله، تلك هي سلسلة النبوة، فأثمرت ثمرات يانعة طيبة في بستان الكرة الأرضية، ومدّتها إلى البشرية، فتدلّت قطوفاً دانية من غصن القوة العقلية: أنبياء ومرسلون وصديقون وأولياء صالحون.. كما أثمرت في غصن القوة الدافعة: حكاماً عادلين وملوكاً طاهرين طهر الملائكة.. وأثمرت في غصن القوة الجاذبة: كرماء وأسخياء ذوي مروءة وشهامة في حسن سيرة وجمال صورة ذات عفة وبراءة.. حتى أظهرت تلك الشجرة المباركة:

إن الإنسان هو حقاً أكرم ثمرة لشجرة الكون.

وهكذا فمنشأ هذه الشجرة المباركة، ومنشأ تلك الشجرة الخبيثة، هما جهتا (أنا) ووجهاه، أي أن (أنا) الذي أصبح بذرة أصلية لتلكما الشجرتين، صار وجهاه منشأ كلٍ منهما. [1]

---

(١) الكلمات/ ٦٣٩

ثم تسرد التفاصيل الدقيقة مع المقارنة بين السلسلتين إلى أن تذكر:

(نعم ! إن الفلسفة القديمة لمصر وبابل، التي بلغت مبلغ السحر، أو تُوهّمت سحراً - لاقتصارها على فئة معينة- هي التي أرضعت الفراعنة والنماريد وربّتهم في أحضانها، كما أن حمأة الفلسفة الطبيعية ومستنقعها مكّنت الآلهة في عقول فلاسفة اليونان القدماء، وولدت الأصنام والأوثان. حقاً إن المحجوب عن نور الله بستار (الطبيعة) يمنح كلَّ شيء ألوهيةً، ثم يسلطه على نفسه).[1]

وبعد، لابد لكل من يتصدى لموضوع الفلسفة أن يدلي برأيه في الفلاسفة والشعراء الذين ظهروا في التاريخ الإسلامي والذين افتتنوا بالفلسفة اليونانية.. فما رأي الرسائل فيهم؟.. جاء ذلك في رسالة (أنا).

(ونظراً لاستناد الفلسفة إلى مثل هذه الأسس السقيمة ولنتائجها الوخيمة فإن فلاسفة الإسلام الدهاة، الذين غرّهم مظهر الفلسفة البراق، فانساقوا إلى طريقها كابن سينا والفارابي، لم ينالوا إلاّ أدنى درجة الإيمان، درجة المؤمن العادي، بل لم يمنحهم حجة الإسلام الإمام الغزالي حتى تلك الدرجة.

وكذا أئمة المعتزلة، وهم من علماء الكلام المتبحرين، فلأنهم افتتنوا بالفلسفة وزينتها وأوثقوا صلتهم بها، وحكّموا العقل، لم يظفروا سوى درجة المؤمن المبتدع الفاسق.

وكذا أبو العلاء المعري الذي هو من أعلام أدباء المسلمين والمعروف بتشاؤمه، وعمر الخيام الموصوف بنحيبه اليتمي، وأمثالهما من الأدباء الأعلام ممن استهوتهم الفلسفة، وانبهرت نفوسهم الأمارة بها.. فهؤلاء .. قد تلقوا صفعة تأديب ولطمة تحقير وتكفير من قبل أهل الحقيقة والكمال، فزجروهم قائلين:

---

(١) الكلمات/ ٦٤٠

(أيها السفهاء أنتم تمارسون السفه وسوء الأدب، وتسلكون سبيل الزندقة، وتربّون الزنادقة في أحضان أدبكم!). [1]

وفي حاشية للرسالة نفسها يرد الأستاذ باستعلاء إيماني رائع على سؤال هو:

(وإن قلت: فما تكون أنت حتى تنازل هؤلاء المشاهير؟ فهل أصبحت نظير ذبابة حتى تتدخل في طيران الصقور؟

وأنا أقول: لما كان لي أستاذ أزلي وهو القرآن العظيم، فلا أراني مضطراً أن أبالي ولو بقدر جناح ذبابة في طريق الحقيقة والمعرفة، بأولئك الصقور الذين هم تلاميذ الفلسفة الملوثة بالضلالة والعقل المبتلى بالأوهام. فمهما كنت أدنى منهم درجة إلاّ أن أستاذهم أدنى بدرجات لا حدّ لها من أستاذي، فبفضل أستاذي وهمته لم تستطع المادةُ التي أغرقتهم أن تبلل قدمي. نعم! إن الجندي البسيط الحامل لأوامر سلطان عظيم وقوانينه، يمكنه أن ينجز من الأعمال مالا ينجزه مشير لدى ملك صغير). [2]

وهكذا ترى في هذه الرسالة وفي جميع الرسائل أستاذية القرآن ومنهجه الحكيم في كل أمر من الأمور. حتى إنها في نهاية هذه الرسالة تظهر في سياحة خيالية صعوبة الوصول إلى الحقيقة عن طريق الفلسفة أو عن طريق العقل المجرد وسهولة ذلك في النهج القرآني وذلك بأسلوب رائع جداً.

أما الفلاسفة المحدثون والنظريات المادية الحديثة، فهي بلا شك تستند في جذورها الأصلية إلى الفلسفة المادية القديمة، ولما كانت قد أثبتت بطلان تلك الجذور وتفاهتها، فلا حاجة إذن من حصر الموضوع في فلسفة معينة بالذات.

---

(١) الكلمات/ ٦٤٥-٦٤٦

(٢) الكلمات/ ٦٤٨

وهكذا لا تجد اسم (كانت) و (نيتشة) وغيرهما ولا ذكراً لنظرية دارون وغيره من الذين نفثوا بنظرياتهم الخبيثة سموماً في عقول أبناء هذا العصر إلاّ أنك تقرأ بالتفصيل أدلّة مقنعة وقوية جداً لدحض أي فكرة أو نظرية تستند إلى الأسباب المادية والطبيعة المصادفة مع إقامة حجج وبراهين لإثبات الوحدانية والفعالية المستولية على الكون وذلك في رسالة (الطبيعة) وفي بحث (هو) اللذين يعتبران من السيوف البتارة والمطارق الشديدة على رؤوس أهل الضلالة والكفر من الماديين والمفلسفين.

المنهج الاستدلالي:

لا يمكن أن يذكر شيء في الرسالة إلاّ ومعه – أو قد سبقه– برهان ودليل لإثباته سواءً كانت تلك الأدلة شرعية نقلية أو أدلة عقلية أو فطرية أو تستند أحياناً إضافة لما سبق إلى كلام المجددين العظام أو على أمثلة مقنعة بحيث تدع القارئ يطمئن دائماً إلى جميع ما يرد في الرسائل ولعل هذا هو السر في إلزامها المعاندين وإلجامها لهم.

أما طريقتها في الاستشهاد بالآيات أو الأحاديث أو أية قاعدة شرعية كانت، فإنها تمهد العقل وتهيئ النفس لقبول ذلك الدليل الشرعي على وجهه الصحيح وليس العكس كأن تذكر الآية أو الحديث ثم تستطرد في الشرح.

فهذا الأسلوب لرسائل النور – وبالأخص في زماننا هذا– جدير بالإعجاب حيث إن اغلب العقول والنفوس قد انصبغت بآراء الفلاسفة الماديين ورانت على القلوب السيئات، مما حجبت الناس عن إدراك مرامي الآية أو الحديث أو أي دليل شرعي آخر، لذا لا نرى في الرسائل الاستشهاد الكثير بهما إلاّ بعد مقدمات تأخذ بأطراف النفس والعقل والروح.

هذا وإن الرسائل تربي عند القارئ القدرة على معرفة الدليل ووزن الكلام المقروء والمسموع بميزان الإسلام.

حيث يقول:

(أروني مفسداً يقول: أنا مفسد، وما هو إلاّ مفسد إلاّ أنه يتراءى في صورة الحق، أو يرى الباطل حقاً. نعم؛ ما من أحد يقول: مخيضي حامض.. فلا تأخذوا شيئاً إلاّ بعد إمراره على المحك، لأن أقوالاً مغشوشة مزيّفة قد كثرت في تجارة الأفكار... حتى كلامي أنا لا تأخذوه على علاّته – بحسن ظنكم– لأنه صادر عني فقد أكون مفسداً، أو أُفسد من حيث لا أشعر، فعلى هذا تيقظوا! ولا تفتحوا الطريق إلى القلب لكل طارِق. فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر أنه ذهب فارسلوه إلى القلب، واحفظوه هناك، وإن ظهر أنه نحاس، فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيّعوه بسوء الدعاء عليّ وردّوه خائباً إليّ.)[1]

أما منهج الرسائل في سوق البراهين فمن الأفضل أن نقتطف هنا ما دار في اجتماع طلبة النور للدراسات العليا في (كولن/ ألمانيا الغربية) في الشهر الرابع سنة ١٩٧٩ الذي يعتبر خلاصة موضوعنا.

(لقد ركّز الأستاذ النورسي –رحمه الله– جل مساعيه على بيان (حقيقة الإيمان) التي تبعث الطمأنينة في الفرد، والسعادة في المجتمع، بدلاً من مجرد تقديم وصفات اجتماعية غير قابلة للتطبيق.

لذا وجهت رسائل النور الأنظار إلى الضروريات الدينية ومسلماتها التي لا تتأثر بتقادم الزمن ولا بالاكتشافات العلمية، فشرحت المسائل وفصلتها من هذه الزاوية سواءً في ميدان العقائد أو في ميدان الاجتماع، إذ الإيمان –كما يعرفه

(١) صيقل الإسلام – المناظرات/ ٣٩٠

الأستاذ نفسه هو نور ناشئ من التصديق بالضروريات الدينية تفصيلاً وبما سواها إجمالاً. ومن هنا كان الحجر الأساس في رسائل النور هو الحقائق الإيمانية.

ويمكننا أن نلاحظ سبب اختيار رسائل النور هذا المنهج من تعبير الأستاذ نفسه في (إشارات الإعجاز).

(اعلم أن البرهان إما (لِمّيٌ) وهو الاستدلال بالمؤثر على الأثر. وإمّا (إنّيّ) وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر. وهذا أسلم)[1]

أي كدلالة النار إلى الدخان - التي هي دلالة المؤثر على الأثر- وكدلالة الدخان على النار - أي دلالة الأثر على المؤثر- وأن البرهان الإنِّي هذا هو أسلم من الشبهات.

فالأستاذ رجح الاستدلال بالأثر على المؤثر السالم من الشبهات وهو الطريق الأصوب للاستدلال ولاسيما في عصرنا هذا الذي اتخذ المادة أساسا لكل شئ. لذا ساق الأستاذ الأمثلة المادية الملموسة كدليل في المسائل الإيمانية، بخلاف علماء الغرب - المتدينين- الذين رجحوا الاستدلال بالمؤثر على الأثر حيث ساقوا المسائل التي استعصت على العلم الحديث - والتي لم يتمكن من كشف نتائجها وتوضيحها بعد- كشواهد لإثبات عظمة الخالق ودلائل قدرته سبحانه، وما عجز عنه إلى الله سبحانه! ولكن حينما تتوضح المسألة - بعد الكشف العلمي- وتصبح من الأمور البديهية، فإن تلك الأدلة الاعتقادية سوف تتضعضع وبدورها يضعف الإيمان.. وقد انهار الإيمان عند بعضهم فعلاً.

غير أن الأستاذ النورسي الذي رجح الاستدلال النابع من الأثر على المؤثر، فقد وجّه الأنظار إلى (حكمة) كل شيء وكل حادثة من حوادث الكون سواء في

---

(١) إشارات الإعجاز/ ١٥٠

ذلك علمت نتيجتها أم لم تعلم بعد. واختار التعريف بالمؤثر الحقيقي بصفاته الجليلة وأسمائه الحسنى، لذا فكلما يتقدم العلم ويعلن للأوساط حكماً جديدةً بكشفه عن كيفية نشوء الحوادث يصبح وسيلة لفهم أوضح للمسائل الإيمانية وبهذا يصدق نهج رسالة النور في دعواها:

(كلما شاب الزمان ازداد القرآن شباباً ونضارة أكثر واستبانت رموزه).

نهج رسائل النور في التبليغ

وضح الأستاذ نهج رسائل النور في مخاطبة الناس، ولِمَ لا تهزم رغم جميع التحديات والعراقيل التي تضعها الضلالة والتيارات المعادية أمامها، وذلك في مقدمة رسالة الخطبة الشامية. ننقل ذلك النص :

(لقد سألني الكثيرون وسألوا بعض إخواني النوريين، وما زالوا يسألون:

لماذا لا تُهزم (رسائل النور) أمام هذا الحشد الغفير من المعارضين والفلاسفة المُتعنّتين وأرباب الضلال؟ فعلى الرغم من إقامتهم سداً منيعاً -إلى حدٍ ما- ليحول دون انتشار ملايين الكتب الإيمانية والإسلامية القيمة.. وعلى الرغم من حرمانهم الكثير من الناس، ولا سيما الشباب الأبرياء من حقائق الإيمان بتسهيل سُبُل السفاهة لهم وإغرائهم بملذّات الحياة الدنيا.. وعلى الرغم من محاولتهم كسر شوكة رسائل النور بشتى وسائل الغدر وأساليب الهجوم العنيف واختلاق الأكاذيب وإشاعة الدعايات الزائفة وتخويف الناس منها وحملهم على التخلي عنها.. وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت رسائل النور. فما الحكمة من انتشارها انتشاراً لم يسبق له مثيل، حتى بلغ ما نسخ من معظمها باليد فقط ستمائة ألف نسخة، وهي تحظى بانتشار واسع ويتلقاها الناس بشوق بالغ في الخفاء، وتستقرئ نفسها في داخل البلاد وخارجها بكمال المسرّة والمحبة؟.

فجواباً عن أسئلة كثيرة تردُ بهذا المعنى نقول:

الجواب:

إن رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان إعجاز معانيه الجليلة، تبين أن في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، كما تثبت أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضاً. وهي تبرهن أن في المعاصي والفساد والمتع المحرّمة آلاماً معنوية مبرّحة، كما أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائذ معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة.

فهي بهذا الأسلوب تنقذ مَن كان له مسكة من عقل من أهل السفاهة وأرباب الضلال من التمادي في غيّهم، ذلك لأن في عصرنا هذا حالتين رهيبتين:

أولاها:

إن نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبى فتفضّل درهماً من لذّةٍ عاجلة على قنطار من لذات آجلة، هذه الأحاسيس قد طغت - في هذا العصر - على عقل الإنسان وسيطرت على فكره؛ لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفيه من سفهه، هو الكشف عن ألمه في لذته نفسها، ومساعدته على التغلب على أحاسيسه تلك؛ إذ المرء في زماننا هذا، مع علمه بلذائذ الآخرة ونعيمها الثمين كالألماس يفضّل عليها مُتعاً دنيوية تافهة أشبه ما تكون بقطع زجاجية قابلة للكسر! كما تشير إليها الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٣). وبناء على هذا ولشدة حبّه للدنيا تراه ينساق وراء أرباب الضلالة ويتبعهم بعد أن كان من أهل الإيمان.

والسبيل الوحيد لإنقاذه من خطر الانسياق هذا، هو إظهار آلام جهنم وعذابها في الدنيا أيضاً.

وهذا هو النهج الذي تسير عليه رسائل النور.

إن ما في عصرنا الحاضر من تعنّت الإلحاد، وصدود الضلالات الناجمة من طغيان العلوم الحديثة وغرورها والإعراض الناشئ من اعتياد السفه والغي، قد جعلت نسبةَ مَن يتّعظ واحداً من مجموع عشرة أشخاص، أو ربما واحداً من عشرين شخصاً، بعد أن يُعرَّف له الخالق جل جلاله ويثبت له وجود جهنم ويخوَّف من عذابها ليتجنب الشرور والسيئات، ثم تراه يقول: (إن الله غفور رحيم.. إن جهنم بعيدة جداً!.) ثم قد يستمر في لهوه وعبثه، فينهزم قلبُه وتنهار روحُه أمام طغيان شهواته.

وهكذا فإن (رسائل النور) تبين العواقب الوخيمة الأليمة التي تترتب على الكفر والضلال في هذه الدنيا، في معظم الموازنات التي تعقدها، فتنفِّر أشد الناس اتباعاً لهواهم وأكثرهم تعنّتاً وعناداً، من الخوض في متعهم المحرمة وسفاهتهم المشؤومة، وتدفع بالعقلاء منهم إلى طَرقِ باب التوبة والاستغفار.

وعلى سبيل المثال: الموازنات المبسطة التي تتضمنها الكلمات: السادسة، والسابعة، والثامنة من (الكلمات الصغيرة)، والموازنة المطوّلة التي يتضمنها الموقف الثالث من الكلمة الثانية والثلاثين. هذه الموازنات تحمل اشد الناس سفاهة وضلالة على الرهبة والرعب، وعلى قبول إرشادها والاتعاظ بها.

ومثلاً: نشير هنا باختصار إلى ما رآه – أي سعيد القديم– من حقائق في أثناء تجوالٍ خيالي من خلال التدبر في آية (النور). وتفصيله في (القسم الخامس من المكتوب التاسع والعشرين من مجموعة المكتوبات) فمن شاء فليراجعه. والخلاصة هي:

في أثناء سياحتي الخيالية تلك، رأيت عالم الحيوان، ذلك العالم المحتاج إلى الرزق والتقوّت. وعندما تأملته من وجهة نظر الفلسفة المادية، أظهر لي – ذلك

العالَم من الأحياء- عالماً رهيباً مؤلماً؛ بما فيه من ضعف وعجز فضلاً عن مسيس احتياجه وشدة جوعه!

ولما كنت أنظر إليه بعين أهل الضلال والغفلة أطلقتُ صرخةً ملؤها الألم والحزن، وإذا بي أرى ذلك العالم بمنظار الإيمان وحكمة القرآن، فإذا باسم (الرحمن) يشرق من برج (الرّزاق) كشمسٍ ساطعة، فأنار ذلك العالَمَ الجائع البائس من الأحياء وأسبغ عليه نور رحمته.

ثم رأيت عالَماً آخر في عالم الحيوان هذا، ذلك هو عالَم الأفراخ الصغار التي تنتفض ضعفاً وعجزاً وعَوزاً، وقد تغشاه ظلام محزن أليم، يدعو كل إنسان إلى الإشفاق عليه. ولما كنت أنظر بعين أهل الضلالة، صحتُ قائلاً: وا حسرتاه! وإذا بالإيمان يمنحني نظّارة، شاهدتُ من خلالها: طلوع اسم (الرحيم) من برج الشفقة، ينشر أضواءه الزاهية الجميلة، حتى حوّل ذلك العالم المحزن إلى عالم بهيج، وقَلَب عبرات الشكوى والألم والحزن المنهمرة من عيني إلى دموع الفرح والشكر والامتنان.

ثم تراءى لي عالم الإنسان كشاشة سينمائية، فأنعمتُ النظر فيه بمنظار أهل الضلالة، وإذا به: عالم مظلم مرعب.. لم أتمالك معه نفسي فأطلقتُ صرخة ألم من أعماق قلبي قائلاً: وا أسفاه! ذلك لأن آمال الناس وأمانيهم الممتدة إلى الأبد، وتصوراتهم وأفكارهم المحيطة بالكون، وتطلعاتهم الجادة واستعداداتهم الفطرية التواقة إلى الخلود والجنة والسعادة الأبدية، وقواهم الطليقة غير المحددة فطرياً، واحتياجاتهم المتوجهة إلى غايات ومقاصد لا منتهى لها، وتعرضهم - مع ضعفهم وعجزهم- لهجمات ما لا يحصى من المصائب والأعداء.. مع كل هذا، لهم عمرٌ جدّ قصير، ويحيون حياةً ملؤها الصخب والقلق، يذوقون مرارة الموت كل يوم بل كل ساعة، يقاسون ضنك المعيشة في حياتهم ويتجرعون آلام الفراق والزوال التي

هي أوجع للقلب وأثقل على الوجدان، فضلاً عن أنهم ينظرون إلى القبر والمقبرة نظر أهل الغفلة وكأنه باب إلى ظلام سرمدي، يُرمَون في غياهبه فرداً فرداً وطائفة إثر طائفة!

وهكذا.. ففي الوقت الذي رأيت عالم الإنسان هذا غارقاً في مثل هذه الظلمات وإذ أنا على وشك الصراخ من أعماق قلبي وروحي وعقلي، بل بجميع مشاعري بل بجميع ذرات وجودي، إذا بالنور المنبعث من القرآن والإيمان الراسخ الناشئ منه، يحطّم ذلك المنظار المضلّ، ويهب لعقلي بصراً نافذاً أرى به الأسماء الإلهية الحسنى وقد أشرقت كالشمس الساطعة من بروجها؛ فاسم الله (العادل) رأيته بازغاً من برج (الحكيم) واسم (الرحمن) من برج (الكريم) واسم (الرحيم) من برج (الغفور) - أي بمعناه- واسم (الباعث) من برج (الوارث) واسم (المحيي) من برج (المحسن) واسم (الرب) من برج (المالك) فأضاءت هذه الأسماء بنورها الباهر عوالم كثيرة داخل عالم الإنسان المظلم، وحوّلتها إلى عوالم مشرقة بهيجة، كما بددتْ تلك الحالات الجهنّمية بما فتحتْ من نوافذ إلى عالم الآخرة، حتى نثرت الأنوار إلى جميع جوانب ذلك العالم البائس للإنسان. فقلتُ: (الحمد لله)..(الشكر لله..) بعدد ذرات العالم، ورأيت بعين اليقين وعلمتُ علم اليقين:

(إن في الإيمان حقّاً جنة معنوية، وإن في الضلال جحيماً معنوياً أيضاً في هذه الدنيا ذاتها).

ثم ظهر في تلك الجولة عالمُ كرة الأرض، فعكست القوانين العلمية المظلمة بالفلسفة غير المنقادة للدين، إلى خيالي عالماً في منتهى الغرابة والدهشة. إذ تأملت هذه الأرض التي تزيد سرعة حركتها على سرعة طلقة المدفع بسبعين مرة وتقطع مسافة خمسة وعشرين ألف سنة في سنة واحدة، وهي مع شيخوختها وهرمها معرضة للتشتت والتحطّم في كل لحظة، وتحمل في باطنها زلازل مخيفة، وعلى ظهرها هذا الإنسان البائس الذي تجوب به أجواء الفضاء غير المحدود..

فأشفقتُ على وضع هذا الإنسان وسط هـذا الظـلام الـدامس المـوحش المخـيم عليه، ودار رأسي من هول ما رأيتُ وأظلمتِ الدنيا أمام عينـي، فطرحـتُ نظـارة الفلسفة أرضاً وحطمتها كليا. ونظرت إلى الأمر ببصيرة وضـاءة بحكمـة القـرآن، وإذا بأسماء خالق الأرض والسموات: القدير، العليم، الرب، الله، ربّ السموات والأرض ومسخر الشمس والقمر، قد أشرقت من بروج الرحمة والعظمة والربوبية شروق الشمس. فغمرت ذلك العالم الحالـك المـوحش المـذهل بنـور زاهٍ بـاهر جعلني أبصر بعينيّ المؤمنتين هاتين: أن الكرة الأرضية في غاية الانتظام والتسخير والتكامل للإنسان، وهي في أمان وسلام، فيها رزق كـل مَـن يـدبّ عليهـا، كأنهـا سفينة سياحية مهيأة للتنـزه والراحة والاستجمام والتجارة. تتجول بما عليها مـن مخلوقات، حول الشمس في مملكة ربانية واسعة، وهـي مشـحونة بـالرزق كأنهـا قطار أو سفينة أو طـائرة مشـحونة في الربيـع والصـيف والخريف.فقلـت وقتئـذٍ (الحمد لله على نعمة الإيمان) بعدد ما في الأرض من ذرات.

وفي ضوء هذا المثال تستطيع أن تقيس كثيـراً مـن الموازنـات الأخـرى التـي تتضمنها (رسائل النور) والتي تثبـت: أن أربـاب السـفاهة والضـلال يـذوقون في الدنيا نفسها عذاباً جهنمياً معنوياً، كما أن أهل الصلاح والإيمان يعيشون في جنـة معنوية في هذه الدنيا. وبإمكانهم أن يتـذوقوا طعـوم لذائـذ تلـك الجنـة المعنويـة بحواسهم ولطـائفهم الإسـلامية والإنسـانية وبتجليـات الإيمـان وجلواتـه. بـل يمكنهم الاستفادة من تلك اللذات حسب تفاوت درجاتهم الإيمانية.

بيد أن طبيعة هذا العصر العاصف الذي تسود فيه التيارات المعطّلة للمشاعر، والصارفة لأنظار البشرية إلى الآفاق الخاوية والغرق فيها، قد أوجدتْ صعقةً مـن النوع الـذي يعطّـل الإحسـاس، لـذا فـإن أربـاب الضـلال لا يشـعرون بعـذابهم المعنوي مؤقتاً، وان أهل الهداية بدورهم قد داهمتهم الغفلـة فـلا يسـتطيعون أن يقـدروا لـذّة الإيمان الحقيقية حق قـدرهـا.

الحالة الرهيبة الثانية لعصرنا الحالي:

إن أنواع الضلالة الناشئة من الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد من الكفر العنادي في الماضي، ليعتبران من الضآلة بحيث لا يُذكَران إذا ما قيسا بما عليه الوضع في وقتنا الراهن، لذا فقد كانت أدلّة علماء الإسلام ودراساتهم كافية لسدّ حاجات عصرهم، إذ كان كفر عصرهم مبنيّاً على الشك، فكانوا يزيلونه بسرعة؛ حيث كان الإيمان بالله يسود أوساط الناس، وكان من اليسير إرشاد الكثيرين إلى طريق الهداية والصراط السوي، وإنقاذهم من السفاهة والضلال، وذلك بالتذكير بالله سبحانه والتخويف من عذابه فكان الكثيرون يتخلَّون عن غيهم.

أما اليوم فقد تغير الحال، إذ بينما كان يوجد - في الماضي- ملحد واحد في بلد، يمكن العثور الآن على مائة كافر في قصبة واحدة. وقد زاد عدد الذين يضلون بسبب افتتانهم بالعلوم والفنون الحديثة ويقفون بعناد وتمرّد في وجه حقائق الإيمان أضعاف أضعاف الماضي بمائة مرة. ولما كان هؤلاء المعاندون يعارضون الحقائق الإيمانية بغرور فرعوني وبتضليلات رهيبة، فلا مناص من أن يجابَهوا بحقائق قدسية في قوة القنبلة الذرية، لتحطّم مبادءَهم وأسسهم في هذه الدنيا وتقف زحفهم وتجاوزهم، بل تحمل قسماً منهم على التسليم والإيمان.

فنحن نحمد الله أجزل الحمد ونشكره شكراً لا منتهى له على أن (رسائل النور) قد أصبحت ترياقاً شافياً لجروح عصرنا الدامية ومعجزة معنوية من معجزات القرآن الحكيم، ولمعة من لمعاته، فلقد استطاعت بموازناتها العديدة أن تحارب اشد المعاندين المتعنتين بسيف القرآن الألماسي، وتنصب الحجج وتقيم الأدلّة على الوحدانية الإلهية وحقائق الإيمان بعدد ذرات الكون.

ولعل هذا السرّ هو الذي جعلها لا تُغلَب ولا تنهزم منذ خمسة وعشرين عاماً، في وجه أشد الحملات شراسة، بل كانت هي الغالبة على الدوام).[1]

(١) صيقل الإسلام – الخطبة الشامية/ ٤٨٣-٤٨٧

ترجمة رسائل النور:

آ- الترجمة العربية:

كان الأستاذ النورسي (رحمه الله) يرغب في أن تترجم الرسائل التي يكتبها إلى العربية فوقع اختياره على أخيه الملا عبدالمجيد من بين الملمّين باللغة العربية ليقوم بترجمة رسائله، وقد ترجم (رسالة الإخلاص)، (التستّر)، (الاقتصاد) ومجموعة (عصا موسى).. وغيرها.

إلاّ أن هذه الترجمات جاءت ضعيفة أفقدت الرسائل الكثير من جمالها وروائها ومع هذا فقد وافق عليها الأستاذ لعدم وجود أفضل منها في حينه، ولحين أن يهيئ الله من يقوم بالترجمة بشكل أفضل وأحسن.

وقد قام الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي لأول مرة - جزاه الله خيراً- بتعريف الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في كراس صغير ثم على صفحات مجلة حضارة الإسلام السورية تحت عنوان: (سعيد النورسي - أعجوبة الثورة الإسلامية في تركيا) ثم في كتاب (من الفكر والقلب).

وفي سنة ١٩٧٤ قامت جماعة من طلبة النور بالترجمة والطبع والنشر في بيروت لبعض أجزاء رسائل النور، فجاءت ترجمتهم أفضل مما سبق، منها (ذو الفقار) و (رائد الشباب) و (رسائل النور لا تنطفئ) و (الخطبة الشامية).

وقد قامت كذلك مجلة (التربية الإسلامية) الصادرة ببغداد (العراق) بنشر مقالات من ترجماتنا وما زالت تنشرها بفضل الله. ثم وفقنا المولى القدير على ترجمة كليات رسائل النور كاملة في عشرة مجلدات.

ب - الترجمة الإنكليزية

ترجمت الأخت الكريمة شكران واحدة (مريم ويلد) من كليات رسائل النور:

الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات.. كما ألّفت مجلداً كاملاً في تاريخ حياة الأستاذ النورسي فضلاً عن ترجمتها عدداً كثيراً من الرسائل الصغيرة.

ج - وقد بدأت ترجمات الرسائل تأخذ طريقها في كل من ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وروسيا ورومانيا وبلغاريا والبوسنة كل بلغاتها.

د- ترجمات باللغات الشرقية:

١- ترجم الأستاذ محمد طاهر حسيني إلى اللغة الفارسية كثيراً من الرسائل طبعت منها: المعجزات الأحمدية، مرشد الشباب، الآية الكبرى، الإخلاص والأخوة، وتاريخ حياة الأستاذ.

٢- ترجم الأخ فاروق رسول يحيى كليات رسائل النور إلى اللغة الكردية وطبعت في العراق.

٣- ترجم عدد من الرسائل الصغيرة والمجموعات الكبيرة إلى الفرنسية والألمانية والروسية والأوردية والهندية والماليزية كما ترجمت إلى كثير من لغات دول آسيا الوسطى.

تم بعون الله وتوفيقه

القسم الثالث

نماذج مستلّة من كليات رسائل النور المترجمة

من الكلمات

الحق يعلو

أيها الصديق! سألني أحدهم ذات يوم: لما كان (الحق يعلو) أمر حق لا مراء فيه، فلِمَ ينتصر الكافرُ على المسلم، وتغلُب القوة على الحق؟.

قلت: تأمل في النقاط الأربع الآتية، تنحل المعضلة.

النقطة الأولى:

لا يلزم أن تكون كلُّ وسيلةٍ من وسائل كل حقٍّ حقاً، كما لا يلزم أيضاً أن تكون كلُّ وسيلةٍ من وسائل كلِّ باطلٍ باطلاً.

فالنتيجة إذن: أن وسيلةً حقة (ولو كانت في باطل) غالبةٌ على وسيلةٍ باطلة (ولو كانت في الحق).

وعليه يكون: حقٌ مغلوب لباطل، مغلوبٌ بوسيلته الباطلة، أي مغلوبٌ موقتاً، وإلاّ فليس مغلوباً بذاته، وليس دائماً، لأن عاقبة الأمور تصير للحق دوماً.

أما القوة، فلها من الحق نصيبٌ، وفيها سرٌّ للتفوق كامنٌ في خلقتها.

النقطة الثانية:

بينما يجب أن تكون كلُّ صفةٍ من صفات المسلم مسلمةً مثله، إلاّ أن هذا ليس أمراً واقعاً، ولا دائماً!

ومثله، لا يلزم أيضاً أن تكون صفات الكافر جميعها كافرةً ولا نابعةً من كفره.

وكذا الأمر في صفات الفاسق، لا يشترط أن تكون جميعُها فاسقة، ولا ناشئة من فسقه.

إذن، صفةٌ مسلمةٌ يتصف بها كافرٌ تتغلب على صفةٍ غير مشروعة لدى المسلم. وبهذه الوساطة (والوسيلة الحقة) يكون ذلك الكافر غالباً على ذلك المسلم (الذي يحمل صفة غير مشروعة).

ثم إن حقّ الحياة في الدنيا شامل وعام للجميع. والكفر ليس مانعاً لحق الحياة الذي هو تجلٍ للرحمة العامة والذي ينطوي على سر الحكمة في الخلق.

النقطة الثالثة:

لله سبحانه وتعالى تجليان يتجلى بهما على المخلوقات، وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا.

أولهما: الشرع التكويني – أو السنة الكونية– الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة (الإرادة الإلهية).

والثاني: الشريعة المعروفة الصادرة من صفة (الكلام الرباني).

فكما أن هناك طاعةً وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الأوامر التكوينية.

وغالباً ما يرى الأول – مطيع الشريعة والعاصي لها– جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني – مطيع السنن الكونية والعاصي لها– غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا.

فكما أن ثواب الصبر النصرُ.

وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسفّل.

كذلك ثواب السعي الغنى،

وثواب الثبات التغلب.

مثلما أن نتيجة السمِّ المرضُ.

وعاقبةَ الترياقِ والدواء الشفاء والعافية.

وتجتمع أحياناً أوامر الشريعتين معاً في شيء.. فلكلٍ جهة.

فطاعةُ الأمر التكويني الذي هو حق، هذه الطاعة غالبة -لأنها طاعة لأمر إلهي- على عصيان هذا الأمر بالمقابل، لأن العصيان -لأي أمر تكويني- يندرج في الباطل ويصبح جزءاً منه.

فإذا ما أصبح حقٌ وسيلةً لباطلٍ فسينتصر على باطلٍ أصبح وسيلةً لحق، وتظهر النتيجة:

حقٌ مغلوب أمام باطل! ولكن ليس مغلوباً بذاته، وإنما بوسيلته. إذن فـ (الحق يعلو) يعلو بالذات، والعقبى هي المرادة - فليس العلو قاصراً في الدنيا- إلاّ أن التقيّد والأخذ بحيثيات الحق مقصود ولابد منه.

النقطة الرابعة:

إن ظلَّ حقٌ كامناً في طور القوة -أي لم يخرج إلى طور الفعل المشاهَد- أو كان مشوباً بشيء آخر، أو مغشوشاً، وتطلّب الأمر كشف الحق وتزويده بقوة جديدة، وجعله خالصاً زكياً، يُسلّط عليه مؤقتاً باطلٌ حتى يخلُص الحق -نتيجة التدافع- من كل درن فيكون طيباً.

ولتظهر مدى قيمة سبيكة الحق الثمينة جداً.

فإذا ما انتصر الباطل في الدنيا - في مكان وزمان معينين- فقد كسب معركة ولم يكسب الحرب كلها، لأن (العاقبة للمتقين) هي المآل الذي يؤول إليه الحق.

وهكذا الباطل مغلوب - حتى في غلبه الظاهر- وفي (الحق يعلو) سرٌّ كامن عميق يدفع الباطل قهراً إلى العقاب في عقبى الدنيا أو الآخرة، فهو يتطلع إلى العقبى. وهكذا الحق غالب مهما ظهر أنه مغلوب!.

ما الذي ألقانا في غياهب الضياع؟

سؤال: ما الذي ألقانا في غياهب الضياع وأقعدنا عن معالي الأمور؟

الجواب: إن الحياة حركة وفعالية، أما الشوق فجوادُها، وهو مطية الهمة. فحالما تمتطي همتُكم صهوة جواد الشوق ناشدة معالي الأمور في ميادين معركة الحياة، إذا بـ(اليأس) أول ما يصادفها، هذا العدو الألد هو الذي يفتّ من قوة الهمة.. فعليكم أن تضربوه بسيف الآية الكريمة: ﴿ لاَ تَقْنَطُوا ﴾ (الزمر: ٥٣).

ثم يشن (حب الظهور وميل التفوق) هجومه، هذا الميل المغروز في الإنسان يحاول التحكم على خدمة الحق الخالصة من الحسد والمنازعة، فيهوي بضرباته على رأس الهمة ويطرحها الأرضَ من على جوداها.. فعليكم أن تبعثوا إليه حقيقة الآية الكريمة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ (النساء:١٣٥).

ثم يبرز إلى الميدان (الاستعجال) فيُزلّ قدم الهمة ويُقلبها على عقبيها بطفراته خطوات ترتب الأسباب والمسببات. فتشوش مراحل العلل التي وضعها الله سبحانه في سننه الكونية.. فعليكم أن تحتموا منه بالخندق الأمين للآية الكريمة: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ (آل عمران : ٢٠٠).

ثم يتصدى لها (الرأي الشخصي) المستبد والتفكير الانفرادي الذي يبدد أعمال الإنسان، رغم أنه مكلّف بفطرته رعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين.. فعليكم أن تصدوه بالحقيقة الشامخة في الحديث الشريف: (خير الناس أنفعهم للناس).[1]

---

(١) حديث حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٢/ ٤٢٠/ ٢ وانظر الصحيحة ٤٢٦ وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٥٣٨.

ثم يخرج إلى ساحة المعركة عدوٌ آخر وهو: (التقليد) فيجد الفرصة سانحة لتقليد الكسالى والمتخلفين، وبه يقصم ظهر الهمة.. فعليكم تحدّيه بالحقيقة الشاهقة، تلك هي حكمة الآية الكريمة: ﴿ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة: ١٠٥). كيلا تبلغ يدُ العدو أذيال الهمة.

ثم يلوح العدوّ الغدّار وهو: (التسويف) الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس، فينشأ منه تأجيل الأعمال الأخروية من اليوم إلى الغد، وهكذا حتى يمسك يدّ الهمة ويقعدها عن النهوض.. فعليكم الاقتداء بسر الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (آل عمران : ١٢٢). على الله لا على غيره. فاجعلوا التوكل عليه سبحانه حصناً للهمة.

ثم يدخل الساحة العدو الملحد وهو: (التدخل في ما هو موكول أمره إلى الله) فينزل هذا التدخل بضرباته القاسية ولطماته الموجعة على وجه الهمة حتى يُعمي بصرَها... فعليكم أن ترسلوا عليه الحقيقة الدائبة والرابحة دوماً وهي الآية الكريمة: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (هود: ١٢٢). كي تقفه عند حدّه، فلا يتجاوزه، إذ ليس للعبد أن يتأمر على سيده.

وأخيراً يُقبل (حب الراحة والدعة) الذي هو أم المصائب ووكر الرذائل فيصفّد الهمة الكريمة بسلاسله وأغلاله ويقعدها عن طلب معالي الأمور ويقذفها في هاوية السفالة والذلة.. فعليكم أن تُخرجوا على ذلك السفاح الساحر، البطل المجاهد في الآية الكريمة: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩).

[حقاً إن لكم في الجهاد وتحمّل المشاق راحة كبرى، وإن الذي يملك فطرة حساسة راحتُه في السعي والعمل].

* * *

من رسالة الأخوة:

دساتير في الأخوة

إن عداءك للمؤمن ظلم مبين، من حيث الحياة الشخصية. فإن شئت فاستمع إلى بضعة دساتير هي أساس هذا الوجه الرابع.

الدستور الأول:

عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: (إن مسلكي حق أو هو أفضل) ولكن لا يجوز لك أن تقول: (إن الحق هو مسلكي أنا فحسب). لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكماً ولا حكماً يقضي على بطلان المسالك الأخرى، وقديماً قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا [1]

الدستور الثاني:

(عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق).

لأن من كان على نية غير خالصة -مثلك- يحتمل أن يثير المقابل بنصائحه فيحصل عكس المراد.

الدستور الثالث:

إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها. وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضرراً

---

(١) لعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب (أدب الدنيا والدين ص ٣٧) والبيت منسوب للإمام الشافعي أيضاً. (ديوان الشافعي ص ٩١) طبعة دار النور – بيروت..

عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك. فقاوم هواها، واسعَ إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها. وإن كنت تريد العداء أيضاً فعاد الكفار والزنادقة، فهم كثيرون. واعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر.

وإن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فبه تخمد نار الخصومة. أما إذا قابلت إساءته بمثلها فالخصومة تزداد. حتى لو أصبح مغلوباً -ظاهراً- فقلبه يمتلئ غيظاً عليك، فالعداء يدوم والشحناء تستمر. بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقاً حميماً لك، إذ إن من شأن المؤمن أن يكون كريماً، فإن أكرمته فقد ملكته وجعلته أخاً لك، حتى لو كان لئيماً -ظاهراً- إلا أنه كريم من حيث الإيمان، وقد قال الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً [1]

نعم، إن الواقع يشهد: أن مخاطبة الفاسد بقولك له: (إنك صالح، إنك فاضل..). ربما يدفعه إلى الصلاح وكذا مخاطبة الصالح: (إنك طالح، إنك فاسد...). ربما يسوقه إلى الفساد، لذا استمع بإذن القلب إلى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَرّوُا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ (الفرقان: ٧٢)

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتغْفِرُوا فإن الله غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ (التغابن:١٤)

وأمثالها من الدساتير القرآنية المقدسة، ففيها التوفيق والنجاح والسعادة والأمان.

الدستور الرابع:

إن الذين يملأ قلوبهم الحقد والعداوة تجاه إخوانهم المؤمنين إنما يظلمون أنفسهم أولاً، علاوة على ظلمهم لإخوانهم، وفضلاً عن تجاوزهم حدود الرحمة

(١) البيت للمتنبي. انظر العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب. ص ٣٨٧ – دار القلم، بيروت.

الإلهية، حيث إنه بالحقد والعداوة يوقع نفسه في عذاب أليم، فيقاسي عذاباً كلما رأى نعمة حلّت بخصمه، ويعاني ألماً من خوفه. وإن نشأت العداوة من الحسد فدونه العذاب الأليم، لأن الحسد أشد إيلاماً للحاسد من المحسود حيث يحرق صاحبه بلهيبه، أما المحسود فلا يمسه من الحسد شيء، أو يتضرر طفيفاً.

وعلاج الحسد هو: أن يلاحظ الحاسد عاقبة ما يحسده، ويتأمل فيها، ليدرك أن ما ناله محسوده من أعراض دنيوية - من مال وقوة ومنصب- إنما هو أعراض زائلة فانية. فائدتها قليلة، مشقتها عظيمة.

أما إذا كان الحسد ناشئاً من دوافع أخروية، فلا حسد أصلاً. ولو تحرك عرق الحسد حتى في هذه الأمور، فالحاسد إما أنه مراء، يحبط حسناته الأخروية في الدنيا. أو أنه يسيء الظن بمحسوده فيظلمه.

ثم إن الحاسد في حسده يسخط على قدر الله، لأنه يحزن من مجيء فضل من الله ورحمته على محسوده، ويرتاح من نزول المصائب عليه، أي كأنه ينتقد القدر الإلهي ويعترض على رحمته الواسعة. ومعلوم أن من ينتقد القدر كمن يناطح الجبل، ومن يعترض على الرحمة الإلهية يُحرم منها.

ترى هل هناك إنصاف يرضى أن يمتلئ صدر المؤمن لسنة كاملة غيظاً وحقداً على أخيه لشيء جزئي تافه لا يساوي العداء عليه ليوم واحد؟! علماً أنه لا ينبغي أن تنسب السيئة التي أتتك من أخيك المؤمن إليه وحده وتدينه بها لأن:

أولاً: القدر الإلهي له حظه في الأمر، فعليك أن تستقبل حظ القدر هذا بالرضى والتسليم.

ثانياً: إن للشيطان والنفس الأمارة بالسوء حظهما كذلك. فإذا ما أخرجتَ هاتين الحصتين لا يبقى أمامك إلا الإشفاق على أخيك بدلاً من عدائه. لأنك تراه

مغلوباً على أمره أمام نفسه وشيطانه. فتنتظر منه بعد ذلك الندم على فعلته وتأمل عودته إلى صوابه.

ثالثاً: عليك أن تلاحظ في هذا الأمر تقصيرات نفسك، تلك التي لا تراها أو لا ترغب أن تراها، فاعزل هذه الحصة أيضاً مع الحصتين السابقتين، تر الباقي حصة ضئيلة جزئية، فإذا استقبلتها بهمة عالية وشهامة رفيعة أي بالعفو والصفح، تنجو من ارتكاب ظلم وتتخلص من إيذاء أحد.

بينما إذا قابلت إساءته بحرص شديد على توافه الدنيا - كأنك تخلد فيها - وبحقد مستديم وعداء لا يفتر، فلا جرم أن تنطبق عليك صفة (ظلوماً جهولاً) وتكون أشبه بذلك اليهودي الأحمق الذي صرف أموالاً طائلة لقطع زجاجية لا تساوي شيئاً وبلورات ثلجية لا تلبث أن تزول، ظناً منه أنها الماس.

وهكذا فقد بسطنا أمامك ما يسببه العداء من أضرار لحياة الإنسان الشخصية. فإن كنت حقاً تحب نفسك فلا تفسح له مجالاً ليدخل قلبك، وان كان قد دخل فعلاً واستقر فلا تصغ إليه، بل استمع إلى حافظ الشيرازي [1] ذي البصيرة النافذة إلى الحقيقة. انه يقول:

دنيا نه متاعيستى كه ارزد بنزاعى

أي: (إن الدنيا كلها لا تساوي متاعاً يستحق النزاع عليه).

فلئن كانت الدنيا العظيمة وبما فيها تافهة هكذا، فما بالك بجزء صغير منها. واستمع إليه أيضاً حيث يقول:

---

(١) حافظ الشيرازي: (١٣٢٠-١٣٨٩م). هو شمس الدين محمد الشهير بحافظ الشيرازي شعراء فارس على الاطلاق، لا يعرف إلاّ القليل عن نشأته. له (ديوان) شعر مليء بالقصائد التي عرضت لمعظم الفنون الشائعة في عصره. انظر: كشف الظنون ١/ ٧٨٣

آسايش دوكيتى تفسير اين دو حرفست

بادوستان مروت با دشمنان مدارا

أي: (نيل الراحة والسلامة في كلا العالمين توضحه كلمتان:

معاشرة الأصدقاء بالمروءة والإنصاف. ومعاملة الأعداء بالصفح والصفاء).

إذا قلت: إن الأمر ليس في طوقي، فالعداء مغروز في كياني، مغمور في فطرتي، فليس لي خيار، فضلاً عن انهم قد جرحوا مشاعري وآذوني، فلا أستطيع التجاوز عنهم.

فالجواب: إن الخلق السيئ إن لم يجر أثره وحُكمه، وان لم يُعمل بمقتضاه كالغيبة مثلاً، وعَرف صاحبه تقصيره، فلا ضير، ولا ينجم منه ضرر. فما دمت لا تملك الخيار من أمرك، ولا تستطيع أن تتخلص من العداء، فإن شعورك بأنك مقصر في هذه الخصلة، وإدراكك انك لست على حق فيها، ينجيانك -بإذن الله- من شرور العداء الكامن فيك، لأن ذلك يعد ندماً معنوياً، وتوبة خفية، واستغفاراً ضمنياً. ونحن ما كتبنا هذا المبحث إلاّ ليضمن هذا الاستغفار المعنوي، فلا يلتبس على المؤمن الحق والباطل، ولا يوصم خصمه المحق بالظلم.

وقد مرت عليَّ حادثة جديرة بالملاحظة:

رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل، بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى - في الوقت نفسه- على منافق يوافقه في الرأي السياسي!. فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت باللّه مما آلت إليه السياسة وقلت: (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة).

ومنذئذٍ انسحبت من ميدان الحياة السياسية.

من رسالة (مرقاة السنة وترياق مرض البدعة):

حب الله ورسوله ﷺ

النكتة العاشرة:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(آل عمران:٣١)

في هذه الآية الكريمة إيجاز معجز، حيث إن معاني كثيرة قد اندرجت في هذه الجمل الثلاث:

تقول الآية الكريمة: (إن كنتم تؤمنون بالله، فإنكم تحبونه، فما دمتم تحبونه فستعملون وفق ما يحبه، وما ذاك إلاّ تشبهكم بمن يحبه.. وتشبهكم بمحبوبه ليس إلاّ في اتباعه، فمتى ما اتبعتموه يحبكم الله، ومن المعلوم أنكم تحبون الله كي يحبكم الله).

وهكذا فهذه الجمل ما هي إلاّ بعض المعاني المختصرة المجملة للآية، لذا يصح القول: إن أسمى مقصد للإنسان وأعلاه هو أن يكون أهلا لمحبة الله.. فنص هذه الآية يبين لنا أن طريق ذلك المقصد الأسنى إنما هو في اتباع (حبيب الله) والاقتداء بسنته المطهرة. فإذا ما أتثبتنا في هذا المقام ثلاث نقاط فستتبين الحقيقة المذكورة بوضوح.

النقطة الأولى:

لقد جُبل هذا الإنسان على محبة غير متناهية لخالق الكون، وذلك لأن الفطرة البشرية تكنّ حباً للجمال، ووداً للكمال، وافتتاناً بالإحسان، وتتزايد تلك المحبة بحسب درجات الجمال والكمال والإحسان حتى تصل إلى أقصى درجات العشق ومنتهاه.

نعم إن في القلب الصغير لهذا الإنسان الصغير يستقر عشق بكبر الكون. إذ إن نقل محتويات ما في مكتبة كبيرة من كتب، وخزنها في القوة الحافظة للقلب - وهي بحجم حبة عدس- يبين أن قلب الإنسان يمكنه أن يضم الكون ويستطيع أن يحمل حباً بقدر الكون.

فما دامت الفطرة البشرية تملك استعداداً غير محدود للمحبة تجاه الإحسان والجمال والكمال.. وإن لخالق الكون جمالا مقدساً غير متناه، ثبوته متحقق بداهة بآثاره الظاهرة في الكائنات.. وإن له كمالا قدسياً لا حدود له، ثبوته محقق ضرورة بنقوش صنعته الظاهرة في هذه الموجودات.. وإن له إحسانا غير محدود ثابت الوجود يقينا، يمكن لمسه ومشاهدته ضمن إنعامه وآلائه الظاهرة في جميع أنواع الأحياء.. فلابد أنه سبحانه يطلب محبة لا حد لها من الإنسان الذي هو أجمع ذوي الشعور صفة، وأكثرهم حاجة، وأعظمهم تفكراً، وأشدهم شوقاً إليه.

نعم، كما أن كل إنسان يملك استعدادا غير محدود من المحبة تجاه ذلك الخالق ذي الجلال، كذلك الخالق سبحانه هو أهل ليكون محبوبا، لأجل جماله وكماله وإحسانه أكثر من أي أحد كان، حتى إن ما في قلب الإنسان المؤمن من أنواع المحبة ودرجاتها للذين يرتبط بهم بعلاقات معينة، ولاسيما ما في قلبه من حب تجاه حياته وبقائه، وتجاه وجوده ودنياه، وتجاه نفسه والموجودات بأسرها، إنما هي ترشحات من تلك الاستعدادات للمحبة الإلهية. بل حتى أشكال الاحساسات العميقة - عند الإنسان- ما هي إلاّ تحولات لذلك الاستعداد، وما هي إلاّ رشحاته التي اتخذت أشكالا مختلفة.

ومن المعلوم أن الإنسان مثلما يتلذذ بسعادته الذاتية، فهو يتلذذ أيضاً بسعادة الذين يرتبط بهم بعلاقة ومحبة ومثلما يحب من ينقذه من البلاء، فهو يحب من ينجي محبيه من المصائب أيضاً.

وهكذا، فإذا ما فكر الإنسان وروحه مفعمة بالامتنان لله، في إحسان واحد فقط مما لا يعد ولا يحصى من الإحسانات العظيمة التي قد غمر بها الله سبحانه وتعالى الإنسان وشمله بها، فانه سيفكر على النحو الآتي:

إن خالقي الذي أنقذني من ظلمات العدم الأبدية، ومنحني منحة الخلق والوجود، ووهب لي دنيا جميلة استمتع بجمالها هنا على هذه الأرض، فإن عنايته أيضاً ستمتد إليّ حين يحين اجلي، فينقذني كذلك من ظلمات العدم الأبدي والفناء السرمدي، وسيهب لي – من فضل إحسانه– عالماً أبدياً باهرا زاهرا في عالم البقاء في الآخرة.. وسينعم عليّ سبحانه بحواس ومشاعر ظاهرة وباطنة لتستمتع وتتلذذ في تنقلها بين أنواع ملذات ذلك العالم الجميل الطاهر.

كما أنه سبحانه سيجعل جميع الأقارب، وجميع الأحبة من بني جنسي الذين اكن لهم حباً عميقاً وارتبط معهم بعلاقة وثيقة، سيجعلهم أهلاً لهذه الآلاء والإحسانات غير المحدودة.. وهذا الإحسان – من جهة– يعود عليّ كذلك، إذ إنني أتلذذ بسعادة أولئك، واسعد بها.. فما دام في كل فرد حب عميق وافتتان بالإحسان كما في المثل: (الإنسان عبد الإحسان) فلابد أن الإنسان أمام هذا الإحسان الأبدي غير المحدود سيقول:

لو كان لي قلب بسعة الكون لاقتضى أن يملأ حباً وعشقاً تجاه ذلك الإحسان الإلهي، وأنا مشتاق لملئه، ولكن رغم أنني لست على مستوى تلك المحبة فعلا، إلا أنني أهل لها بالاستعداد والإيمان، وبالنية والقبول، وبالتقدير والاشتياق، وبالالتزام والإرادة.

وهكذا ينبغي قياس ما يظهره الإنسان من المحبة تجاه (الجمال) وتجاه (الكمال) بمقياس ما أشرنا إليه مجملا من المحبة تجاه (الإحسان).

أما الكافر الملحد، فإنه يحمل عداء لا حد له فهو يستخف بالموجودات من حوله، ويستهين بها، ويمتهنها، ويناصبها العداء والكراهية.

النقطة الثانية:

إن محبة الله تستلزم اتباع السنة الطاهرة لمحمدﷺ ، لأن حب الله هو العمل بمرضياته، وان مرضاته تتجلى بأفضل صورها في ذات محمد صلى الله عليه وسلم. والتشبه بذاته المباركة في الحركات والأفعال يأتي من جهتين:

إحداهما: جهة حب الله سبحانه وإطاعة أوامره، والحركة ضمن دائرة مرضاته، هذه الجهة تقتضي ذلك الاتباع، حيث إن أكمل إمام وأمثل قدوة في هذا الأمر هو محمدﷺ .

وثانيتهما: جهة (ذاته المباركة)ﷺ التي هي أسمى وسيلة للإحسان الإلهي غير المحدود للبشرية، فهي إذن أهل لمحبة غير محدودة لأجل الله وفي سبيله.

والإنسان يرغب فطرة في التشبه بالمحبوب ما أمكن، لذا فالذين يسعون في سبيل حب (حبيب الله) عليهم أن يبذلوا جهدهم للتشبه به باتباع سنته الشريفة.

النقطة الثالثة:

كما أن لله سبحانه وتعالى رحمة غير متناهية، فله سبحانه كذلك محبة غير متناهية. وكما أنه يحبب نفسه – بصورة غير محدودة– بمحاسن الكائنات جميعاً وبجمالها وزينتها إلى مخلوقاته، فإنه كذلك يحب مخلوقاته، ولاسيما أصحاب الشعور منهم الذين يقابلون تحببه لهم بالحب والتعظيم. لذا فإن أسمى مقصد الإنسان في مرضاة ربه، وأجلّ سعيه هو أن يكون موضع نظر محبة الله الذي خلق الجنة بلطائفها ومحاسنها ولذائذها ونعمها بتجل من تجليات رحمته.

وبما أن أحداً لا يمكنه أن يكون أهلا لمحبته سبحانه إلاّ باتباع السنة الأحمدية كما نص عليه كلامه العزيز، إذن فاتباع السنة المحمدية هو أعظم مقصد إنساني واهم وظيفة بشرية.

من الملاحق

مهمة رسائل النور

إن رسائل النور لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهدماً، بل تعمّر أيضاً تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة عظيمة - صخورها كالجبال- تحتضن الإسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين بل تسعى أيضاً - وبيدها إعجاز القرآن- لمداواة القلب العام المجروح، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هُيئت لها وركّمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع ولا سيما عوام المؤمنين. نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشقوق الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة وأعتدة مجهّزة بدرجة حق اليقين وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجرّبة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق (مضاد للسموم) ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حدّ لها.

فرسائل النور النابعة من الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، تؤدي هذه المهمة وفي هذا الوقت أتم أداء، وتحظى في الوقت نفسه بكونها مدار انكشاف لمراتب غير محدودة للإيمان ومصدر رقي في مدارجه السامية غير المتناهية.

وعلى هذا المنوال جرت مكالمة طويلة، فسمعتها كاملة، وشكرت الله كثيراً. أجملتها لكم.

ولمناسبة هذه الحادثة أبيّن لكم حادثة وردت على خاطري في هذه الأيام:

عندما كنت أذكر كلمة التوحيد في ختام أذكار الصلاة ثلاثاً وثلاثين مرة وردت هذه الخاطرة على قلبي: إن ساعة التفكر المذكورة في الحديث الشريف (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)[1] موجودة في رسائل النور، فاسع للعثور عليها وامتلاكها...

* * *

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ١/ ٥٨: حديث: تفكر ساعة خير من عبادة سنة: ابن حبان كتاب العظمة من حديث ابي هريرة بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه أبو المنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جداً، ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة. اهـ. وانظر كشف الخفاء ١/ ٣١٠ والأحاديث المشكلة ص ١١٣.

الفهرس

الإهداء ٥
المقدمة ٧
القسم الأول: سيرة حياة بديع الزمان سعيد النورسى ٩
توطئة ١١
الفصل الأول: حياته الأولى ١٥
مولده ١٧
نشأته ١٧
خطواته الأولى نحو العلم ١٨
إجازته العلمية..... ١٩
الذكاء الخارق..... ١٩
سعيد المشهور..... ٢١
الملا سعيد في وان..... ٢٢
الخبر المدهش ٢٢
إلى إسطنبول مرة أخرى ٢٣
أول تهمة في أول محكمه ٢٥
في سلانيك ٢٦
مفهوم الحرية ٢٧
لقاء مع شيخ من الأزهر ٢٨
حادثة ٣١ مارت ٢٩
محاكمة ٣٠
إلى الشام ٣٣
بديع الزمان قائداً ومفتياً ٣٤
في الحرب العالمية الأولى ٣٤
عزة المؤمن الأسير ٣٥
ذكريات الأسر ٣٧

في دار الحكمة الإسلامية ٣٩
نذير الصحوة ٤١
فتوى ٤٤
مع مصطفى كمال ٤٤
آثاره في هذه الفترة..... ٤٦
رحلة إلى وان ٤٧
ثورة الشيخ سعيد بيران ٤٨
اعتقال ونفى ٥٠
إلى بارلا على متن زورق ٥٠
الفصل الثاني: ظهور رسائل النور ٥٣
بارلا ٥٥
عزلة ووحشة ٥٧
بداية التعارف ٥٨
رسائل النور ٦٠
النساء في طريق النور ٦٢
موجة جديدة ٦٣
من إسبارطة إلى الاعتقال ٦٥
لمعات من ظلمات السجن ٦٦
الدفاع المشهور ٦٧
طريفة ٦٨
نفى بديع الزمان إلى قسطموني ٦٩
سعاة بريد النور ٦٩
توبة سكير ٧٠
مقابلة مع الوالي ٧١
مع طلاب المدارس ٧١
تهمة جديدة ومحاكمة أخرى ٧٣
التبليغ واجب ٧٤
والي أنقرة ينتحر ٧٥
سجن دنيزلي ٧٦
دفاع رائع ٧٧

في أميرداغ ٨١
في محكمة (آفيون) ٨٤
مراحل حياة بديع الزمان: المرحلة الأولى (سعيد القديم) ٨٦
المرحلة الثانية: (سعيد الجديد) ٨٦
أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ٨٧
إلى (اميرداغ) مرة أخرى ٨٩
الفصل الثالث : أواخر حياته ٩٣
سنة ١٩٥٠ ..... ٩٥
محكمة أخرى في (إسطنبول)..... ٩٥
المحكمة ٩٦
محكمة صامسون ١٩٥٣ ..... ٩٩
بديع الزمان وبطريرك الروم ١٠١
عودة إلى مدينة الذكريات (بارلا)..... ١٠٢
محكمة آفيون تبرئ ساحة رسائل النور ١٠٤
الأستاذ في الانتخابات العامة ١٩٥٧ ..... ١٠٥
أواخر أيامه ١٠٦
لقاء الوداع ١٠٧
ملاحقة حتى الموت ١٠٩
اللحظات الأخيرة ١١٢
قضية نقل رفات الأستاذ عام ١٩٦٠..... ١١٣
الختام ١١٧
القسم الثاني: دراسة تحليلية موجزة لرسائل النور ١١٩
ملحوظة ١٢٠
الأستاذ قبيل كتابة الرسائل ١٢١
كيف كانت تكتب الرسائل ١٢٣
ما رسائل النور ١٢٦
من خصائص رسائل النور ١٢٧
طريقة عرض الموضوع ١٣٥
الأسلوب ١٣٦
أسلوب مخاطبة المعارضين ١٣٨

أسلوب الاستثناء ١٤١
أسلوب رد الشبهات ١٤٥
أسلوب بديع لدراسة التاريخ وتفسيره ١٤٦
نظرة تحليلية إلى الخلافات الفكرية ١٥٠
ضرب الأمثال ١٥٣
مفعول الرسائل ١٥٥
مصنفات رسائل النور ١٥٩
أدب رسائل النور ١٦١
أي رسالة أفضل؟ ١٦٤
مع السنة النبوية الشريفة ١٦٥
مع الفقه ١٦٧
مع علم الكلام ١٧٠
مع التصوف ١٧٣
مع العلوم الكونية ١٧٨
مع الفلسفة ١٨٣
المنهج الاستدلالي ١٩٠
نهج رسائل النور في مخاطبة الناس ١٩٣
ترجمة رسائل النور ٢٠٠
القسم الثالث : نماذج مستلّة من كليات رسائل النور المترجمة ٢٠٣
١- الحق يعلو ٢٠٥
٢- ما الذي ألقانا في غياهب الضياع ٢٠٨
٣- دساتير في الاخوة ٢١٠
٤- من رسالة (مرقاة السنة وترياق مرض البدعة)..... ٢١٥
٥- مهمة رسائل النور ٢١٩